

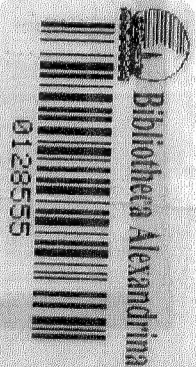
المرآة الحقيقية

خصائصها ومشكلاتها

دكتور
أبراهيم جتية محمود

١٩٨١


دار المعارف



٢١ الخواص
٥٧ الفواقي
٦٩ مشاكل

المراقبة
خصائصها ومشكلاتها

المرآة الحقيقة

خصائصها ومشكلاتها

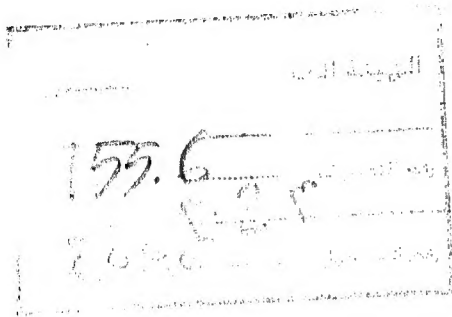


General Organization Of the Alexandria Library (GOAL)

Bibliothèque Alexandrine

تأليف

دكتور
أبراهيم جتية محمود



١٩٨١



دار المعارف

1. The first part of the paper is devoted to a discussion of the general principles of the theory of the structure of the atom.

2. The second part of the paper is devoted to a discussion of the general principles of the theory of the structure of the atom.

3. The third part of the paper is devoted to a discussion of the general principles of the theory of the structure of the atom.

4. The fourth part of the paper is devoted to a discussion of the general principles of the theory of the structure of the atom.

5. The fifth part of the paper is devoted to a discussion of the general principles of the theory of the structure of the atom.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

يتعرض هذا الكتاب للمراقبة من حيث طبيعة هذه المرحلة الهامة في حياة الانسان ، ومن حيث المشكلات الأساسية التي تواجههم وتقف حجر عثرة في طريق تقدمهم ونجاحهم .

وقد اخترت هذا الموضوع ، لأنهم - أعني المراهقين - كثيرا ما يسألون عن مسائل وموضوعات تتصل بهم من قريب أو بعيد . ولا يتلقون ردا عليها . أو يتلقون ردا سريعا ناقصا ، لضيق الوقت أو لغير ذلك من الاسباب . ولا تتاح الفرصة كاملة للتوضيح . إلا من خلال هذا النوع من الكتب التي تعالج قضايا هذه المرحلة وتوضح الحقائق المتصلة بها وتتناول المشكلات الأساسية الهامة التي تعترض حياة ابنائنا خلالها :

ومما يشجع أيضا على تناول هذا الموضوع ، ان مشاكل المراهقين والشباب أصبحت هي مشاكل العالم أجمع ، بل أصبحت هي الوجه الذي يقابل الناس عند زيارتهم لكثير من بلدان العالم . هي الوجه المعبر مثلا عن الحالة التي تعاني منها أوربا ، عندما يرى الزائر لكثير من بلدان هذه القارة حالة الضياع التي يعيشها شبابها والحياة الفكرية المستحدثة التي يحيونها ، والتي تعبر تعبيرا صادقا عن عدم استقرارهم وشعورهم بتفاهة الحياة التي يعيشونها .

حقا ان الصورة تختلف عندنا كثيرا ، لاختلاف ظروفنا ، وطبيعة حياتنا ، ونوع عاداتنا وتقاليدينا ، ونوع القيم التي ندين بها ، وغير ذلك من العوامل التي تؤثر من غير شك في شبابنا ، وتحدد نوع المشاكل التي يعانون منها .

إلا أنها على أى حال فى حاجة ماسة إلى التوضيح وإلى تناول جوانبها المختلفة بالدراسة ، وعلاج قضاياها ومشكلاتها العديدة المتنوعة .

والآن ماذا نقصد بالمراهقة ؟ يكاد يتفق جمهور المهتمين بهذا الموضوع على أن هذه المرحلة من حياة الإنسان تبدأ مع بداية البلوغ الجنسى لكلا الجنسين وتنتهى بسن الرشد ، عندما تكتمل خصائص الفرد فى كافة مظاهر شخصيته بنهاية سن الخامسة والعشرين . وتمتد عند بعضهم إلى سن الثلاثين . أو بمعنى آخر أنها تستغرق فترة المراهقة والفترة التالية لها والقريبة منها والتي تأخذ طابعها فى أغلبية الأحوال والتي لها طبيعة خصائصها ومشاكلها .

والمراهقون اذ يقبلون على هذه الفترة من حياتهم .. إنما يقبلون على فترة جديدة تختلف عما سبقتها . فهم يتركون خلفهم طفولة ضعيفة تعتمد اعتماداً كاملاً على الآباء والأمهات فى كل شئون حياتها .. ليستقبلوا مرحلة رجولة أو أنوثة قوية فتية تتطلع إلى متطلبات جديدة . فخلال هذه الفترة يتأثر الشاب فى أو فتاة فى تفكيره وأحلامه وآماله .. بل وآلامه ، بما ينتظره أو يتوقعه فى المستقبل وقد لا تتوافق الظروف لتهيء للمراهق ما يريد ويحلم به ، أو قد يقف الأب والأم أو يقف المجتمع بتقاليده وإنتاجاته ونوع القيم التى تسوده... فى سبيل بعض هذه الأحلام والآمال .. أو فى سبيلها كلها . أو قد تكون قدرات المراهق وإمكانياته وظروفه الخاصة هى الحائل بينه وبين تحقيق هذه الآمال والمتطلبات . ومن هنا تأتى أسباب الهزات والإضطرابات التى تصيبه وتفقده الثقة بنفسه .

ومن هنا أيضاً تأتى أهمية معاونته المراهق الصغير معاونته مبنية على الفهم الكامل لطبيعة المرحلة التى يمر بها ومتطلباتها وحاجات الشاب وآماله . ومبنية

على المشاركة الإيجابية لإيجاد الحلول لهذه المتطلبات والآمال ، ومساعدته على التعرف على إمكانياته الطبيعية وظروفه الخاصة حتى يجتاز هذه المرحلة إجتيازاً يقوى ثقته بنفسه وبمن حوله . وعند هذه النقطة نحن نفترض أن مشكلات المراهقين ليست دائماً هي مشكلاتهم وحدهم ، وإنما في كثير من الاحوال هي مشكلات الكبار الذين يحيطون بالمراهقين ويضيقون ذرعاً بأفكارهم ، ولا يحاولون تفهم هذه الأفكار ، أو التعرف على نزعات الشباب الحقيقية ، ولا يشاركونهم أو يساعدونهم على تفهمها وإيجاد حلول سليمة لها .

فاذا أضفنا إلى هذه المجموعة من العوامل أن هذه الفترة من حياة الانسان فترة عنيفة تتفجر فيها طاقات حيوية جديدة تشمل كافة نواحيه الجسمية والعقلية والإنفعالية والإجماعية . فثمة تغيرات جسمية عديدة تطرأ عليه . وهي ليست تغيرات هادئة مستكينة ، وإنما هي تغيرات متمردة لها متطلباتها التي كثيراً ما تلقى المعارضة . هناك مثلاً الرغبات الجنسية التي تظهر وتلح بشدة تبغى الاشباع . وهناك أيضاً قوى الشاب العقلية التي تأخذ في النمو بشكل واضح وتطرق ميادين جديدة متفتحة ، فينمو ذكاؤه وتزداد وتقوى قدرته على التفكير ، ويصبح أكثر قدرة على الجدل والمحاورة فلا يسلم ببساطة بكل ما يلقي اليه ، كما كان يفعل وهو طفل . وتأخذ هذه الرغبة في المعرفة والجدل طابعاً حاداً شأن غيرها من النواحي التي يتطرق اليها المراهقين . وتحدث أيضاً تغيرات إنفعالية كثيرة يصحبها عدد من الصراعات النفسية ، ومنها ما يرجع إلى التغيرات التي طرأت على جسم الشاب والتي يصحبها في العادة تغيرات نفسية أساسية تنبع عن قلق المراهق وحساسيته بالنسبة لها . ومنها ما ينتج عن اعتداد المراهق بذاته ، ومحاولته التحرر من التبعية الطفلية والخضوع لأوامر

الأبوين وسلطة الكبار عموما .. إلى غير ذلك من التغيرات الإنفعالية والاجتماعية التي سنعود إليها بالتفصيل فيما يلي من أجزاء هذا الكتاب .

هذه الصورة السريعة لطبيعة المراهق ومتطلبات حياته ، تضع أمامنا عددا من الموضوعات ذات الأهمية الخاصة التي لا بد من تحديدها والتعرف على جوانبها المختلفة .

فنحن في حاجة مثلا للتعرف على كل ما يتصل بالمراهق وبطبيعة المرحلة التي يمر بها .. وبالحقائق الأساسية الخاصة بنموه .. وما يطرأ عليه من تغيرات نتيجة هذا النمو ، وخاصة تلك التغيرات التي يهتم بها ويركز حولها .. والتي تؤثر في سلوكه بوجه عام .

ونحن في حاجة أيضا لدراسة المشكلات التي تؤثر في هذا النمو والتي تعوق سيره الطبيعي .. وكيفية علاجها .. ومعاملة الشاب على ضوءها .. حتى يجتاز هذه المرحلة .. ويشق طريقه في الحياة بنجاح .

والمشكلات التي تعترض المراهقين تختلف حسب ظروف المراهق وحسب الواقع الذي يعيشه . ولذلك فعلاجها ليس موضوعا أكاديميا يمكن ان نعالج مادته علاجاً نظرياً ، وانما لا بد من أن ننزل إلى أرض الواقع ، لنرى المشاكل على الطبيعة وكيف يواجهها المراهق في بلادنا . ولندرس وجهات نظرنا نحن الكبار أيضا وكيف نواجه هذه المشكلات ، ولنتعرف طريقنا نحوها .. لنصل معاً إلى الطريق السوي لعلاجها وتخليص أبنائنا من آثارها . هذه ناحية أساسية إذا أردنا حقاً ان يستمتع المراهقون لنا ، وان يضعوا أيديهم في أيدينا لتواجه معاً هذه المشكلات .

ويعطى الكتاب هذه الناحية أهمية خاصة . فهو لا يعالج قضايا نظرية ،

ولإنما يعالج واقعا يعيشه المراهقون - بكل ما يتضمنه هذا الواقع من قيم وتقاليـد وعادات . ويتناول حياة المراهق ومشكلاته على هذا الأساس .

وإذا كانت مادة هذا الكتاب أساسية للآباء والأبناء من المراهقين والشباب وكل من له صلة بهذه الفئة من أبنائنا ، فإن له أهمية خاصة للمعلم الذى يتعامل مع عدد كبير من أبنائنا المراهقين ، والذى يصبح بالتالى فى حاجة أكثر إلى التعرف الكامل على خصائصهم والمشكلات التى يعانون منها حتى يكون تعامله معهم على أساس من المعرفة السليمة لهذه الخصائص وطبيعة هذه المشكلات ، وعلى أساس الإلمام بكل ما يمر بحياتهم ووسائل توجيه هذه الحياة توجيهها سليما .

ويشتمل الكتاب بهذا الشكل على قسمين أساسيين :

الاول : ويختص بتوضيح خصائص رحلة المراهقة ومظاهر النمو المختلفة التى تطرأ على المراهق خلالها .

الثانى : ويختص بمشكلات المراهقة . ويعالج هذا القسم ثلاثة أنواع من المشكلات التى تعترض حياة المراهقين وتمثل نواحى إهتماماتهم الأساسية ، وهى مشكلات الجنس والزواج وإختيار المهنة ، وأوقات الفراغ وهى الأركان الثلاث الرئيسية فى حياة المراهق حياتهم الجنسية .. والعملية .. وحياتهم فى أوقات الفراغ .

والله أدعو أن يحقق هذا الكتاب الغرض منه كاملا وأن يساعد المراهقين من أبنائنا على فهم أنفسهم وطبيعة مشاكلهم ، والآباء والمعلمين أيضا على طبيعة هذه المرحلة الحساسة التى يمر بها أبنائهم وتلاميذهم ، وينير الطريق نحو حسن التعامل معهم ، ومعالجة قضاياهم ومشاكلهم .

وهو ولى التوفيق .

دكتور ابراهيم وجيه

القسم الاول
خصائص المراهقة

المراهقة هي الفترة التي تلي الطفولة ، وتقع بين البلوغ الجنسي وسن الرشد . وفيها يعترى الفرد .. فتي أو فتاة .. تغيرات أساسية واضطرابات شديدة في جميع جوانب نموه الجسمي والعقلي والإجتماعي والإنفعالي . وينتج عن هذه التغيرات والاضطرابات مشكلات كثيرة متعددة تحتاج إلى توجيه وإرشاد من الكبار المحيطين بالمراهق .. سواء الأبوين أو المدرسين أو غيرهم من المحتكين والمتصلين به .. حتى يتمكن من التغلب على هذه المشكلات ، وحتى يسير نموه في طريقه الطبيعي .

ونتيجة لهذا تصبح صورة المراهق غير صورة الطفل .. حتى لتكاد نعتبرها مرحلة ميلاد جديد ، فهناك مثلاً أجهزة في جسمه تنشط لأول مرة في حياته . الجهاز التناسلي مثلاً الذي تبدأ إفرازاته .. والذي يبدأ يؤدي وظيفته في هذه المرحلة وهناك عدد من التغيرات الإنفعالية التي تجعل صورة المراهق كصورة الطفل الصغير ، الذي يغضب لأقل بادرة وينفجر ويصخب تماماً كالطفل إذا أغضبته ، فإنه يرتجى على الأرض أو يقذفك بشيء .. أو نحو ذلك من التصرفات ذات الخصائص الإنفعالية الحادة .

وهناك تغيرات أساسية في النمو الإجتماعي للمراهق وفي علاقاته الإجتماعية بصفة عامة ، تجعله يأخذ صورة أخرى جديدة تختلف عن صورته في مرحلة الطفولة المتأخرة .. صورة الطفل الصغير المحب للبيت ولزيارات الأهل .. المحب لجلسات الأب والأم ، والاستماع لمناقشاتهما وكلامهما .. المحب لصحبة الأبوين والأهل في جميع الأحوال . فتأخذ هذه الصورة صورة أخرى ..

فالمراهق لا يرغب فى البيت بالمرّة .. ولا يرغب فى صحبة الأهل ، وإنما يرغب فى علاقات جديدة .. يرغب فى مجموعة الشباب الذين من مثل سنه .. يحب الخروج معهم ، ويرغب فى صحبتهم .. إلى غير ذلك من مظاهر التغير فى النمو الإجتماعى التى تخرجه عن صورة الطفل المنصت المطايع المحب للبيت وأهل البيت .. التى كان عليها .

وهناك تفتح جديد أيضا فى قوى المراهق العقلية ، فينمو ذكاؤه بشكل حاد ، ويأخذ تفكيره طابعا غير الطابع الذى كان عليه فى المراحل السابقة .. أو بمعنى آخر يبدو لنا المراهق بصورة غير التى كان عليها ، وتبدو تصرفاته فى نظر الكبار تصرفات غريبة لم يألفوها عندما كان طفلا هادئا وديعا .

وتبدأ مرحلة المراهقة فى العادة فى الثالثة عشرة وتنتهى فى الثامنة عشرة (قد تمتد إلى الواحدة والعشرين) وإن اختلفت هذه السنوات قليلا تبعا لعدد من العوامل .. فهى تختلف بالنسبة لطبيعة الفرد نفسه وتكوينه الجسمى ، اذ تبدأ مرحلة المراهقة مبكرة نسبيا عند ذوى الأجسام الصحيحة والبنية القوية بينما يتأخر بلوغ ضعاف الصحة .. هزال الأجسام . وتختلف أيضا بالنسبة لنوع الجنس ، فهى تبدأ مبكرة قليلا عند البنات وتنتهى مبكرة كذلك بالنسبة لهن . والعوامل البيئية بدورها لها تأثيرها على النضج الجنسى ، كنظام التغذية الذى يسير عليه المراهق ، والظروف الصحية التى يتعرض لها ، وطبيعة الجو الذى يعيش فيه .. إلى غير ذلك . كما ثبت أيضا أن الظروف المناخية لها تأثيرها بدورها على الاسراع ببدء البلوغ أو تأخره فشعوب المناطق الحارة أسرع فى البلوغ من شعوب المناطق الباردة ... وهكذا .

وتعتبر مرحلة المراهقة من أدق وأهم المراحل التى يمر بها الانسان ، ذلك

لأنها هي المرحلة التي يتحول خلالها الفرد من طفل غير كامل النمو إلى بالغ ناضج . والتغيرات التي تحدث للمراهق أثناءها لا تقتصر على جانب أو بعض جوانب شخصيته وإنما تشملها جميعها .. كما أنها مرحلة طويلة نسبياً .

أضف إلى ذلك أن هذه المرحلة بما يصاحبها من تغيرات جسمية وإنفعالية وإجتماعية وغيرها ، يكون لها مطالب وحاجات يتطلع المراهق إلى تحقيقها واشباعها ، وقد يقف المجتمع بتقاليده وعاداته ضد تحقيق هذه المطالب والحاجات مما يضدم المراهق ويوقعه في صراع بين الرغبة في تحقيقها وبين قيود المجتمع وحدوده . ونتيجة هذا كله أن تصبح هذه المرحلة معقدة كثيرة المشكلات . ولاشك أن للمجتمع تأثيره الكبير في مدى تعقيد هذه المرحلة تبعاً لنوع التربية والتقاليد والعادات السائدة فيه ، ومدى توافقها مع متطلبات وحاجات هذه المرحلة أو وقوفها حجرة عثرة في سبيل هذه المتطلبات والحاجات . وإذا كانت هذه الصورة العامة للمراهقة تجعل منها مرحلة ذات حساسية ، فإن لها في مجتمعنا وضعها الخاص وأهميتها الكبيرة . وفيما يتصل بهذا الموضوع هناك ثلاثة عوامل أساسية لها تأثيرها البالغ بالنسبة للمراهقة في مجتمعنا :

الأول : أن هذه المرحلة تبدأ مبكرة في بلادنا إذا قورنت بالبلاد والشعوب الأخرى . وهذا معناه أن الميول الجنسية ، ورغبة المراهق في الأشباع الجنسي تظهر في وقت مبكر . والطريق الوحيد السدى نسمح به ، ونوافق عليه ، ونرضاه لأبنائنا ، لأشباع هذه الميول هو طريق الزواج . وهو مالا يستطيعه المراهق لأسباب كثيرة . منها عدم قدرته على الاستقلال الاقتصادي ، وعدم وصوله إلى درجة من النضج العاطفي والإجتماعي تيسر له في ظروف مجتمعنا

المعاصر أن يكون رب أسرة مسئول ، يمكن أن نعتمد عليه في تربية أطفاله .. إلى غير ذلك من الأسباب الاقتصادية والاجتماعية: والنتيجة أن يلجأ المراهق - إذا لم يجد التوجيه السليم - إلى طرق الأشباع الجنسي الغير سليمة أو غير ذلك من مظاهر الانحراف ، وفي ذلك ما فيه من ضرر بالنسبة لصحة الفرد النفسية وتكوينه بصفة عامة .

الثاني : والعامل الثاني الذي يلعب دوراً أساسياً في حياة المراهقين والشباب ، وله اثره بالنسبة لكثير من المشكلات التي يتعرضون لها ، هو العامل الناتج من إختلاف وجهة نظر الآباء والأبناء بالنسبة لكثير من عادات الجماعة وتقاليدها وظروفها العامة . خاصة وأن مجموعة شعوبنا العربية تمر بفترة صراع بين التقاليد والعادات التي عشنا عليها زمناً ، والتي تتمثل في تقاليد آبائنا وعاداتنا الشرقية والعربية ، ونوع القيم التي جاء بها ديننا السميع الكريم وتراثنا العربي الأصيل ، وبين التقاليد والعادات والقيم التي تأتي إلينا من الخارج ، والتي تحاول أن تجذب أبناءنا من المراهقين والشباب إلى تيارها الدافق السريع . وهذا له تأثيره من ناحية وجهة نظر الآباء والكبار عموماً إلى كثير من الأمور التي يتعرض لها المراهقون والشباب .

فأبناءؤنا ليسوا صورة منا ، تسير في فلك الأسرة وعادات الأسرة . وإنما هم يعيشون ظروفًا جديدة .. فهم يذهبون الآن إلى الخارج ويعيشون هناك أحياناً - فترات من حياتهم تمتد إلى أعوام طويلة يقضونها في بلاد غربية ، لها أوضاعها وتقاليدها الخاصة التي تختلف عن أوضاعنا وتقاليدها ، ويتأثرون بما يحدث هناك .

ويرجعون إلينا بما انطبع في نفوسهم وبما تأثرت به شخصياتهم .
منهم من ينحرف تماما ، ومنهم من يرجع ناقما ، ومنهم من
يتحفظ ، ومنهم من يكتسب من عادات القوم وإتجاهاتهم وقيمهم
بعضها دون البعض . ولكنهم جميعا - على أية حال - يتأثرون
بما يحدث هناك .

والصلة بين هنا وهناك لم تصبح بعيدة ، ولذلك فيندر من بين
المراهقين من لم يحتك بما يحدث في الخارج بصورة أو بأخرى .
أن لم يكن بالذهاب إلى هناك والاتصال المباشر ، فعن طريق
وسائل أخرى كالاستماع إلى الأصدقاء أو عن طريق وسائل النشر
المختلفة من كتب ومجلات وإذاعة وسينما ... وغيرها .

ونتيجة لهذا ، أصبح المراهقون من ابنائنا غير بعيدين عما يحدث
بالخارج وعن التيارات الغربية التي تتجاذب الشباب هناك ،
والتي يقعون في دوامة من المشاكل نتيجتها . ولهذا تأثره في
الحلقات التي تنشأ بين الآباء والأبناء ، وفي وجهات النظر
المتضاربة بينهم .

فبينما يحاول بعض المراهقين الاستفادة من مبادئ حرية الاختلاط مثلا
التي تمنحهم إياها تيارات الحضارة الغربية نجد التحفظ والتمسك
بالتقاليد هو النمط العام لمعاملتنا لأبنائنا من المراهقين والشباب .
خاصة وأن الأبوين ينظران في العادة إلى المراهق الصغير - فتي
أو فتاة - على أنه لا زال ابنها الذي يعتمد عليها في معيشته وفي
كل اموره المادية والاجتماعية ، وليس له بالتالى أن يخرج عن
الأطار العام للعادات والإتجاهات والقيم الذي يعيشون فيه .

ولكن يجب الا يفهم من ذلك أن تمسك المراهقين بوجهات نظرهم في المسائل التي تتعرض لحريرتهم الشخصية ورغباتهم الخاصة ، لا يأخذ على الدوام شكلا ثابتا . بل كثيرا ما تتغير وجهات النظر هذه من موقف إلى آخر . فالمرأق مثلا الذى يرى فى الأختلاط بين الجنسين مظهرآمن مظاهر الحياة الحديثة ، والذى يدافع عن وجهات النظر الخاصة بالحرية الكاملة بين الجنسين .. هذا المراهق نفسه إذا سأله هل يسمح بهذا النوع من الحرية والأختلاط لأخته أو لأمه لتراجع على الفور . وهذا معناه أن نوع العادات والتقاليد التى يأخذ بها هذا المراهق غير مستقرة ، وأن الخط العام لتفكيره ليس له معيار ثابت ، وأن كل رأى من آرائه ابن وقته . وهى الصورة التى نلاحظها على كثير من الشباب فى مناقشاتهم وتصرفاتهم فبينما نراهم يتمسكون بوجهة نظر معينة اليوم ، نجدهم يأخذون الوجهة المضادة فى الغد ... وهكذا .

هذه الصورة تجعلنا أكثر إيمانا بضرورة بذل الجهود نحو توجيه ابنائنا من المراهقين توجيها سليما . ومناقشتهم مناقشة حرة واعية مدركة للتيارات والإتجاهات والأفكار العالمية ونوع القيم والمبادئ السائدة ، وموقفنا من كل منها ، ولماذا نتخذ هذا الموقف . وان نخضع تفكيرنا معهم ومناقشاتنا للواقع الموضوعى كما يتمثل فى مجموعة ظروفنا وأحوالنا ، وأحكام ديننا ، حتى يتبين الشباب حقيقتها ، وحتى يستقيم به الطريق .

الثالث : هو نوع التربية التى نربى عليها ابنائنا . فنحن ومنذ باكورة حياة ابنائنا ، لا نعطى لهم الفرصة للأخذ والعطاء والمناقشة أو الإشتراك

فى تصريف أمورهم وحياتهم الخاصة وتحمل بعض المسئوليات
بالقدر الذى يسمح به سنهم . وإنما هناك باستمرار الأوامر التى
يجب أن تنفذ ، وهناك الطاعة الواجبة .

والنتيجة أن تصبح حياة الطفل حياة استسلام تام . لا يفكر لنفسه
الذى يفكر له هما أبواه ، ولا يختار شيئاً ، وإنما الذى يختار هو
الأب أو هى الأم . ومن ثم فهو يتطلع باستمرار إلى أبويه يسألها
ويتقبل أجابتهما . يطرح عليها متاعبه ومشاكله ليتولوا عنه
مجاهتها والوصول إلى حل بالنسبة لها .

فاذا وصل الطفل إلى مرحلة المراهقة ، تغير الحال ، فالمراهق ،
لا يمكنه تقبل هذا الوضع ، ولا يرضاه لنفسه . لأنه فى نظر نفسه على
الأقل ، أصبح كبيراً له حياته الخاصة وتطلعاته الخاصة ، وله
فكره المستقل . وتصبح صورته من ثم أمام الأبوين غير صورته
وهو طفل .. صورة غريبة لم يتعودوا عليها . بصورة انسان يريد
أن يستقل بنفسه ويفكر لنفسه صورة انسان يرى نفسه ندا للكبار ،
ويرغب فى أن يعامل على قدم المساواة كما يعامل الكبار . بل وفى
بعض الأحيان يرى نفسه أكثر تطوراً وأكثر فهماً منهم لمجريات
الأمر . وهو لهذا لا يسألهم كما كان يسألهم من قبل ، ولا يتقبل
تدخلهم فى أموره الخاصة كما كانوا يتدخلون فى أموره وهو
طفل . ولا يطرح عليهم مشاكله ، بالقدر الذى ينتقد هو تفكيرهم
فى هذه المشاكل والطريقة التى يعالجونها بها .

ويصعب على الآباء فى أغلب الأوقات تقبل هذا الوضع ، أو

تقبل هذه الصورة : لأنهم لا يستطيعون تصور ابنهم على غير صورته أيام الطفولة .. الصورة التي تعودوا عليها .. صورة الابن المطيع الذي يستمع لكلماتهم ويعمل بها من غير مناقشة والذي يتقبل تماماً كل ما يريدون .

وهذا هو سر الخلافات العديدة التي تنشأ داخل الأسرة بين الآباء وابنائهم من المراهقين ، وسر الثورة المستمرة التي نلاحظها على ابنائنا منهم . وبالتالي أحد العوامل الأساسية التي تلعب دوراً كبيراً في حياة ابنائنا من المراهقين والشباب .

كل هذه العوامل تعطي لمرحلة المراهقة أهميتها الخاصة وتجعل من المفيد دراستها والتعرف على خصائصها المختلفة .

ونتعرض فيما يلي لأهم هذه الخصائص من حيث :

١ - النمو الجسمي .

٢ - النمو العقلي .

٣ - النمو الانفعالي .

٤ - النمو الاجتماعي .

وهي النواحي التي نتعرض لها في الفصول التالية .

الفصل الأول

النمو الجسمي

كثيراً ما يهتم الذين يعالجون موضوع المراهقة ومظاهر النمو التي تبدو على المراهقين بالنمو الجسمي بالذات ، على أنه المظهر الرئيسى ومحور الإهتمام فى هذه المرحلة .

والنشاط الجنسى وإن كان يبدو واضحاً حقيقة فى هذه المرحلة ، وتبدأ إفرازات الجهاز التناسلى وقيام هذا الجهاز بوظيفته الكاملة خلالها ، إلا أن هذا النشاط لا يعدو أن يكون نقطة إنطلاق نحو نضج شخصية المراهق بكاملها، وظهوره بمظهر الرجولة أو الأنوثة الكاملة .

وأهم مظاهر التغير الجنسى هو نضج الأعضاء التناسلية عند الذكر والأنثى وكبر حجمها . فهذه الأعضاء تكون صغيرة الحجم فى مرحلة الطفولة ولا تقوم بوظيفتها الطبيعية من إفراز الحيوانات المنوية والبويضات . وعندما يصل الفتى والفتاة إلى سن البلوغ تطرأ على هذه الأعضاء زيادة واضحة فى الحجم كما تبدأ فى الإفراز .

والعلامة التى يستدل بها على نضج الجهاز التناسلى عند الفتاة وبدء عمله وقيامه بوظيفته هو ظهور الحيض (أو العادة الشهرية) لأول مرة . والاحتلام (ظهور المنى عند النوم) عند الفتى . وتظهر هذه العلامات فى الغالب فيما بين سن الثانية عشرة والخامسة عشرة للبنات . والثالثة عشرة والسادسة عشرة للبنين .

وظهور دم الحيض لأول مرة يمكن تحديد وقته وتعرفه الفتاة تماماً ، أما

الاحتلام فلا يمكن بالضبط معرفة وقت حدوثه لأول مرة . ولذلك يستدل على بدء مراهقة الفتى بمجموعة التغيرات التي تطرأ على الفتى في جملتها ومنها الاحتلام .

ومن التغيرات الجسمية المميزة للمراهقة ، بدء ظهور الشعر في أجزاء مختلفة من الجسم . فينمو الشعر حول الأعضاء التناسلية وتحت الإبطين عند الفتى والفتاة . كما ينمو شعر الذقن والشارب عند الفتى ... إلى غير ذلك .

أما التغيرات التي تطرأ على حجم الجسم ، فتبدو واضحة في زيادة الطول وزيادة مفاجئة وكذلك في الوزن ، وفي طول الذراعين والساقين واتساع الكتفين وحجم اليدين والقدمين . وتضخم بعض أجزاء الجسم الأخرى وبصفة خاصة صدر الفتاة .

ويبدأ هذا النمو السريع في العادة قبل البلوغ ، ويستمر لمدة عامين أو ثلاثة أعوام ، ثم يبطئ بعد ذلك ويقف تماماً ما بين الثامنة عشرة والحادية والعشرين .

ويأخذ نتيجه في النهاية جسم الفتى شكل الرجل ، والفتاة شكل جسم المرأة . وينتج من هذا النمو الجسمي السريع عدد من التغيرات والإهتمامات الشخصية المقابلة . فالمرهق شديد الاهتمام والاعتداد بالنمو الطارئ على جسمه في الطول . ولذلك تجده يقيس نفسه يوماً بعد يوم ، ويقارن طوله بطول الآخرين . وهو شديد الاهتمام أيضاً بالتغيرات المصاحبة من نمو شعر الذقن وشعر الشارب وغير ذلك من المظاهر التي تنقله من شكل الطفل إلى شكل الرجل .. شديد الاعتداد والإعجاب بنفسه ، يقف أمام المرأة وقتاً

طويلا يتأمل نفسه ، ويعدل من مظهر شعره .. كثير العناية بملابسه ويتحرى أن تكون من أحدث طراز باستمرار .

وتزيد من هذه الاهتمامات رغبته في أن يبدو أمام أصحابه ، وأمام الجنس الآخر بالذات في أبهى صورة .

وبالمثل تبدى الفتاة نفس الاهتمامات ، ان لم يكن أكثر بمظهرها الانثوى الجديد .

والأباء يشعرون بدورهم بهذه التغيرات الطارئة على أبنائهم ويلاحظونها بصعوبة . فالحذاء الذى يشتري للشاب اليوم يضيق على قدميه بعد شهور ، والملابس الجديدة لا تلبث أن تحتاج إلى زيادة في الطول بعد فترة وجيزة . وما يصلح للشاب هذا العام لابد من طرحه وشراء بدلا عنه في العام الجديد .. وهكذا .

والشباب الذى كانوا يتعاملون معه بلا حرج فيما سبق ، يخلعون أمامه ملابسهم ، أو يسمحون له بخلع ملابسه أمامهم ، أو يساعدونه عند الاستحمام .. أو نحو ذلك من التصرفات .. أصبح كالغريب بالنسبة لهم ، وأصبحت هذه التصرفات تحدث بمنأى عن عينيه وعن أعينهم .

وبالإضافة إلى هذه التغيرات والتصرفات التى ترتبط بالنمو الجسمى السريع خلال مرحلة المراهقة ، والتى تطبع هذه المرحلة بطابع خاص يميزها عن غيرها ، فان النمو الجسمى السريع يكون أيضا على حساب صحة المراهق ونشاطه وحيويته بصفة عامة .

فالمراهق يشعر بالتعب بعد أقل مجهود . فاذا صعد السلم مثلا زاد خفقان قلبه وتسارعت أنفاسه ، يميل إلى الكسل والخمول .. بطيء الحركة .. الخ .

وإذا قارنا هذه الاوضاع بما كان يحدث منه وهو طفل نجد التناقض . فالطفل لا يمل ولا يتعب حتى ولو قضى ساعات في اللعب والحر . يصعد السلم وينزله عشرات المرات بدون أدنى شكوى . ذلك أن نمو الطفل يسير بخطوات معتدلة بطيئة ، اذا قورن بالقفزات السريعة التي يمر بها نمو المراهق وخاصة في السنوات الأولى من مرحلة المراهقة . وهذه الطاقة الموجهة للنمو تكون على حساب صحة المراهق العامة ، ولهذا السبب تكثر الاصابة بأمراض الضعف العام في هذه السنوات ، فتزداد نسبة المصابين بالانيميا وبمرض السل عنها في سنوات العمر الأخرى ، وتقل هذه النسبة بالتدريج بتقدم المراهق في العمر ... وهكذا .

ويصحب هذه التغيرات في النمو الجسمي أيضا تغيرات نفسية أساسية . تنتج عن حساسية المراهق بالنسبة لما يطرأ على جسمه من تغيرات وخوفه أن يكون مختلفا عن الآخرين . ولذلك نجده يهتم بما يطرأ على جسمه ويتنبه له ويقارن ما يحدث له بما يحدث للآخرين . ويظل في خوف وشك إذا صعب عليه المقارنة أو صعب عليه السؤال ، خاصة اذا كان السؤال يتصل بأعضائه التناسلية وقيامها بوظيفتها .. وهي ناحية يوليها المراهق أهمية خاصة . ولنا عودة إلى هذا الموضوع عند الكلام عن النمو الإنفعالي في هذه المرحلة ، وعند مناقشة موضوع الجنس والمشكلة الجنسية عند المراهقين .

والمراهق شديد الحساسية أيضا بالنسبة لبعض التغيرات التي تظهر للعيان . فتجد الفتى يخجل مثلا من القراءة بصوت مرتفع أمام الآخرين ، نظرا لما يطرأ على صوته من تضخم .. ونجده يتحدث بصوت أقرب إلى الهمس حتى يخفي خجله . ونجد الفتاة تخجل من التغيرات التي تظهر على جسمها وتحيله من شكل أقرب إلى شكل الصبي .. إلى شكل الانثى الكاملة . ولذلك تبتعد عن

الحركات . تظهر التغيرات الجديدة كالقفز أو الجرى وتنجبل ، ويحمر وجهها اذا اضطرت إلى ذلك .

وتضيق الفتاة أيضا بالشعر الذى يأخذ فى النمو على بعض الاجزاء الظاهرة من جسمها . وتحاول ازالته أو إخفائه ، وتلجأ إلى مختلف الطرق التى تساعد على ذلك . وكذلك تحاول جاهدة أن تخفى عن حولها كل ما يتعلق بالعادة الشهرية ، وتعتبرها من الاشياء السرية التى لا يجب أن يعرفها الآخرون . فتغسل ملابسها الداخلية سرا بعيداً عن أعين أفراد الأسرة ، وتعتذر عن عدم تأديتها لفريضة الصلاة بأعذار مختلفة ، وتفطر فى رمضان سرا أو حتى تصوم مع بقية أفراد الأسرة حتى لا تضطر للأدلاء بسبب أفطارها .

وحب الشباب ، الذى يكثر ظهوره فى هذه المرحلة ، وما يؤدى اليه من تشويه منظر الوجه يعتبر من المسائل شديدة التأثير على المراهقين . ولذلك يكثر المصابون به من غسل وجوههم والتردد على المرأة باستمرار لملاحظة تأثيره على منظرهم العام ، واستخدام الأدوية وطرق العلاج المختلفة . الخ ، ويصابون بتعاسة كبيرة كلما لاحظوا أن الطرق والادوية التى يستخدمونها لا تؤدى إلى علاج الحالة .

وظهور حب الشباب فى هذه السن يرتبط بالتغيرات الفسيولوجية التى تطرأ على جسم الشاب وتؤثر على جميع أجهزته وتؤثر أيضا على نشاط الغدد المختلفة ومنها الغدد الدهنية والعرقية . فيزداد إفراز هذه الغدد الأخيرة وخاصة فى منطقة الوجه وتؤدى زيادة إفرازها إلى سد المسام ، فلا يستطيع التخلص من العرق بدرجة كافية . ونتيجة ذلك هى ظهور بثرات حب الشباب .

ويساعد على ظهور هذه البثرات عدم العناية بالوجه وغسله ، مما يهيء

الفرصة لتلوث المسام المسدودة ، وأيضا الاكثار من تناول الأغذية النشوية والدهنية التي تضاعد بدورها على زيادة إفراز الغدد الدهنية والعرقية المسبولة عن هذه الحالة .

ولذلك ينصح باستمرار بالعناية بالجسم والاهتمام بنوع غذائه ، حتى نطمئن إلى سلامة تكوينه وإلى نموه في الطريق الصحيح . وحتى يطمئن المراهق في الوقت نفسه ويتخلص من عوامل الخوف والقلق التي تنتابه بالنسبة للتغيرات والمشكلات التي تعترض طريق هذا النمو .

الفصل الثاني

النمو العقلي



أولاً : الذكاء والقدرات الخاصة :

يكتمل في هذه المرحلة التكوين العقلي للفرد بصفة عامة ، كما تظهر فيها القدرات الخاصة . فينمو الذكاء ، وهو القدرة العقلية الفطرية العامة ، نمواً مطرداً . ويقف هذا النمو عند سن معينة خلال هذه المرحلة .

وفي الحقيقة أن النمو العقلي لا يزداد بمقادير ثابتة خلال سنوات عمر الإنسان . وإنما يكون هذا النمو سريعاً في السنوات الخمس الأولى من حياة الطفل ثم يبطئ بالتدريج بعد ذلك .

وملاحظاتنا العامة لأطفالنا تؤيد هذه الحقيقة العلمية . فالطفل في الخمس سنوات الأولى من حياته يكتسب أشياء كثيرة مثل تعلم اللغة ، ومعرفة الأعداد ، وإكتساب أنماط عديدة من السلوك الاجتماعي ، والتكيف بصفة عامة مع الظروف المحيطة . وهي كلها أدلة على سرعة النمو العقلي للطفل خلال هذه الفترة . ثم يطرء النمو بالتدريج حتى يتوقف خلال مرحلة المراهقة .

ويختلف علماء النفس في تحديد هم للسن التي يقف عندها الذكاء . فبينما يعتبر تيرمان في تقنيته لإختبار بينيه للذكاء (تعديل سنة ١٩٣٧) سن ١٥ هو الحد الأعلى الذي يتوقف عنده الذكاء . نجد سن ٢٠ هو السن الذي توقفت عنده زيادة الذكاء في الدراسات الخاصة بتقنين إختبار وكسلر للذكاء .

بيد أن أغلب الدراسات تميل إلى أن الذكاء يتوقف في سن بين السادسة عشر والثامنة عشر . وهذا معناه أن الذكاء يصل إلى حده الأعلى خلال مرحلة المراهقة .

وبالإضافة إلى هذه النتيجة ، تدل الأبحاث الخاصة بالذكاء ، على أن الفروق الفردية في هذه القدرة العامة ، تظهر بشكل واضح خلال مرحلة المراهقة . فيتميز ذكاء كل فرد عن ذكاء الآخرين . وهذا أمر يجب أن يتنبه إليه الآباء والمدرسون .

فالمدرس يمكنه أن يميز بين مجموعات من التلاميذ داخل الفصل من حيث قدرتهم العقلية العامة (من حيث الذكاء) . وتبعاً للتوزيع العادي للذكاء يكون أغلب التلاميذ عاديين (أو متوسطي الذكاء) وقريباً من العاديين . وتبرز قلة منهم ، بينما تتأخر قلة أخرى عنهم كذلك .

والمدرس يضع خطته عادة على أساس ما يستطيعه التلميذ العادي والقريب من العادي . ولكن إذا أراد مراعاة الفروق الفردية بين تلاميذ فصله حقاً ، فيجب أن تكون خطته مرنة بحيث تستوعب أيضاً الفئتين الأخيرتين . فمدرس الرياضيات مثلاً . الذي يتضمن درسه عدداً من التمرينات يختارها على أساس أنها تناسب أغلبية التلاميذ ، يجب أن يضع في اعتباره القلة المتفوقة التي تنتهي من هذه المسائل بسرعة ويكون أمامها فائض من الوقت تمضيه من غير عمل . فيعمل على أن تشمل خطة درسه عدداً آخر من التمرينات تناسب هذه الفئة المتفوقة ، يطلب منهم حلها بعد فراغهم من التمرينات العادية . أما الفئة الثالثة المتخلفة فيمكن أن يوجه لها عناية خاصة ، أثناء إنشغال بقية التلاميذ بحل التمرينات ، بأن يتابع حل ما يستطيعون حله منها في حدود إمكانياتهم ومساعدتهم قدر الامكان . مع الأخذ في الاعتبار أن مهمته ليست على أية حال هي الوصول بتلاميذه جميعهم إلى مستوى واحد ، وإنما الوصول بكل منهم إلى أقصى ما تؤهله قدرته العامة .

وهناك طرق أخرى يمكن أن يلجأ إليها المدرس لمواجهة الفروق الفردية في الذكاء بين التلاميذ ، فعندما لا يستطيع المدرس داخل الفصل ، وأثناء حصص الدراسة العادية أن يوجه عناية كافية لبعض التلاميذ الذين يحتاجون جهدا خاصا ، ويجد أن طبيعة تدريس مادته لا تهيئه له الفرصة الكافية للعناية بالمتخلفين أثناء الحصة . فهنا قد يكون من الأفضل تقديم المعونة لهذه الفئة الأخيرة في غير أوقات الحصص المقررة ، حيث يتوافر الوقت أمام المدرس للتعرف على نواحي الضعف وتوجيه التلميذ على ضوءها ومتابعة الجهد الذي يبذله للتغلب عليها . فضلا عن أن العلاقة الوثيقة التي تنمو بين التلميذ ومدرسه نتيجة هذا الاهتمام المشترك خارج الفصل يساعد في الجهود المبذولة لتحسين تعلم التلميذ بصفة عامة .

وبالمثل يمكن أن يوجه المدرس (خارج الفصل) عناية خاصة أيضا للمتفوقين ، بتوجيههم نحو نواحي النشاط التي تساعد على قدح استعداداتهم العقلية المتميزة . كأجراء البحوث الخاصة أو الاشتراك في عمل المشروعات أو نحو ذلك من أوجه النشاط التي يكتسبون عن طريقها عددا من الخبرات والمهارات التي تمهد الطريق أمام ما يتوقع منهم من النجاح في ميادين الدراسة أو البحث أو العمل التي ترتبط بالتفوق في القدرة العقلية العامة .

وكما ذكرنا تتميز مرحلة المراهقة أيضا بظهور القدرات الخاصة مثل القدرة الموسيقية أو الميكانيكية أو الفنية .. الخ . وترتبط هذه القدرات بدورها بنجاح الفرد في مهن معينة أو أنواع معينة من الدراسة أو نحو ذلك من ميادين النشاط التي تعتمد على توافر قدرات خاصة محددة عند الفرد . مثل ارتباط القدرة الميكانيكية بميادين العمل الميكانيكي . فلا شك أن أعمال

الورش ومعالجة الأدوات الميكانيكية والآلات تعتمد على مجموعة من الصفات والخصائص التي تتطلبها طبيعة هذا النوع من العمل والتي تختلف عن القدرات التي تعتمد عليها أنواع العمل الأخرى . ومثل ارتباط القدرة الموسيقية بالنجاح في الأعمال المتعلقة بهذا الميدان ، مثل العزف على الآلات الموسيقية والتلحين والتوزيع الموسيقي وغير ذلك مما يتصل بالعمل الموسيقي ... وهكذا .

ولأهمية الكشف عن هذه القدرات ، وتوجيه المراهق على ضوءها توجيهها سليما ، سواء بالنسبة للدراسة أو لميادين العمل المختلفة يحسن أن نفرق بين معنى القدرة والاستعداد .

يعنى الاستعداد الحالة التي تدل على قدرة الفرد على إكتساب المعلومات أو المهارات في ناحية معينة إذا أخذ التدريب المناسب ، بمعنى أن الانسان الذي لديه استعداد خاص للعمل الميكانيكى ، فان هذا الاستعداد يظهر ويعمل كقدرة ميكانيكية إذا أتيحت له فرص التدريب في هذا المجال المعين . والفرد الذى لديه استعداد فنى للرسم ، يبقى إستعداده هذا فى صورة قدرة كامنة . ولا تظهر نتيجته إلا إذا أتيحت لهذا الفرد فرصة التدريب على الرسم وفرصة التعلم فى هذا المجال الذى لديه إستعداد فيه .

نخلص من هذا بأن الاستعداد قدرة كامنة تظهر إذا أتيحت لها فرصة العمل والتدريب . وعلى ضوء هذا الفهم لطبيعة الاستعداد نتبين أهمية الإختبارات التي تقيسه فى التنبؤ بنجاح الفرد فى الميدان المهني أو الدراسى الذى يرتبط به . فنتائج تطبيق إختبار الاستعداد الميكانيكى على مجموعة من الأفراد نريد أن نحدد من بينهم من يصلح للعمل الميكانيكى تدل على درجة توافر القدرة الكامنة التي تهيء لصاحبها النجاح إذا أتيحت له فرصة التدريب

والإحتكاك المباشر بهذا الميدان وتفيد بالتالى فى إختيار الافراد الذين يصلحون لهذا العمل .

ومن هنا تبدو أهمية الكشف عن هذه الاستعدادات ، واستخدامها فى توجيه الأفراد نحو أنواع المهن أو الدراسة التى تتفق مع درجة توافرها عندهم . وهذه الامكانية لا تتاح قبل المراهقة ، اذ يمكن فى هذه السن الكشف عنها وتحديد درجة توافرها وتوجيه المراهقين على أساس ذلك توجيهها سليما .

وقد عنى علماء النفس بوضع عدد كبير من الإختبارات التى تقيس الاستعدادات الخاصة لأغلب الأعمال . كما إهتموا أيضا بوضع إختبارات عديدة تقيس إستعداد الطلبة للنجاح فى الدراسة بمراحلها وأنواعها المختلفة وخاصة الدراسات المهنية والفنية .

ثانياً : الوظائف العقلية العليا :

تكتمل فى هذه المرحلة أيضاً الوظائف العقلية العليا ، وتأخذ شكلا يميزها عن المراحل السابقة .

والانتباه هو أحد هذه الوظائف التى تزداد بشكل واضح خلال هذه المرحلة سواء بالنسبة لفترة الانتباه أو بالنسبة لدرجة صعوبة الموضوع الذى ينتبه إليه الفرد .

فقدرة الأطفال على الانتباه فى المراحل السابقة للمراهقة محدودة نسبياً ، فضلا عن أنهم لا يستطيعون الإلمام بالموضوعات التى ينتبهون إليها إلا إذا كانت هذه الموضوعات بسيطة — نسبياً أيضاً — وواضحة . أما فيما يختص بالمراهق فيلاحظ أن قدرته على الانتباه تزداد، فهو يستطيع أن ينتبه لموضوعات

طويلة ومعقدة ، كما أنه يستطيع الاستمرار في الانتباه لموضوع معين (أو مجموعة معينة من الموضوعات والعلاقات التي بينها) فترة زمنية أطول .

ويمكن أن نلاحظ نمو القدرة على الانتباه وتطورها ، بمقارنة قدرة المراهق على الانتباه بقدرة الأطفال الأصغر سناً . فبينما نجد طفل المدرسة الابتدائية مثلاً لا يستطيع أن يركز إنتباهه أثناء الدرس طول وقت الحصة ، إذ سرعان ما يضيق بالدرس وبما يقوله المدرس ، ويبدأ في الانتباه لموضوعات أخرى . كأن يتجاذب الحديث همساً مع الطفل الذي يجلس بجانبه أو يعاكسه أو نحو ذلك من التصرفات التي نلاحظها على تلاميذ المدرسة الإبتدائية ، وخاصة في النصف الأخير من وقت الحصص المدرسية .. نجد المراهق أكثر قدرة على الانتباه وأكثر قدرة على التركيز لفترات أطول من الزمن . فهو يستطيع أن يتتبع لموضوع الدرس لفترة أطول ، ويستطيع أن يتابع ما يجريه المدرس أمامه من تجارب ، أو يشترك معه ومع غيره من التلاميذ أثناء الدرس في مناقشة موضوعات عديدة طويلة وقت الحصة . بل ويستطيع أن يشارك في ندوات عامة أو غير ذلك من أوجه النشاط المدرسي لساعات طويلة من الزمن .

وبالمثل أيضاً ، بينما نجد الطفل الصغير يضيق باللعبة بعد دقائق معدودة ويبحث عن غيرها ، ونجده يشترك مع غيره من الأطفال في لعبة ما ثم يتركها أو يتشاجر معهم ، ولا يستطيع أن يركز إنتباهه للعبة معينة فترة طويلة من الزمن ، حتى لو كانت هذه اللعبة جديدة ولم يتحصل عليها إلا بصعوبة ، وحتى لو كان قد تشاجر من أجلها وحرمان أخيه منها من فترة وجيزة .. نجد المراهق يستطيع أن يشارك الآخرين ألعابهم وإهتماماتهم لفترة طويلة ،

فلا يضيق مثلاً بالجلوس على شاطئ البحر لصيد السمك لساعات طويلة ، أو يضيق بممارسة هواية من هواياته الأخرى ، أو يمل مناقشة موضوع ما مع زملائه أو أصدقائه حتى يصل إلى رأى بالنسبة له .. وهكذا .

ولذلك ننصح الآباء والأمهات باستمرار ، أن يتعاملوا مع أبنائهم على ضوء فهمهم لهذه القدرة النامية عندهم . فتهم الأم مثلاً بتنويع مجالات نشاط أطفالها أثناء لعبهم ، فتشركهم من وقت لآخر في لعبة جماعية ، وتبدل من وضعهم أثناء اللعب كلما مر بعض الوقت ، أو تلفت أنظارهم إلى لعبة جديدة . وهكذا ، حتى تتجدد فترات إنتباههم بتجدد مجالات النشاط التي يشتركون فيها .

وبالنسبة للمدرس - وخاصة في المدرسة الابتدائية - ننصح أيضاً ألا يسير الدرس على وقرة واحدة . بل يجب أن ينوع المدرس من طريقة معالجته لمادة الدرس . فإذا أهتم في جزء منه بالشرح ، يحسن أن يغير في الجزء الثاني من أسلوب العمل .. فيشرك تلاميذه في المناقشة ، أو يطلب منهم قراءة بعض الموضوعات المتعلقة بالدرس ، أو عمل تطبيقات عليه أو نحو ذلك ، حتى تتجدد بالمثل فترات إنتباههم ... وهكذا .

وبالمثل تزداد أيضاً قدرة المراهق على التذكر . وتذكر المراهق يختلف بدوره عن تذكر الطفل في المراحل السابقة . فالتذكر هنا - أعنى في فترة المراهقة - يعتمد على الفهم ، عكس تذكر الأطفال فهو من النوع الآلى الذى يعتمد على ترديد الكلمات وحفظها حفظاً آلياً .

لاحظ مثلاً الأطفال وهم يرددون الأناشيد التي يطلب منهم حفظها . ترديداً آلياً ، من غير فهم معنى هذه الأناشيد أو ما تتضمنه من كلمات

ولاحظ أيضاً حفظهم لآيات القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية أو القطع الشرعية والنثرية التي يطالبون بحفظها ، وكيف يأخذ الواحد منهم يردد الجمل مرة بعد أخرى على نفس الوتيرة ، حتى تنتظم عنده في النهاية قطعة واحدة يرددها كالاسطوانة من غير فهم لمعانيها أو إدراك لما تتضمنه من أفكار . اللهم إلا إذا نبه بعضهم لبعض معانيها أو للأفكار التي تتضمنها .

أما المراهق فلا يستطيع ذلك ، ولا تقف قدرته العقلية النامية عند حد الحفظ الآلى . بل إنه يقف عادة عندما يبدأ في حفظ قطعة عند كل جملة أو عبارة ليلتقط معانيها أو ليحدد الأفكار التي تدور حولها ، ويسأل بإستمرار عن معنى الكلمات الصعبة التي تتضمنها ... وهكذا . وهذا هو السبب نفسه الذى من أجله يكثر نقاش المراهقين للموضوعات التي يطالبون بحفظها وللدروس التي يأخذونها فيميل الطفل إلى إتباع التعليمات التي تلقى عليه ، ويسير على ضوئها تماماً ، وبينما يميل إلى متابعة المدرس في خطوات درسه خطوة خطوة ، ويتقيد بالطريقة التي ينتهجها كما هي من غير تغيير ، ويحفظ الدرس كما هو .. نجد المراهق يميل إلى فهم ما يطلب منه وما يريد أن يتذكره . وكلما زاد فهمه كلما زادت قدرته على التذكر والعمل بنجاح .

نلاحظ ذلك أيضاً على المراهق وهو يستذكر دروسه . فالدرس الذى لا يفهمه . والكتاب الذى يقرأ كلماته ويضطر لأن يحفظها كما هي بدون أن يعرف معناها أو يفهم ما تتضمنه ، لعدم وجود من يشرحها له أو لغير ذلك من الأسباب ، يكثر وقتاً طويلاً في عملية حفظها . وأحياناً يمضى الساعات الطويلة في حفظ صفحة أو صفحتين من مذكراته أو كتبه بلا نتيجة . وإن حفظها بعد ذلك ، نتيجة لكثرة التكرار ، يكون حفظه مؤقتاً سرعان ما ينتهى

وحده ، وسرعان ما تتبخر من ذاكرته الكلمات والأشياء التي استذكرها بعد وقت قصير . أما الأشياء التي يفهمها ويلم بمعناها ويدركها تماماً فلا يستغرق فيها مثل هذا الوقت ، ولا تضيق من ذاكرته بمثل هذه السهولة .

وتزداد أيضاً قدرة المراهق على التخيل . وهذه القدرة بدورها تطبع المراهقة بطابع خاص يميزها عن غيرها من مراحل العمر . فنحن لا ننسى أبداً الساعات الحلوة التي أمضيناها — في فترة مراهقتنا — ونحن نتخيل صوراً من حياتنا وما نتوقعه لهذه الحياة .

وتظهر هذه الصور بشكل واضح في أحلام اليقظة التي يجد فيها المراهق متنفساً للهرب من الواقع واللجوء إلى عالم من الخيال ، يرضى فيه نزعاته من إشباع الدافع الجنسي ، والوصول إلى مركز مرموق ، ويحقق فيه أنواعاً من البطولة والزعامة يرنو إليها بإعجاب في حياة الواقع ويتخيل أن يكون مثلها في مستقبل الأيام ويشبع عن طريقه رغباته التي لا يستطيع تحقيقها عن الطريق الطبيعي .. طريق الحياة الواقعية .. فيهرب إلى هذا العالم — عالم أحلام اليقظة — الذي لا تصادفه فيه عقبات أو مشكلات . ويحقق فيه كل ما يريد ويشتهي .

فالمراهق الذي يتباهى أمامه المراهقون الذين في مثل سنه بمغامراتهم ورحلاتهم . وما صنعوه في هذه الرحلات وما حققوه عن طريق هذه المغامرات . قد يستغرق في هذا النوع من الأحلام ويرجم أحلامه في النهاية في صورة قصص مبالغ فيها .. يعبر فيها عن حاجته هذه ، ويؤكد عن طريقها اعتباره لذاته التي لا تجد لنفسها متنفساً في هذا المجال في ميدان الواقع ، فتلجأ إلى الخيال .

ولا نريد أن نغالي ونحكم على أحلام اليقظة على مختلف صورها ، بأنها

نشاط غير طبيعى وغير عادى . فليست هذه هى الحقيقة - بل إن الحياة الطبيعية تتطلبها أحياناً كمتنفس يلجأ إليه الفرد للتخلص من بعض رغباته أو لتحقيق بعض آماله . وليس منا فى الواقع من لم يحلم أحلام يقظة . بل وأكثر من هذا ، ليس هناك نجاح أو عمل رائد إلا وسبقه مثل هذا النوع من الأحلام فالشخص الذى أصبح مهندساً ناجحاً أو طبيباً كبيراً لابد وأنه مرت عليه أوقات إبان مراهقته تخيل نفسه فيها يقوم بهذا العمل أو ذاك ويحقق فيه أقصى أمانى النجاح .

ولذلك يمكن أن نعتبر أحلام اليقظة وسيلة سوية إذا كانت دافعاً للفرد لأن يكمل عن طريق الواقع أحلام يقظته . فطالب الثانوية العامة مثلاً الذى يحلم بأن يصبح مهندساً كبيراً يقيم السدود الضخمة والمنشآت الكبيرة أو طبيباً لامعاً يجرى أدق العمليات ، ويمارس الحياة العامة من خلال هذه المهنة أو تلك مبجلاً يشار إليه وإلى أعماله بالفخر... وتدفعه أحلامه إلى أن يجد ويستذكر دروسه بإهتمام ، ليحصل على مجموع الدرجات الذى يؤهله للالتحاق بكلية الهندسة أو كلية الطب كخطوة أولى فى سبيل نجاحه وتحقيق أحلامه .. يمثل طريقاً سويّاً لأحلام اليقظة . أما لو اكتفى مثل هذا الطالب باجتراح أحلامه ، واقتصر على تحقيقها فى الخيال ، وظل يجلس الساعات يحلم .. ويحلم فحسب ، فإن أحلام اليقظة ستمثل نوعاً من الهروب الغير سوى الضار . ولن يجنى الشاب من ورائها إلا ذكرى هذه الأحلام .

وتفكير المراهق بدوره له طابعه الخاص . ويختلف من حيث النوع عن طابع التفكير الذى يمثل الطفل وخاصة فى سنوات عمره الأولى . فتفكير الطفل فى هذه السنوات من النوع الحسى الذى يعتمد على استخدام الحواس :

ويتحدد في أغلبه بالعوامل الإدراكية والأشياء التي يشتمل عليها الموقف الذي يفكر فيه . ولا يمتد إلى إستخراج العلاقات التي بينها والنتائج التي يمكن أن تسفر عنها .

أما التفكير المجرد والقدرة على التحليل المنطقي ومعالجة الأشياء الغير موجودة والغير ملموسة أو الملاحظة ، فيأتي مع المراهقة . وعندها يستطيع المراهق أن يعالج القضايا العقلية الصرفة ويقومها ، وأن يناقش بدرجة من الدقة العوامل أو الأسباب التي تستند إليها قضية ما ويفسرها على ضوءها ويعطى رأياً فيها . وهو في معالجاته هذه ومناقشاته لا يعتمد على تفكيره الحسي ، وإنما يعتمد في الغالب على التعبيرات اللفظية والعمليات الرمزية ، والإجراءات التي لا تعتمد على استخدام الحواس ، وعلى اشتقاق الاستنتاجات بطريقة عقلية صرفة .. وغير ذلك من العمليات التي يعتمد عليها التفكير المجرد .

ومعرفة هذه الأمور من الأشياء الأساسية بالنسبة لمن يتعامل مع المراهقين آباء ومدرسين .

فتعلم العد يحسن أن يبدأ بالاعتماد على حواس الطفل ، وأن تستخدم في تعلمه موضوعات يمكن أن يدركها الطفل ويتعامل معها بطريقة مباشرة . كاستخدام كرات البلي أو عيدان الكبريت أو قطع النقود أو نحو ذلك من الأشياء التي تساعد على أن يدرك الطفل عن طريق حواسه الموضوع الذي يتعلمه .. عندما يضيف مثلاً بليتين إلى ثلاث ويدرك أنهما خمسة وهكذا .

ودروس الحساب في الصفوف الأولى من المدرسة الابتدائية التي يتصور المدرس أنه يسهل على التلاميذ حل بعض مسائلها بفرض أن المقدار

المجهول هو .. س . وتكلمة خطوات المسألة على هذا الأساس لتعيين قيمة هذا المقدار . لا يستطيع التلاميذ فهمها لأنهم في هذه السن لا يدركون معنى الرموز المجردة ويجب عليه (على المدرس) بالتالي أن يغير من طريقته وأن يستخدم طرقاً أقرب إلى مستوى تفكيرهم في هذه المرحلة .

وبالمثل مدرس اللغة العربية الذى يختار لتلاميذه في هذه المرحلة (المرحلة الابتدائية) موضوعات مجردة لا تتفق مع مستوى نمو تفكيرهم ، كأن يطلب منهم أن يكتبوا عن الفضيلة أو معنى الخير أو نحو ذلك والأفضل أن يختار لهم موضوعات تتصل بواقعهم ومشاهداتهم ، مأخوذة من البيئة المحيطة بهم . وتمثل أشياء يستخدمونها كأن يطلب منهم وصف يوم من أيام الدراسة وما فعلوه في هذا اليوم . أو وصف رحلة قاموا بها وما شاهدوه أثناء هذه الرحلة أو نحو ذلك من الموضوعات ذات الصلة بهم والتي يدركونها ويلمسونها عن قرب ولا تتطلب مستويات عالية مجردة لم يصل إليها تفكيرهم .

الفصل الثالث

النمو الانفعالي



تتميز مرحلة المراهقة أيضاً بالتغيرات الانفعالية العديدة التي تطرأ على المراهق . وأغلب هذه الانفعالات من النوع الحاد العنيف الذي يجعل صورة المراهق غير صورة الطفل الهادىء الوديع التي كان عليها في المراحل السابقة . وفي الواقع إن مرحلة المراهقة من هذه الناحية — أعنى لحدة انفعالاتها — تكاد أن تكون مرحلة ميلاد جديد . فصورة المراهق بالنسبة للأبوين هي صورة الطفل الصغير الذي يتفعل لأنفه الأسباب والذي يثور لغير ما سبب ، أو لسبب لا يعرفه الأبوان على وجه التحديد . فالطفل — في سنوات عمره الأولى — إذا اغضبه أو رفضت أحد طلباته ، لا يقابلك إلا بالثورة والبكاء والارتقاء على الأرض . وغير ذلك من الصور الانفعالية الحادة التي لا يستطيع الأبوان التصرف بالنسبة لها في أحوال كثيرة . والتي يواجهونها في الغالب بمراضاة الطفل وتنفيذ ما يطلبه مكرهين .. حتى يسكت أو يهدأ . أو على العكس يقابلونها بالحرم والشدة والقسوة حتى يسكت الطفل أيضاً ويستكين .

فإذا تدرج الطفل في سنوات العمر أخذت هذه الصورة الانفعالية تهدأ بالتدريج . وأصبح أكثر طاعة وأكثر استكانة . وأصبح يدرك الأمور ويعيها ويعرف حدود ذاته ، ويعرف أيضاً حدوداً لمتطلباته . وتبدأ سفينة الحياة تسير به في تيار هادىء من العلاقات الودودة بينه وبين الأم والأب . حتى إذا وصل إلى سن المراهقة تغير الحال . وأصبحت صورة المراهق

بالنسبة للأب صورة غريبة ، صورة ينكرها ولا يكاد يعرفها ، فالابن الهادئ المطيع الذى كان عليه الطفل فى السنوات السابقة لمراهقته ، أصبحت صورته غير صورته الآن . فهو الآن يثور ويغضب . وثورته ليست من النوع البسيط . كثوراته وهو طفل ، وغضبه ليس من نوع الغضب الذى كان ينتهى لوقته متى ربت الأم أو الأب على كتفيه ، وكفكفا له دموعه . وإنما الغضب هنا لا ينتهى بسهولة ، وقد يصحبه تحطيم الأشياء التى فى متناول يديه أو ترك البيت للأبوين أو تمزيق الثياب أو نحو ذلك من التصرفات

وثوراته هنا — أعنى فى مرحلة المراهقة — ليست موجهة فى حقيقتها لشيء محدد أو للأم أو الأب بالذات ، وإن ارتبطت وقت حدوثها ببعض الطلبات أو الاحتكاكات العادية التى كان يمكن أن تمر بسلام ، وإنما هى ترجع فى حقيقتها إلى طبيعة المرحلة التى يمر بها والمشاكل التى تواجهه وأنواع الصراع التى يتعرض لها ولا يستطيع أن يتصرف بالنسبة لها . ويجد فى طلب يرفضه الأب مثلاً أو كلمة يقولها ولا ترضيه ، متنفساً لما يضطرم بداخله ، فينطلق مندفعاً ثائراً ضد الأب وضد الجميع . وقد يكون الطلب — كما قلت — بسيطاً يمكن تحقيقه لو استمرت المناقشة هادئة بين الأب والابن حتى يتوصلا إلى حل بالنسبة له ، وقد تكون الكلمة بدورها غير عنيفة ولا تستحق الثورة التى يقيمها الابن من أجلها . ولكن — كما قلت أيضاً — ليس السبب هو الطلب نفسه أو الكلمة فى حد ذاتها ، وإنما فى الغالب هو مجموعة العوامل وأنواع الصراع التى تمثل حياة المراهق بكاملها . وما يتعرض له من ضغوط . والتى يجد فى أية مناسبة تعرض له متنفساً لها يفرغ عن طريقه بعض ما يثور ويضطرم بداخله .

ولعل في تتبع بعض العوامل وأنواع الصراع التي يتعرض لها المراهق من هذه الناحية - أقصد الصراع الانفعالي - ما يلقي الضوء على طبيعة المراهق وطبيعة العوامل التي تحركه وتوجه تصرفاته .

فمن ناحية نجد أن نمو المراهق ، وما يطرأ على جسمه ، وطبيعة التغيرات الفسيولوجية التي تتميز بها هذه المرحلة تسبب له قلقاً بالغاً . فهو يرى التغيرات التي تطرأ على جسمه ولا يفهم حقيقة بعضها ، ويشعر كما لو كان هو الشخص الوحيد الذي تحدث له هذه التغيرات . والتي كان يجب أن يعرف المراهق - سواء عن طريق أبويه أو عن طريق المدرسة أو غيرهما من المؤسسات الاجتماعية المسئولة عن تربيته وإعداده - أنها طبيعية وإن كل فرد لابد وأن يمر بها . وكذلك الحال بالنسبة للتغيرات الداخلية التي تحدث للمراهق والتي يشعر بها ويود أن يعرفها وأن يفهمها كذلك ، ولا يجد من الأبوين بالمثل أو مدرسي المدرسة أو غيرهم تشجيعاً على مناقشتها معه أو تفهيمه إياها .

والدافع الجنسي الذي يظهر بشدة في هذه المرحلة ، هو أحد هذه التغيرات التي تسبب للمراهق قلقاً شديداً ، بسبب رغبته في تفهم الأمور الجنسية ورغبته في إشباع هذا الدافع . تلك الرغبة التي تلاقى من المجتمع معارضة شديدة فيضطرب المراهق نتيجة هذا التضارب بين الرغبة الجنسية الملحة وبين مقتضيات المجتمع وتقاليده ، ويزيد المشكلة تعقيداً ما يحاط بالدافع الجنسي وبالمسائل الجنسية عموماً من غموض وتكتم وشعور بالخطيئة والاثم . فهنا يقع الصدام بين الرغبة في تفهم المسائل الجنسية وإشباع الدافع الجنسي وبين الموانع التي يضعها المجتمع مما يؤدي بالمراهق إلى أقصى أنواع الصراع النفسي . ذلك أن الطريق الوحيد الذي يرضى عنه المجتمع ، ويرضى عنه الدين ويسمح

به الأبوان هو طريق الزواج . وهو طريق لا يستطيع المراهق أن يسير فيه في الظروف العادية الحالية لأسباب إجتماعية واقتصادية عديدة . ولذلك فهو كثيراً ما يلجأ إلى طرق الاشباع الجنسي الغير سليمة مثل ممارسة العادة السرية وغير ذلك من الطرق (التي سنعود إليها بنوع من التفصيل عند معالجة المشكلة الجنسية) وكلها أمور تزيد من قلق المراهق وشعوره بالذنب خصوصاً وإنه يعرف أنها كلها أمور لا يرضى عنها الدين ، ويسمع من المحيطين به أنها ضارة وغير مرغوب فيها .

وهناك مظهر ثان من مظاهر الصراع التي يتعرض لها المراهق هو الصراع الديني ورغبة الشباب في تفهم الأمور الدينية والتوافق مع ما يأمر به الشرع ويرضى عنه .

وهذا الصراع لا يتعرض له شبابنا فحسب بل ربما كان شباب بلاد العالم لأخرى — والغربية منها بصفة خاصة — أكثر تعرضاً له ، وربما كانت مشاكلهم فيما يتصل به أكثر تطرفاً وأدعى للاهتمام ، والقلق .

فالصورة الشائعة لشبابهم — مهما حاولت أن تجد لنفسها من مبررات ، ومهما حاولت أن تصبغها بصبغة فلسفية تتخفى وراءها ، هي صورة الفراغ .. والضيق .. صورة البحث عن أى موضوع أو أى مجال يشغل وقتهم وتنعكس فيه مشاعرهم . وينفَس عن مكنون دوافعهم . ولذلك فهي صورة تتجه إلى المظهر أكثر من اتجاهها إلى الجاد من شئون الحياة . ونجد أن الاهتمام فيها يتجه إلى إطالة الشعر أو تمزيق الثياب أو العري .. أو نحو ذلك من المظاهر التي أصبحت عادية ومألوفة في أوساطهم نراها كل يوم وكأنها جزء طبيعي لا يثير الدهشة أو الاستغراب .

نراها بين شبابهم المدمن للمخدرات أو ما هو شر من المخدرات الداعى
لأنواع شاذة من العلاقات الجنسية ، ترضى عنها مجتمعاتهم وتتقبلها بلا تخرج
ولا تدخل .

وإذا رجعنا إلى الأصل في هذه الصورة ، إذا رجعنا إلى السبب . لوجدنا
أنه عدم وجود أهداف وغايات حقيقية تستحوذ على مشاعرهم وتوجه بالتالى
سلوكهم . إذ لو وجدت هذه الأهداف والغايات واتجهوا نحو تحقيقها ،
لكانت حياتهم غير هذا النوع من الحياة ، ولكانت عيشتهم غير عيشة الفراغ
والضياع .

والهدف الأمثل الذى يمكن أن يجمع الشباب حوله . والذى يمكن أن يجد
من تطرفهم ، ويضع أمامهم القدوة الصالحة والطريق الواضح المستقيم هو
الدين . وهو الهدف الذى يفتقدونه ، ولا يجدون منطلقاً للسير على هديه وفى
سبيله .

ولهذا السبب لا تأخذ صورة الصراع الدينى عند شبابنا نفس الصورة ،
ولا تصل بهم إلى نفس الدرجة من الفراغ والضياع . ذلك أن الدين الإسلامى
بحمد الله واضح النهج .. واضح الغايات . وتربيتنا لأبنائنا معها اختلفت تسير
على نفس النهج وترتبط بنفس الغايات ، هو السبب الذى جعل مشاكل
شبابنا - فيما يتصل بهذا الجانب - أقل حدة وأقل تطرفاً .

إلا أن الملاحظ لشبابنا يجدهم تارة يتمسكون بأهداب الدين ويغالون فى
هذا التمسك ، وتارة أخرى يجدهم غير مباليين تجذبهم تيارات الحياة المختلفة
فما هو السر ؟ ما هو سر التذبذب فى الشعور الدينى عند الشباب ؟ لماذا نراهم
آنأ يقبلون على الدين أشد الإقبال ، وآنأ آخر نراهم بعيدين عنه كل البعد ؟

لنقف قليلاً عند هذه الأسئلة لنسترجع بعض الحقائق عن المراهقة والشباب...

سبق أن ذكرنا ، أن الشاب لا يكاد يقبل على فترة المراهقة حتى يكون ذكاؤه وقدراته العقلية ، وخاصة قدرته على التفكير المجرد ، قد نمت بشكل ملحوظ . فيبدأ يفكر في موضوعات عديدة . يفكر مثلاً في معنى الخير والشر والواجب والإله ومصدر الكون .. وغير ذلك من الموضوعات . ويسأل هذا وذلك ، ويظل يناقش فيها ويجادل .

ومن الأمور الهامة التي يميل إلى مناقشتها ضمن هذه الموضوعات ويوليها أهمية خاصة المبادئ الدينية وحقائق الدين . تلك المبادئ والحقائق التي كان يسلم بها في أيام الطفولة ويصدقها تصديقاً تاماً من غير جدل أو محاوره . ذلك أن ذكاؤه المتزايد وتفكيره وعقليته الواعية ، لم تعد تسلم ببساطة بكل ما يلقى إليها من غير أن يقتنع هو نفسه بهذا كله .

ويأخذ هذا الشعور في الزيادة والنمو . ويكثر جدل المراهقين والشباب حول المسائل الدينية إلى درجة تجعل الكبار يفسرونه في بعض الأحيان . على أنه إلحاد وكفر بالدين . وهو ليس كفرّاً في الواقع وليس إلحاداً . بل رغبة في المعرفة والإلمام بهذه النواحي كرهبته في الإلمام بغيرها من الموضوعات ، وأن اهتمامه الخاص بأمور الدين هو السبب في كثرة جدله ومناقشاته .

ومن ناحية أخرى نجد المراهق كثيراً ما يلجأ إلى هذا الشعور الديني المتزايد في القضاء على بعض مشاكله الانفعالية ، وفي التغلب على نزعاته ورغباته الجاحمة ، وخاصة الجنسية منها . وذلك عن طريق ممارسة واتباع قواعد الدين وأوامره التي تنهى عن هذه الرغبات والنزعات .

إلا أن هذا الشعور الديني لا يكون بدرجة واحدة . وإنما يرتفع أحياناً

وينخفض أحياناً أخرى . ولو حاولنا أن نبحث عن أسباب هذا التذبذب في درجة الشعور الديني ، لوجدنا أن وراءها نوبات من الشعور بالذنب ، فالأمر لا يخلو أحياناً من استسلام المراهق والشاب لنزوة جنسية ، كتمارس العادة السرية أو رؤية أحد الأفلام الخارجة ، أو التطلع إلى صورة عارية .. أو نحو ذلك . مثل تلك النزوة يتبعها في العادة شعور بالذنب يحاول الشاب تغطيته بزيادة إقباله على الدين والقيام بشعائره حتى يتطهر من الذنب الذي ارتكبه . هذه هي الدوافع الحقيقية وراء التذبذب في الشعور الديني عند المراهقين والشباب . فما هو واجبنا بالنسبة لها ، وما الذي نفعله من أجلهم ؟

إن التخلص من هذا الشعور ، واستقرار الشاب من هذا الجانب لا يأتي نتيجة النصح ، أو حتى نتيجة الضغط والزجر أو التهديد . وإنما يأتي نتيجة التعرف الكامل على طبيعة الدوافع التي تجتاحه وكيف يتغلب عليها . ونتيجة الفهم الصحيح لأصول الدين والإدراك الواعي للمعاني السامية التي يتضمنها . ليس بقصد حفظها وتسميعها كما هو الحادث في مدارسنا . وفي تعليم أبنائنا دروس الدين . وإنما بقصد العمل على ضوئها والسير على هداها . ولن يتحقق هذا الهدف إلا إذا تضافرت جهودنا جميعاً على تحقيقه في البيت وفي المدرسة وأيضاً عن طريق وسائل الإعلام وغير ذلك من الهيئات المسئولة عن إعداد الشباب . وعن طريق القدوة في البيت . وعن طريق التوجيه السليم . عندما يرى الأبن أباه وأمه يمثلان لأوامر الدين ولروحه في كل أمورهما . وعندما يثان في الأبن منذ صغره روح الدين الحق ويتبعان نموه ويوجهان سلوكه على ضوء هذه الروح . وفي المدرسة عندما تنحى جانباً الاهتمام بالدين من حيث هو مادة ينجح فيها الطالب أو يرسب ، ونجعل اهتمامنا الأول للدين من حيث هو

سلوك يمارس بوعى وبفهم وبعمق وبحث عن القيم الحقيقية التى وراءه .. وغير ذلك من الوسائل التى تهدف إلى الممارسة الحقيقية ، وإلى التخلق حقاً بقيم الدين وآدابه والعمل بتعاليمه .

والمظهر الثالث من مظاهر الصراع التى يتعرض لها المراهق هو الصراع الناتج عن اعتداد المراهق بذاته ، ومحاولته التحرر من التبعية الطفلية ، وبين الخضوع لأوامر الأبوين والمدرسة والكبار عموماً . فأغلب الآباء ينظرون للمراهق على أساس أنه هو ابنهم الذى تعود على طاعتهم . وأن هذا الأبن -مع علمهم بأنه قد كبر حقاً فى الجسم ، ومع إعتقادهم بأنه قد نَمى حقاً فى العقل وفى المعرفة - إلا أنه بالرغم من كل هذا هو ابنهم الذى يشرفون على تربيته وتوجيهه ، والذى ينفقون أيضاً عليه ، والذى يرتبط بهم ارتباطاً كاملاً فى كل شىء . ومن ثم يجب ألا يخرج عن الإطار الذى يرسمونه له ، والذى تتمثل فيه مجموعة القيم والعادات والتقاليد التى ساروا عليها .. والتى يريدونه أيضاً أن يسير عليها ، ومجموعة القواعد والتعليمات التى يرون أنها تمثل الطريق القويم والخطوة المثلى لإعداداته وتنشئته . هناك مثلاً مواعيد محددة لخروجه ودخوله يجب أن تسير تحركاته على ضوءها فإذا تأخر أين كان .. ومع من .. الخ . فهذه مسائل يجب أن تعرف .. وأن يكون الجواب عليها حاضراً وواضحاً لا يثير الشك أو الارتياب . وهناك أصدقاءه مع من يسير ، وإلى من يذهب ومن اختار .. إلى غير ذلك من الأمور التى تتصل بصميم حياته وإختياراته . هذا من وجهة نظر الآباء ...

أما الأبناء فلهم وجهة نظر أخرى تتعارض بدرجة أو بأخرى . مع وجهة نظر الآباء . فالمراهق يرى أن له الحق فى أن يشعر بحريته الكاملة يخرج متى

شاء ويرجع متى أراد .. من غير أن يسأله سائل إلى أين خرج أو من أين جاء ه
لأنه — كما يرى — أدرى بمصلحته وبأموره ، ولم يصبح بعد الطفل الذى
يخافون عليه .

ولكن هل يتركه الآباء ليفعل ذلك ؟ بالطبع لا . فهم يخافون عليه .
ويزداد خوفهم ، كلما تقدم به العسر وزاد خروجه ورجوعه وزادت علاقته
واتصالاته . ويزداد إلحاحهم وتساؤلهم كلما أصر على عدم الإجابة على أسئلتهم
والأنصياغ لما يطلبون .

وهكذا يجد المراهق فى دوامة من القوى التى تدفعه من الداخل ، والعوامل
التي تؤثر فيه من الخارج .. هذه القوى والعوامل التي تتحول فى النهاية إلى
هزات واضطرابات عنيفة تحتاج هدوءه واتزانه ، وتجعله يبدو بالصورة
المهتزة الغير مستقرة التي نراها ، والتي تحتاج إلى من يفهمها وإلى من يعاون
المراهق على أساس هذا الفهم معاونة جدية . بل وتحتاج إلى توجيه الآباء وكل
من يتعامل مع المراهقين والشباب إلى نوع المعاملة المطلوبة .

ويجب أن نوضح أن معالجة مثل هذه الأزمات التي تواجه المراهقين ،
وأشكال الصراع التي يتعرضون لها ، وإنما تتم بالتوجيه السليم ، وأخذ الأمور
بالرفق ، والفهم الصحيح لطبيعة المشاكل التي يعانون منها وطبيعة المرحلة
التي يمرون بها . وأنه من الضروري أن يهتم الآباء وكل المتصلين بالمراهق
والشباب بمشاكله النفسية ومتابعه ، والعمل على تلافى أسبابها من أول الأمر .
حتى لا تتطور وتتأزم وتتحول إلى أعراض يصعب علاجها .

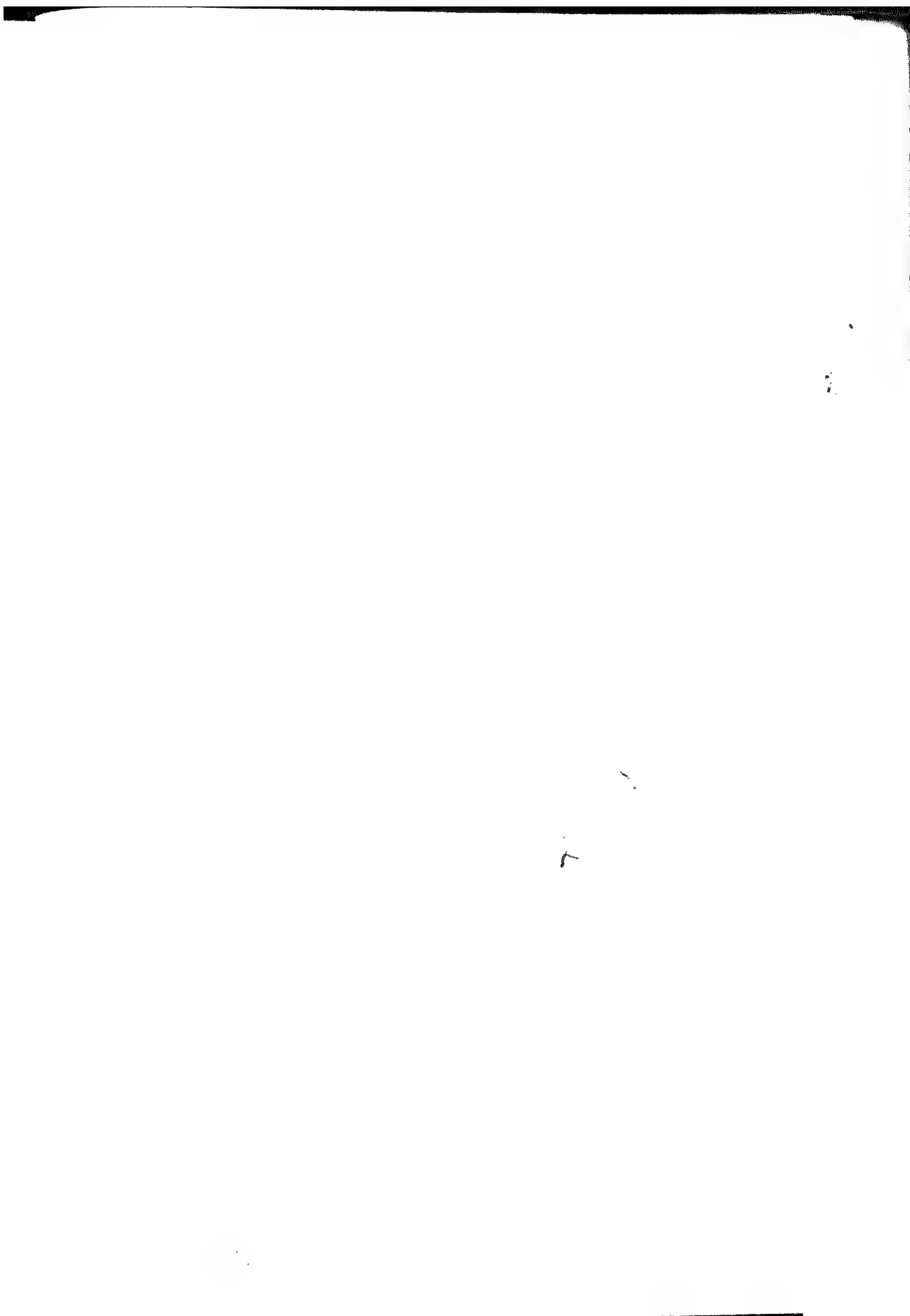
وأفضل طريقة تساعد كلا من الأب والشاب على مواجهة مشاكله
الخاصة بمواجهة سليمة ، هي تعويد الأبن الشاب منذ طفولته — وتعود الأب

كذلك - على حرية المناقشة والمشاركة في الرأي . حتى إذا أقبل الأبْن على
على مرحلة المراهقة ، ناقش أموره مع الأب بنفس الروح وبنفس الكيفية
التي كان يناقشه بها في طفولته . ولن يجد غضاضة في أن يعرض عليه أموره
الخاصة . بل لن يجد في هذه الحالة من هو أفضل من الأب ليعرض عليه
أسراره ، ويطلب منه رأيه الخاص فيها .

إن الهوة الكبيرة بين تفكير الأب والأبْن لا تنشأ في مرحلة المراهقة ،
وإنما هي إمتداد طبيعي لنوع المعاملة التي كان الأب يعامل بها ابنه من قبل .
فالأب الذي يزجر ابنه الصغير لأقل حركة أو لأبسط سؤال ، والذي يضربه
لأهون غلطة .. هو نفس الأب الذي سيحاول ابنه أن يهرب منه عندما تتاح
له الفرصة . ولن تتاح له الفرصة طبعاً قبل سن المراهقة والشباب . ولذلك
ما يكاد يصل إليها ويشعر بأنه قد وصل إلى السن الذي يسمح له بالإنفصال ،
حتى يبادر إلى التمسك بحريته الخاصة ، ويعلن رغبته في الاستقلال والتصرف
وفقاً لرغباته هو لا لرغبات الآخرين .

الفصل الرابع

النمو الاجتماعي



يأخذ النمو الإجتماعى فى هذه المرحلة شكلا مغايراً لما كان عليه فى فترات العمر السابقة . فبينما نلاحظ اضطراب النمو الإجتماعى للطفل منذ ولادته ، ومنذ ارتباطه فى السنوات الأولى بالأم بالذات ، التى تتمثل فيها جميع مقومات حياته .. فهى مصدر غذائه ومصدر أمنه وراحته وهى الملجأ الذى يحتضنه .. أو بمعنى أدق هى الدنيا كاملة بالنسبة له .. ثم إتساع دائرة الطفل الإجتماعية لتشمل الأفراد الآخرين فى الأسرة ، ثم الأقارب وأطفال الجيران .. وهكذا . إلا أن هذه العلاقات جميعها تكون داخل الدائرة الإجتماعية التى تمثل الأسرة وارتباطاتها . ولا يخرج الطفل عن هذه الدائرة ليكون لنفسه ارتباطات خاصة خارج نطاق الأسرة إلا فى فترة المراهقة .

وحتى عندما يخرج الطفل خارج البيت ليأب مع أطفال الجيران . نجد أن صلته بالبيت تظل موجودة باستمرار ، حتى أثناء لعبه . فأى شجار يحدث بين الأطفال إنما يحسمه الكبار .. الأب أو الأم أو غيرهما من الكبار من أفراد الأسرة . وعند أى إعتداء يقع على الطفل ، فإنه يهرع إلى البيت شاكياً منتحباً . وينتهى غضبه وتنتهى مشكلته بمجرد أن تربت الأم على كتفيه . أو تأخذه فى أحضانها ، وتمسح له دموعه .

وبعد أن يذهب إلى المدرسة نجد نفس الصورة . ونجد نفس العلاقة ونفس الارتباط بالبيت لازال موجوداً . فهو لا يذهب إلى المدرسة — عندما يذهب إليها أول مرة — إلا مكرهاً . ويظل طيلة طفولته شديد الصلة بالبيت

والتعلق به . يهرع إليه كل يوم بعد إنتهاء الدراسة ، وكأنه يلجأ إلى حصن الأمان الذى يطمئن إليه وإلى وجوده بين جدرانہ .

ولا تتغير هذه الصورة إلا مع المراقبة . عندما تبدأ تتكون علاقات من نوع جديد تربط المراهق بغيره من المراهقين والشبان . وعندما يشتد إرتباطه بجماعات معينة منهم . ويزداد ولاؤه لهذه الجماعات . وتكون هذه العلاقات والارتباطات — فى العادة — على حساب ارتباطه بالأسرة ، وإحساسه بالأمن والراحة عن طريق إلتئائه إليها وإلى الأبوين بالذات ، وشعوره بالحب والعطف والحنان فى المحيط الذى يجمعه بها ويضمه إلى رحابها .

* ولا يتقبل الأبوان فى العادة هذا التغير فى العلاقات الإجتماعية التى تربطها بأبنائها المراهق .. وصورته الجديدة .. صورة الراغب فى الاستقلال والبعد بالتدريج عنها .. صورة غريبة ، لا يرضيان عنها بسهولة . فقد تعودا أن يتقبل الطفل ويفرح بالجلسة الحلوة التى كان يجلسها بجوارهما ، ويجد متعة كل المتعة فى أن يشاركهما البقاء فى المنزل ، أو اللعب بجوارهما ، أو زيارة الأقارب والجيران معها ، أو الخروج للنزهة فى صحبتها .

أما الآن ، فقد تغير الحال . وأصبح المراهق ينأى بنفسه عن صحبتها ، بل ويكره هذه الصحبة . فقد كبر وأصبحت له حياته الخاصة . وأصبح له أصدقاءه .. أصدقاء من خارج محيط الأسرة ، يشاركونهم أسرارهم ويشاركونه أسرارهم .. أصدقاء من مثل سنه ، يجد فى صحبتهم ألفة وجواً غير الجو الذى يعيشه داخل المنزل . وأصبح بالتالى ينزع إلى الخروج إلى هذا الجو الجديد وإلى هذه الألفة السارة ، وإلى هؤلاء الأصدقاء الجدد . ويفضل صحبتهم عن البقاء فى البيت ، الذى أصبح يمل وجوده فيه ، ولا يجد لنفسه بداخله متنفساً يرضى حاجاته الجديدة ورغباته الناشئة .

ومن ثم تقوى بالتدريج رغبة المراهق في الاستقلال والتحرر ، من سلطة الأبوين والكبار عموما . وتقوى رغبته في أن يعامل معاملة الشخص الكبير ، لأنه أصبح يرى نفسه ندا للكبار ، ومن ثم يجب أن يعامل معاملتهم . واصرار الكبار على معاملته معاملة الطفل يزيد من لجوئه إلى الجماعات الأخرى التي تؤكده ذاته وتعامله على قدم المساواة ، ومن إنتمائه إليها .

وهكذا تبدو مقاومة ساطة الكبار أيا كان نوع تلك السلطة هي الطابع المميز لسلوك المراهق . وتظهر هذه المقاومة بوضوح في الثورة ضد الأبوين اللذين يتمثلان في نظره كشخصين يريدان إحتكاره ، ويصران على تبعيته لها ، ويتدخلان في شئونه الخاصة ويفرضان عليه أمورا لا يرغب فيها .

كما يرى فيها شخصين يحاولان منعه من الاستقلال والتحرر والاتصال بأقرانه من الشباب ، اللذين يفهمونه ويفهمهم ويجد في صحبتهم جوا جديدا ومعاملة جديدة لا يشعر بهما داخل المنزل .

قد تأخذ نزعة المراهق هذه للاستقلال عن الكبار شكل الثورة والتمرد والتهديد .. أو قد تتطور وتأخذ شكل الحرب من المنزل أو ترك المدرسة . ويصعب على كثير من الآباء مواجهة مثل هذه الأمور ، لأنهم لا يتصورون كيف يخرج ابنهم أو أبنيتهم عن طاعتهم . ويعتبرون هذه النزعة نوعا من الانحراف الذي يجب أن يقابل بمتهى الحزم والقسوة حتى يرتد الشاب أو الفتاة ويرجع إلى سيرته الأولى ، ويعود إلى طاعتهم والإمتثال لأوامرهم .

الا أننا يجب أن ننبه إلى أن إستخدام القوة والقسوة في مقاومة نزعات المراهق ورغباته ، وخاصة رغبته في تأكيد ذاته والشعور بإستقلاله ، لها

خطرها المؤكد لأنها تزيد من مقاومته وعناده — ولأنه يتبعهما في العادة مشكلات أعقد وأعقد في السلوك ، بل وربما تؤدي إلى جناح المراهق ، وخروجه من نطاق المشكلات التي يمكن حلها عن طريق الأبوين ودخل نطاق الأسرة إلى المشكلات التي لا يفيد معها تدخل الأبوين أو العلاج العادي ، والتي تقع تحت طائلة القانون وتؤدي إلى الجريمة .

فجناح المراهق هو مظهر من مظاهر الانحراف يحدث نتيجة عدم توافق المراهق مع بيئته ومع الظروف التي يعيش فيها وهو يختلف من هذه الناحية عن انحراف الكبار وعن الجرائم التي يرتكبونها . فالنوع الأخير من الاجرام يمثل عادة أصيلة عند المحرم ، تنتظم حياته على أساسها ، ويصعب أن يتخلص منها . أما الجناح فيعود إلى اضطراب ظروف البيئة وعدم تمكن المراهق من مسايرتها بشكل طبيعي ، نتيجة كراهيته مثلاً للبيت نظراً للمعاملة القاسية التي يتلقاها فيه ، فينتج عن مجموعة من المراهقين أو الشباب ، يتجمعون في أول الأمر لتمضية وقت الفراغ عن طريق العبث ومشاكسة الآخرين في أول الأمر . ثم يتطور هذا العبث وهذه المشاكسات بالتدريج إلى الاعتداء بأنواعه ومنه الاعتداء الجنسي . أو السرقة... أو نحو ذلك من أنواع الانحراف .

أو قد يأتي الجناح نتيجة عدم وجود ما يشغل المراهق . أو يقضى فيه وقت فراغه . أو نتيجة الكبت الشديد .. أو غير ذلك من الأسباب التي تنتهي به في النهاية إلى رفاق السوء .. وإلى الانحراف .

ونحب أن نوضح أن الأساس في معالجة مثل هذه الأنواع من الانحرافات هو معرفة السبب أو الأسباب التي أدت إليها ومحاولة إعادة المراهق إلى

الطريق السليم... وذلك بتنظيم أمور حياته .. وتوجيهه إلى أفضل السبل التي تحقق له حسن التوافق مع ظروف معيشته . والاهتمام بصفة خاصة بأوقات فراغه حتى تستقيم حياته وحتى يعود إلى الحياة الطبيعية والتوافق مع الأسرة والبيئة . أما القسوة والزجر وما أشبه . فلا تؤدي إلا إلى تشدد المراهق .. وإلا إلى خروجه نهائياً إلى الرفقة الجديدة وإلى حياة الانحراف التي اندمج فيها .

وليس معنى ميل المراهق للاستقلال ورغبته في تكوين علاقات خاصة بزملاء من مثل سنه . يكونون فيما بينهم جماعات خاصة . وانتمائه إلى هذه الجماعات أن صلتته بأسرته قد انعدمت أو أنه أصبح لا يخلص لها بل على العكس تظل أسرته موضع إخلاصه وافتخاره وانتماؤه لهذه الجماعات لا يعني إلا رغبته في تمضية وقت فراغه معها واستخلاصها كمتنفس لأسراره وآماله . وأيضاً رغبته في الشعور باستقلاله وبحريته ، وخاصة حريته في التصرف داخل نطاق علاقاته بهذه الجماعات بشكل لا يستطيعه داخل الأسرة ، مع الأب أو الأم أو الأخوة أو غيرهم . فهو يستطيع مع رفاقه أن يحكى النكات وأن يتتبع مغامرات الأصدقاء وأن يحكى النواذر . بشكل وبأسلوب لا يستطيع استخدامه مع أفراد أسرته .

ولا أدل على أن صلة المراهق بأسرته لا تزال موضع إخلاصه واهتمامه ، من ثورته إذا تعرض لها بعضهم بسوء ، حتى ولو كان هذا البعض من أفراد جماعته ، وحتى لو كان هذا التعرض مجرد كلمة عابرة .

وكما يظهر المراهق ولاء لأسرته . يظهر ولاء مماثلاً وإخلاصاً لمدرسته ولناديه وبلده . ويظهر هذا الولاء في تعصب المراهق لفريق مدرسته مثلاً أو لفريق النادي الذي يحبه أو يشترك فيه . ويظهر الولاء لبلده بصفة خاصة

أيام الأزمات والحروب . عندها يود كل المراهق لو تطوع لخدمة بلده .
ويتملكه الحماس ويضحى بكل شيء في سبيل سلامته ونصرته .

وفي بعض الأحوال ، عندما تقتضى الظروف من المراهق أن يتحمل
مسئوليات قد تكون أكبر من قدرته عندما يصبح عليه فجأة . ولظروف
تمر بها الأسرة ، أن يعمل مثلاً من أجل الصرف عليها والقيام بمتطلباتها
أو مساعدتها ، قد يبذل المراهق المستحيل ليثبت للأسرة أنه قادر على تحمل
هذه المسؤوليات ، وليؤكد عن هذا الطريق ذاته . فإذا لم تقابل هذه الخدمات
بالإكبار والتقدير ، أو إذا قوبل عرضه بالشك في قدرته على القيام به ،
أو رفض عرضه بالمرة ، فإن النتيجة قد تكون انسحابه بالمرة من تحمل أيه
مسئوليات تجاه أسرته واهتمامه بذاته وأموره الخاصة . ذلك أن الرفض هنا
أو الشك لن يكون رفضاً للعبء المطلوب منه أن يتحمله أو العرض الذي
يعرضه . بقدر ما هو رفض أو شك في ذات المراهق نفسه وقدرته على القيام
بهذا العبء أو تنفيذ هذا العرض ، وهو أمر لا يسمح المراهق أبداً بالتهاون
فيه .

ومن المظاهر الأساسية للنمو الاجتماعي خلال هذه الفترة ميل المراهق
لتكوين الصداقات فالصفة البارزة في المظهر الاجتماعي للمراهق — كما
تبين لنا — هي ميله للخروج عن العلاقات الاجتماعية الضيقة التي تربطه
بأسرته وحدها ، إلى علاقات أوسع تتمثل في أصدقائه ورفاقه ، وميله
إلى الانتماء إلى جماعات من هؤلاء الأصدقاء ، كجماعة أصدقاء الحي أو
النادي أو المدرسة أو نحو ذلك .

وهو يختار أصدقائه في العادة بنفسه ، ولا يرغب في تدخل أبويه في

هذا الأمر . وتدخل الآباء - في الحقيقة - يفسد هذه العلاقات الناشئة ، ويفسد الجو الطبيعي والاختيار الحر الذى تقوم عليه . قد لا يرضى الآباء في بعض الأحيان عن اختيار أبنائهم لأصدقائهم ، ويتقنون تصرف بعض هؤلاء الأصدقاء . إلا أن هذا لا يعنى أن يأخذ الأب دوراً مباشراً في اختيار الأصدقاء ، وفي الإشراف على علاقة أبنائهم بالآخرين . والتدخل بينهم ، والتعرض لأموالهم الخاصة . وتوجيه نشاطهم بصفة عامة بشكل سافر صريح . وإنما يمكن أن يتم ذلك من بعيد . وبمناقشة الابن عندما تسمح الظروف بذلك في جو هادئ بعيد عن المشاحنات والغضب ، وبقصد التوجيه ... لا بقصد فرض الأوامر . حتى يكون تخلى الابن عن علاقاته أو الحد من ارتباطه بأصدقائه ، نابعاً من نفسه ، وحتى يكون عدم رضاه عن أخطاء هؤلاء الأصدقاء وسلوكهم الذى لا يرضى الأب ، منبثقاً من نفسه هو - أعنى الابن - ومن اقتناعه بضرورة البعد عنهم أو الحد من درجة ارتباطهم ، حتى لا يتجه نفس اتجاهاتهم ، وحتى لا يرتكب هو أيضاً الأخطاء التى لا ترضيه ولا ترضى الآخرين .

والصدقات التى تنشأ في هذه الفترة - على أية حال - أكثر ثباتاً ودواماً من صداقات عهد الطفولة . إذ أن صداقات المراهق تقوم على أساس من الفهم المتبادل للمشاكل التى يواجهونها ، والمتاعب التى يلقونها والأسرار التى يتناقلونها .. تلك المشاكل والمتاعب والأسرار التى يعتقد المراهقون أن الآباء لا يفهمونها الفهم الصحيح ولا يقدرونها التقدير المناسب . أو على الأقل لا يشعرون تجاهها نفس شعورهم وإحساسهم .

فهناك وحدة مشاعر تربط بينهم ، ووحدة فكر تجاه المشاكل والمتاعب

التي يواجهونها، ووحدة عمل أيضاً للتغلب على هذه المشاكل والمتاعب ،
وكلها وكأثر تنبئ عليها صداقات المراهقين وتدعم الصلة بينهم وتساعد على
ثبات هذه الصلة وبقائها .

أو قد يكون أساس الصداقة ميل مشترك ، كاختيار أعضاء الفريق
الرياضي أصدقاءهم من نفس الفريق .. وهكذا .

أو قد يكون أساس الصداقة ميل مشترك ، كاختيار أعضاء الفريق
الرياضي أصدقاءهم من نفس الفريق ... وهكذا .

وواضح أن الأساس الذي تقوم عليه هذه الأنواع من الصداقات يختلف
عن الأساس الذي تعتمد عليه صداقات الأطفال . والتي تنبئ في أغلب
الأحوال على الجوار .. الجوار في السكن أو في المدرسة .. أو ما أشبه . والتي
ينسأها الطفل بسرعة وبسهولة . فالطفل يصادق طفل الجيران لأنه يلعب
معه، ويقضى معه الوقت الذي يكون فيه الأب أو الأم خارج البيت .
فإذا انتقلت الأسرة إلى مسكن جديد، فسرعان ما يتجه الطفل إلى طفل آخر
من أطفال الجيران الجدد ليلعب معه بالمثل مهملاً كل علاقاته بصديقه القديم .
أو قد يصادق الطفل الذي يجلس بجواره في المدرسة لنفس الأسباب أو
لأسباب مشابهة ، حتى إذا انتهى العام الدراسي ، فإنه نادراً ما يسأل عنه
أو يفكر في الذهاب إليه ... ليديم عهد الصداقة والمودة التي كانت بينهم ..
وهكذا .

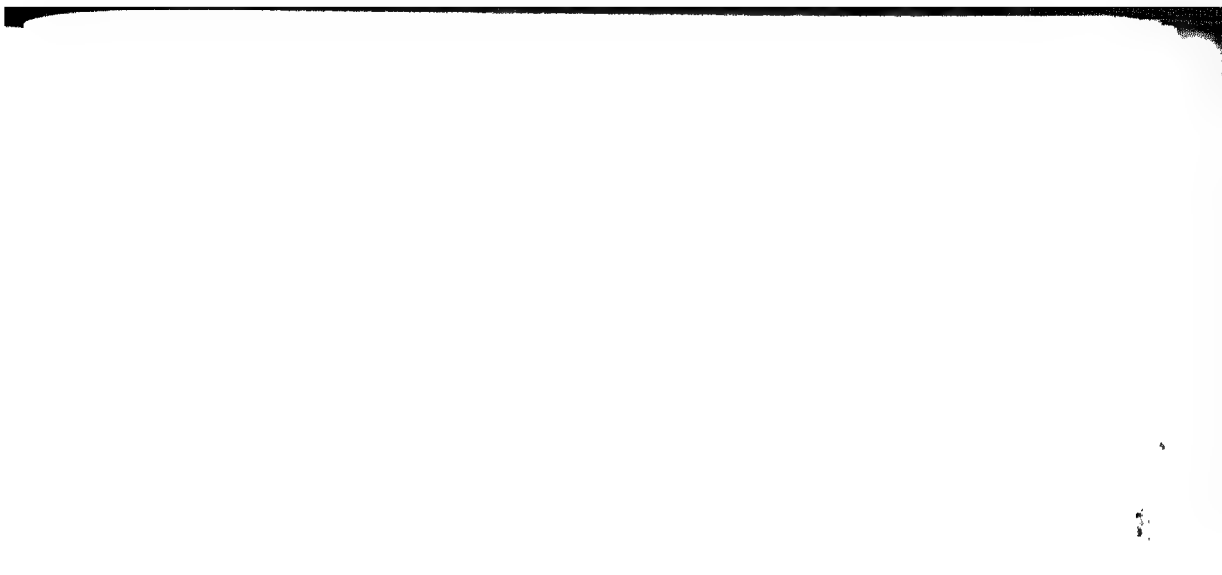
ومن الخصائص الاجتماعية البارزة التي تميز المراهق . تعلقه بفرد تتمثل
فيه صفات الزعامة والمثل العليا ، يدين بمبادئه ويتمثل بأرائه . وهذا هو
سبب تسمية هذه المرحلة — مرحلة المراهقة — بمرحلة عبادة الأبطال .

وقد يرتبط المراهق بالشخصية التي يعجب بها ويتمثل بأرائها بوعى وعن إدراك . أو قد يتم ذلك عن طريق التقمص . فكثيراً ما نلاحظ بين المراهقين من يتقمص شخصية أحد العظماء . فتبدو مشيته - من حيث لا يدرى - كمشيته ، أو الطريقة التي يتكلم بها .. أو نحو ذلك .

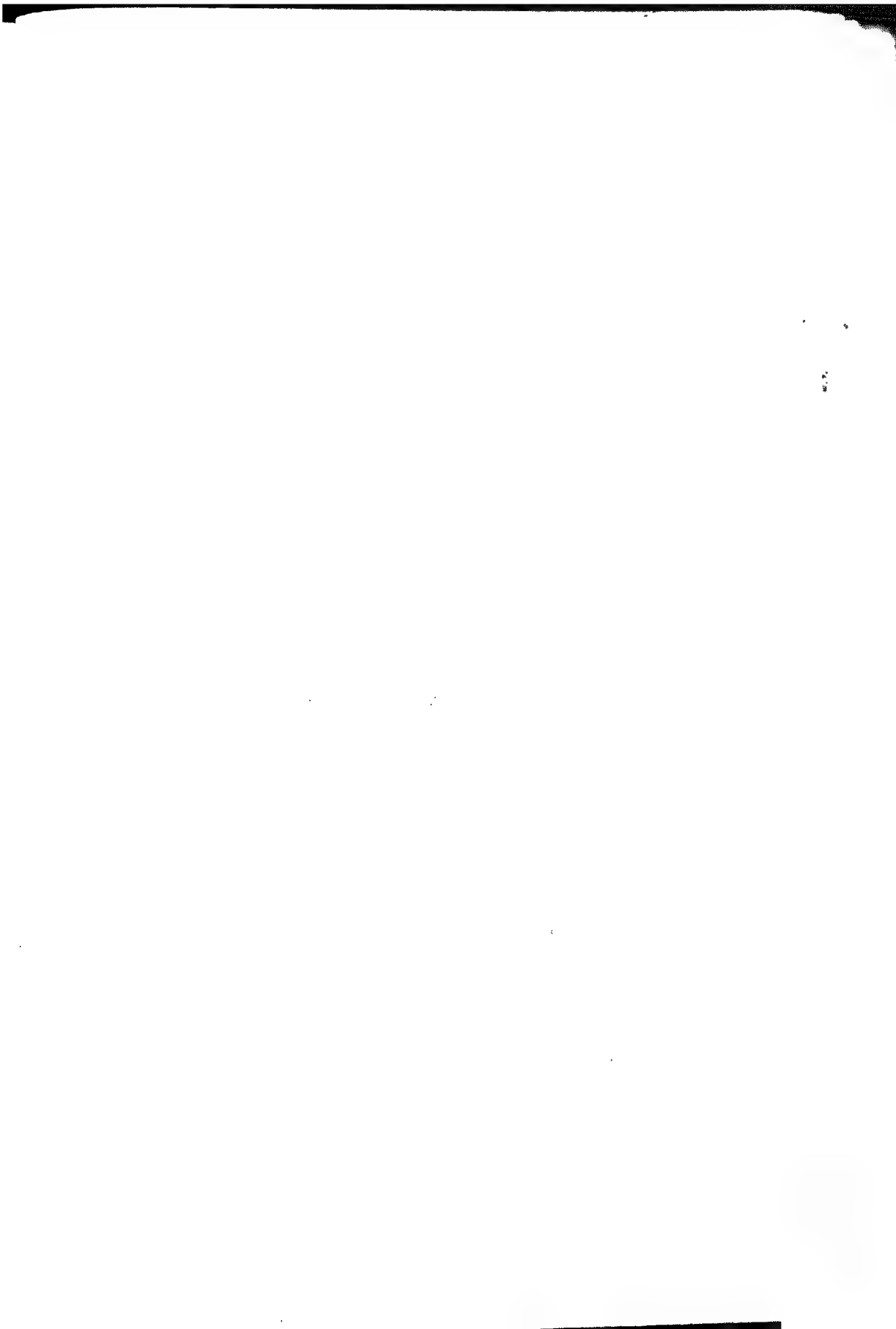
نلاحظ ذلك أيضاً على الشباب المعجب بممثل السنيما والتلفزيون ، عندما يتقمصون بعض هذه الشخصيات . فيبدو الواحد منهم وقد اتخذ لنفسه زياً مثل الزى الذي كان يرتديه الممثل أثناء بطولته لأحد الأفلام ، أو يتخذ لنفسه شكل مظهر شعره ، أو طريقته في الكلام أو المشي أو نحو ذلك .

والتقمص قد يكون ذا فائدة إذا اتجه إلى تكامل ذات الشاب مع فرد آخر ذي شخصية متميزة لها قيمتها ، إذ سيكتسب منها بعض خصائصها ، لتصبح جزءاً من شخصيته هو وعاملاً على تمييزها بدورها وتكاملها . هذا إذا كان الشاب مستعداً لذلك وإذا كانت شخصيته في مجموعها تسمح بتقبل هذه الصفات . أما إذا كان الفرق بين خصائص الشخصيتين كبيراً ، فإن الصفات الجديدة ستبدو كالثوب الواسع الفضفاض الذي يرتديه أحد الأقزام .

هذا ويحسن أن ننبه إلى أن المهم ليس تقمص الحركات ، أو اكتساب الصفات التي تتعلق بالمظهر وطريقة الكلام ... الخ ، وإنما العمل على تطوير نظرة المراهق هذه إلى الأفراد الذين يعجبون بهم .. من المظهر إلى الأفكار . وذلك عن طريق دراسة تاريخ حياة قادة الفكر وأبطال التاريخ والتركيز على المثل والمبادئ التي نادوا بها ، حتى يكتسب المراهق عن طريق هذه الدراسة بعض القيم والمثل لتصبح جزءاً من نفسه .. يسير على هداها في حياته .



القسم الثاني
مشكلات المراهقة



تمهيد :

مرحلة المراهقة مرحلة صعبة طويلة نسبياً . يصحبها عادة الكثير من المشكلات . ما يرجع منها إلى طبيعة المرحلة ذاتها . وما استحدثته في نفوس المراهقين من تغيرات يشعرون بها . ولا يجدون منفذاً لإشباعها أو لتحقيقها ، أو إلى ما يلقونه من المجتمع الخارجى من عدم فهم وتقدير واختلاف في وجهات النظر .. الى غير ذلك من العوامل والأسباب .

وقد تعرضنا في القسم الأول من الكتاب للحقائق الأساسية التي تتصل بهذه المرحلة . ونهتم هنا بعرض العوامل ذات الأثر في مشكلات المراهق مفترضين اقتناع الآباء والمعلمين بأهمية مناقشتها وفهمها . وتوجيه الأبناء على ضوء هذه المناقشة وهذا الفهم ، وإيجاد حلول سليمة لهذه المشكلات : ولا يقتصر الأمر على الآباء والمعلمين وحدهم ، وإنما يقتضى الأمر كذلك توجيه البيئة والسلطات الأخرى التي لها علاقة بالإشراف على المراهقين الى العناية بمشكلاتهم عن طريق هيئات خاصة تهتم بأمورهم اهتماماً جدياً بالبحث والدراسة ومناقشة الأمور وتقويم السلوك ، لا عن طريق اقتراحات سريعة لا تنفذ إلى المشكلة ولا تتعرض لصلب الموضوع . إذ لا يجوز أن نفترض دائماً أن حل مشكلات المراهقين هي مسئولية المراهقين أنفسهم . أو أنه مسئولية الآباء والمعلمين وحدهم ، بل إنه في الواقع أمر يمس مستقبل الأمة كلها . ومن ثم يجب أن نفرّد له كل عنايتنا ، كل في المجال الخاص به .

إن الصورة العامة للمراهقين كما اتضحت لنا من خلال تتبعنا للخصائص والصفات التي يتميزون بها ، صورة مهتزة غير مستقرة . تدل على أن

تصرفاتهم غير ثابتة . فبينما نجد الواحد منهم مرحاً يزهو بنفسه ويقبل على الناس ، نجده بالغد منقبضاً قد ضاق بالدنيا وما فيها . نجده هادئاً أحياناً ، وأحياناً أخرى مندفعاً يحطم ما أمامه من أشياء .

نجده أحياناً يعبد أسرته ويتحمل في سبيلها ما لا يستطيعه أو يطيقه الكبير المسئول ، وأياماً أخرى قد ضاق بالأسرة وأحوالها وثار عليها وترك لها البيت وبحث عن جماعة أخرى تأويه ولو إلى حين .

هذه كلها وغيرها من الخصائص والصفات التي تعرضنا لها في القسم الأول من هذا الكتاب .. مظاهر لحاجات حقيقية يحس بها المراهق ويريد أن يشبعها ولكنه لا يستطيع فيندفع نحو هذا السلوك أو ذاك .. غير مبال بما يحدث له أو للمتصلين به .

فهو يحس بالحاجة إلى الجنس الآخر .. هذه الحاجة التي يمنعه خجله وأوامر الدين وظروف المجتمع وقواعد العرف والآداب دون الجهر بها . هو يريد أن يرضى هذه الحاجة عن الطريق السوى .. طريق الزواج . ولكن تواجهه في هذا الطريق صعوبات وصعوبات .

هو يحس أيضاً بالرغبة في الاستقلال وأن يعامل معاملة الكبار وأن يستقر في النهاية مثلهم في مهنة مناسبة ترضى ميوله ورغباته وتتفق مع تطلعاته ومع إمكانياته . ولكن يقف دون ذلك نظرة الآباء له على أنه لا زال صغيراً لا يفهم الدنيا كما يفهمونها ويعتمد عليهم في كل شيء ، ويتدخلون من ثم حتى في اختياره لمهنة حياته ومستقبله .

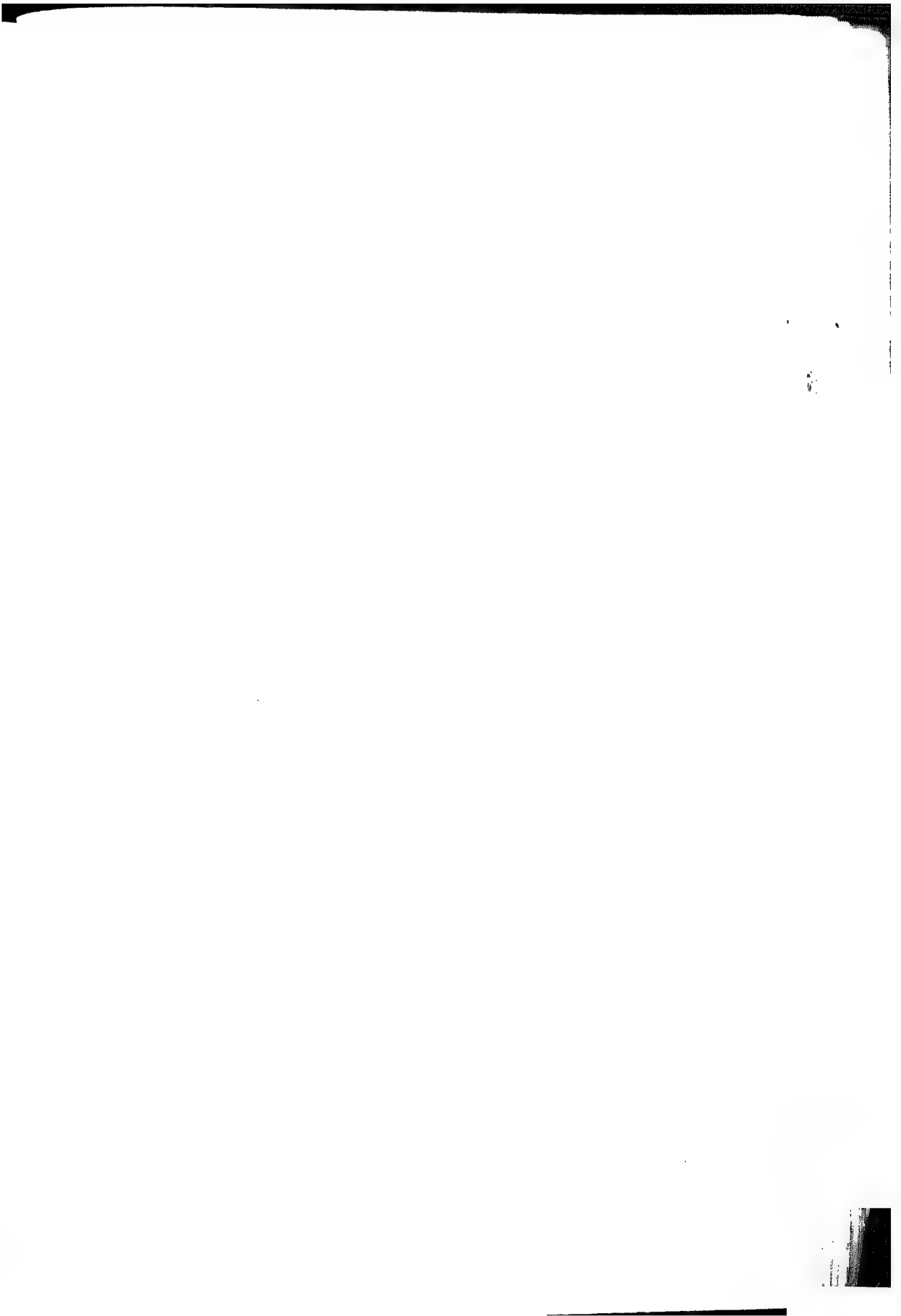
وحتى أوقات فراغه تمثل بالنسبة له مشكلة أساسية . فهو لا يعرف أين

يقضيها ، وكيف يتصرف في الوقت الطويل الذي يستنفد طاقاته وحيويته ، ولا يترك لشأنه أيضاً ليتصرف فيه على النحو الذي يريده .

كل هذه مشكلات تواجه المراهقين وتتطلب حلولاً حقيقية لها . ويعالج هذا القسم من الكتاب هذه الأنواع من المشكلات بدراسة أسبابها ، وتبني العوامل التي تؤثر فيها ، ورسم الطريق نحو التخلص منها وإيجاد حلول سليمة لها . واضعين في اعتبارنا باستمرار ظروف شبابنا والواقع الذي يعيشون فيه .

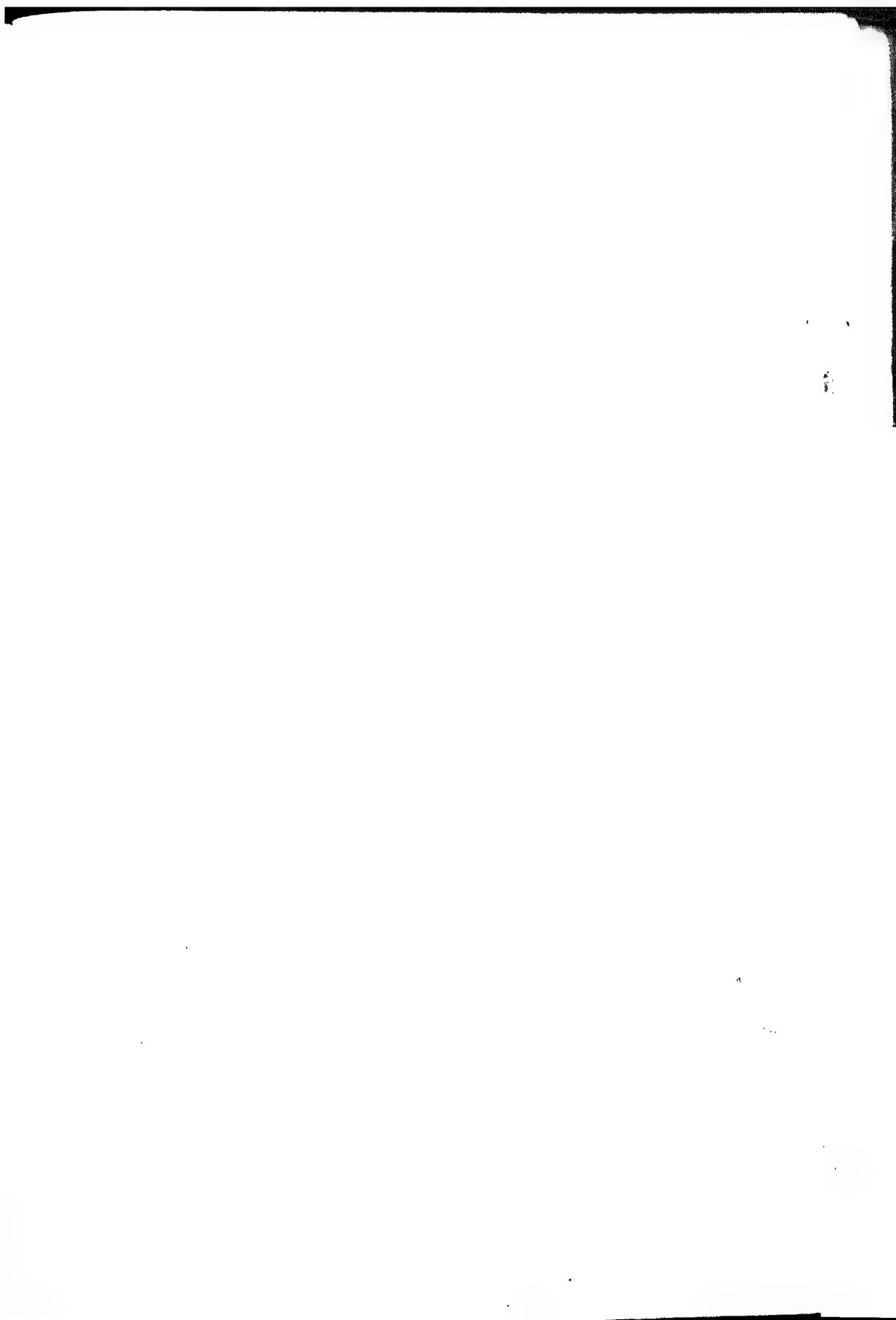
والمشكلات الأساسية التي نتعرض لها في هذا القسم والتي تمثل الجوانب الأساسية في حياة الشباب هي :

- ١ — مشكلات الجنس .
 - ٢ — مشكلات اختيار المهنة .
 - ٣ — مشكلات وقت الفراغ .
- وتتعرض الفصول الثلاثة التالية لهذه المشكلات ...



الفصل الخامس

المشكلة الجنسية



تقديم :

الجنس له أهميته من غير شك في حياة المراهقين بل إن البعض إذا تكلم عن الشباب ربط كلامه في الغالب بالناحية الجنسية . ومنهم من لا يقصر هذا الاهتمام على المراهقين وحدهم ، وإنما يمتد ذلك عندهم إلى كافة مراحل حياة الإنسان ، ويربط أغلب مشكلاتهم في هذه المراحل جميعها كذلك بهذه الناحية . يعطيه فرويد مثلاً وغيره من المشتغلين بالتحليل النفسى أهمية كبيرة ، ويبحثون عنه وراء كثير من التصرفات الشاذة . /

وفي الواقع ، إن لهذا العامل أثره في سلوكنا وتصرفاتنا . ونجده في أحوال عديدة وراء كثير من صور حياتنا النفسية .

ولكن لماذا ... لماذا الجنس بالذات ؟

وللإجابة على هذا السؤال يفيد أن نتعرف على الدوافع التي توجه سلوك الإنسان . هناك في الحقيقة نوعان رئيسيان من الدوافع : دوافع تنشأ عن حاجات الجسم الخاصة بوظائفه العضوية والفسولوجية ، كالحاجة إلى الطعام والماء والجنس وإلى تجنب البرد والحر والألم . وهذا النوع من الدوافع لا يتعلمها الفرد أو يكتسبها ولكنها موجودة فيه بالفطرة . وإن تعلم شيئاً يتعلق بها ، فهو التحكم فيها ، عندما يؤخر التلميذ مثلاً إشباع دافع الجوع حتى تنتهى الدراسة ويعود إلى المنزل . وهناك دوافع وحاجات تأتي نتيجة نمو الفرد واتصالاته بالآخرين واحتكاكه بظروف الحياة العامة وما تقتضيه هذه

الظروف ، مثل الحاجة الى التقدير الاجتماعى وإلى النجاح والشعور بالأمن... إلى غير ذلك .

ويطلق على النوع الأول من الدوافع فى العادة اسم الدوافع الأولية أو الفسيولوجية والنوع الثانى الدوافع الثانوية أو الاجتماعية .

والملاحظ لسلوك الإنسان يجد أن الدوافع الأولية فى مجموعها ، أقل أثراً فى حياته ، ولا تظهر بوضوح وراء تصرفاته . ولكن ذلك يتوقف إلى حد بعيد على درجة إشباع هذه الدوافع . فدافع الجوع مثلاً لا يظهر له أثر كبير فى حياتنا لأننا نعمل على اشباعه باستمرار . أما فى الحالات التى يصعب فيها العثور على الطعام ، أثناء المجاعات مثلاً أو كحالة شخص تائه فى الصحراء ، فإنه تبدو الأهمية الكبيرة لهذا الدافع وأثره فى توجيه سلوك الإنسان . أما فى الظروف العادية فتبدو الدوافع الثانوية أكثر أثراً . ولزيادة التوضيح يمكن أن نمثل للعلاقة بين الدوافع الأولية والثانوية فى شكل تنظيم هرمى تحتل قاعدته الدوافع الأولية ، ثم تأتى بعدها متجهة إلى قمة الهرم الدوافع الثانوية . ووجود الدوافع الأولية فى قاعدة الهرم لا يعنى أنها أقل أهمية ، وإنما يعنى أنها الأساس ، وأنه يقوم عليها بناء الدوافع الثانوية بعد ذلك . فالدوافع الثانوية لا تظهر ولا تعمل إلا إذا أشبعت الدوافع الأولية التى فى قاعدة الهرم . الشخص مثلاً الذى لا يجد ما يشبع حاجته من الطعام أو يشكو من العطش قلما يفكر فى أى دافع ثانوى آخر ثقافى مثلاً أو جمالى . ولكن متى أشبعت الدوافع الأولية ، فإن الدوافع الثانوية تبدأ فى الظهور وفى العمل ، وتبدأ تحتل مكانتها فى توجيه سلوك الإنسان ... عندما يهتم بإشباعها ويسلك طريقه نحو تحقيقها .

وهذا الكلام ينطبق على مجموعة الدوافع الأولية فيما عدا دافع واحد...

هو الدافع الجنسي . فهو لا يحقق إشباعه بطريقة مشابهة (كإشباع دافع الجوع أو العطش أو اتقاء الحر والبرد الخ) ، وإنما تقف دون هذا الإشباع موانع وعقبات ، تتمثل في واقع المجتمع وقيمه وأخلاقياته .. ومن هنا تأتي أهمية الدافع الجنسي في حياة الإنسان . ولزيادة التوضيح يمكن تشبيهه - على ضوء المثال السابق - بحجر أو جزء غير ثابت أو مستقر في الأساس أو في قاعدة الهرم ... يؤدي إلى شرخ في قوام البناء كله ، وينسب إليه أى خلل يصيب البناء بعد ذلك . تماماً كما نبحث عن الجنس وراء كثير من الاضطرابات التي تظهر في سلوك الإنسان ، ونجده بالفعل وراء كثير منها .

هذه هي أهمية الجنس في حياتنا . وإذا كان الكبار يجدون طرق إشباعه ميسرة عن طريق الزواج ، وهو الوضع الشرعي والاجتماعي المقبول لإشباع هذا الدافع . إلا أن الصعوبات والعقبات الخاصة به كثيرة أمام الشباب ، وهي صعوبات لا ترجع إلى الرغبة في إشباع هذا الدافع الطبيعي فحسب ، بل أيضاً إلى فهمه ومعرفة كل ما يتصل به . مجموعة الصعاب هذه والعقبات وما يرتبط بها من طرق الإشباع الغير سليمة هي ما نطلق عليه عادة اسم المشكلة الجنسية .

وإذا كانت المشكلة الجنسية مشكلة عالمية يعاني منها شباب العالم أجمع ، إلا أن هناك من العوامل ما يجعل لهذه المشكلة أهمية خاصة بالنسبة لشبابنا . نذكر من هذه العوامل أن الفتى والفتاة يصلان إلى تمام نضجها الجنسي وبلوغها عندنا بصفة عامة في وقت مبكر نسبياً عن الشعوب الأخرى - وهي الحقيقة التي سبق أن أشرنا إليها وإلى تأثيراتها - وهذا معناه أن الميول الجنسية تظهر في وقت مبكر . والطريق السليم الذي نوافق عليه لإشباع هذه الميول هو

الزواج .: وهو مالا يستطيعه الشاب خلال فترة المراهقة ، وحتى بعدها سنوات قد تطول ، لأسباب كثيرة منها عدم قدرته على الاستقلال الاقتصادي في هذه السن المبكرة ورغبته في إتمام تعليمه عادة ، أو انتظاره حتى يجمع المهر المناسب ، أو انتظار الزوج أو الزوجة المناسبة .: إلى غير ذلك من الأسباب الاقتصادية والاجتماعية .

ومن ثم يجد المراهق نفسه — مالم يوجه إلى طرق إعلاء الدافع الجنسي عن طريق الاندماج في نشاطات ثقافية أو رياضية أو اجتماعية أو فنية ... أو نحو ذلك من أوجه النشاط ، يشغل بها وقت فراغه ، وتقلل بالتالي من ضغط هذا الدافع عليه — يجد نفسه أمام أحد طريقين : فإما أن يلجأ إلى طرق الاشباع الجنسي الغير سليمة ، أو أن تطول به فترة الضغط . وكلا الأمرين له ضرره بالنسبة لصحة المراهق النفسية .

ومن الأسباب الأخرى ذات الأثر في حدة المشكلة ، نوع التربية التي نعود عليها أطفالنا وشبابنا فأغلب الآباء ينظرون إلى الكلام في الموضوعات الجنسية نظرة تحريم . بل منذ الصغر نترك للطفل حريته الكاملة في مناقشة كل ما يتصل بأمور حياته . إلا إذا اتصل الأمر بهذا الموضوع .. فهنا الزجر والحزم . في الوقت الذين يعلمون فيه حق العلم أن الدين نفسه لم يترك صغيرة أو كبيرة من شؤون الجنس إلا ودرسها وناقشها بالتفصيل .

بل كثيراً ما تمتد هذه النظرة إلى المسؤولين عن تربية النشء . كالسلطات التعليمية المسئولة والمدرسين . فكتب الصحة التي تدرس لتلاميذ مدارسنا تتضمن وصفاً لأجهزة جسم الإنسان جميعها .. للجهاز الهضمي والدوري

والتنفسي .. وغيرها فيما عدا الجهاز التناسلي . فليس له أثر في هذه الكتب ..
وكأنه ليس بدوره موجوداً في جسم الإنسان .

هذه النظرة الغربية للجهاز التناسلي ومعاملته تختلف عن بقية أجزاء الجسم تجعل له حرمة خاصة وحساسية خاصة عند الطفل تزيد مع الأيام . فإذا وصل مرحلة المراهقة وبدأ يهتم بهذا الجزء النامي من جسمه ، لا يجد من الآباء أو المدرسين أو الكبار عموماً تشجيعاً للسؤال عما طرأ عليه من تغيرات ظاهرية وإحساسات داخلية ، تلك التغيرات والإحساسات التي لا يدري لها سبباً ولا يعرفها معرفة حقيقية . ويزيدها تعقيداً ما يحاط بها من غموض وتكتم وشعور بالإثم والخطيئة . وهنا يقع الصدام بين الرغبة في تفهم المسائل الجنسية وإرضائها وبين الموانع التي يجدها المراهق أمامه .. مما يؤدي به إلى أقصى أنواع الصراع النفسي فيلجأ إلى مصادر المعرفة والإرضاء بعيداً عن الوسط المألوف ، أقصد بعيداً عن الأبوين والأهل . يلجأ إلى زملائه مثلاً يتفهم منهم ويجيبونه ، إلا أن إجاباتهم قد تضر ولا تفيد ، لأنهم جهلاء مثله بهذه المسائل ، بل وكثيراً ما تنطوي إجاباتهم على أنواع من المبالغات تصور الموضوع على غير حقيقته . وقد يترتب على ذلك شعور بالنقص يلزمه مع الأيام ، وقد يؤثر على حياته الجنسية عند الزواج ، ويعقد حياته بصفة عامة في مستقبل أيامه .

أو قد يلجأ المراهق إلى الكتب والموضوعات التي تعالج هذه النواحي . وللأسف فإن أغلب الكتب التي تشمل عليها مكتبتنا العربية ، في هذا الميدان ، وأغلب المجلات التي بها من نفس النوع . بمعنى أنها تهتم بالإثارة وتضخيم المشكلات وبالمسائل المبالغ فيها أكثر مما تهتم بالحقائق العلمية المجردة . والنتيجة واحدة على أي حال .

ولإرضاء هذا الدافع الملح قد يلجأ المراهق إلى الطرق والعادات الغير سليمة التي يقبل عليها كارهاً والتي تنسب في قلقه وشعوره بالذنب وغير ذلك من الأضرار النفسية .

وكل هذه الأمور من شأنها أن تزيد من تعقيد تأثيرات الدافع الجنسي ، وتجعل منها مشكلة صعبة الحل .

ولدراسة المشكلة بحسن بنا أولاً أن نتبع مراحل النمو الجنسي ، نتعرض بعدها لبعض مظاهر الانحراف في هذا النمو والمشاكل التي تنشأ نتيجة لذلك ، وخاصة مظاهر الانحراف المنتشرة بين المراهقين . وأخيراً وسائل علاج هذه المشكلة والتربية الجنسية .

مراحل النمو الجنسي :

تبدأ معالم النمو الجنسي كما يراها المحللون النفسيون مع الطفل منذ الميلاد . فهناك مظاهر للنشاط الجنسي نلاحظها على الأطفال منذ هذه السن المبكرة ، وإن تطورت هذه المظاهر وأخذت أشكالاً متغيرة بإستمرار الطفل في النمو ، حتى تنتهي في صورتها السوية بالعملية الجنسية الطبيعية عند النضج الكامل . ويمكن أن نميز بصفة عامة بين ثلاثة مراحل أو مراتب يمر بها النمو الجنسي عند الإنسان هذه المراحل هي :

١ - مرحلة الشهوية الذاتية .

٢ - المرحلة البزجسية .

٣ - مرحلة عشق الغير .

ونتتبع فيما يلي مظاهر النمو الجنسي في هذه المراحل الثلاث :

١ - الشهوة الذاتية :

يتجه نشاط الطفل الجنسي في هذه المرحلة إلى ذاته . فهو نظراً لصغر سنه وعدم قدرته على تمييز كيانه عن العالم الخارجى الذى يعيش فيه . أو إدراك موضوعات خارجية متميزة يوجه إليها ميوله الجنسية ، فإنه يتجه بهذه الميول نحو ذاته . ونظراً أيضاً لعدم تميز الجهاز التناسلى فى هذه المرحلة المبكرة من حياة الطفل بالوظيفة الجنسية ، فإن ميول الطفل الجنسية لا تتجه إلى مداعبة أعضاء هذا الجهاز فحسب ، بل يستخدم يديه فى مداعبة أجزاء جسمه بصفة عامة ، وفيه ومواضع الإخراج بصفة خاصة . ويجد فى هذه المداعبة لذة جنسية من نفس نوع اللذة الجنسية التى يشعر بها الكبار ، وإن لم تكن بنفس الدرجة من التميز .

وعملية الرضاعة تمثل من هذه الناحية مظهراً من مظاهر النمو الجنسي فى هذه المرحلة كذلك . فهى لا تقتصر على الوظيفة الفسيولوجية من حيث سد حاجة الجسم إلى الغذاء فحسب ، وإنما تشمل أيضاً - كما يرى المحللون النفسيون - عنصراً جنسياً . والدليل على ذلك أن الطفل يستمر فى مص ثدى الأم حتى بعد ارتوائه ، وهو لا ينشد فى هذه الحالة إشباع حاجته من لبن الأم ، بل الحصول على نوع من اللذة الجنسية عن طريق الفم . وإذا حرم من الثدي فإنه يعتمد إلى وضع إصبعه فى فمه ، أو أى شىء يصل إليه فى فمه أيضاً ... وهكذا .

والنمو الجنسي عند الإنسان وإن استمر بعد ذلك ، وأخذ أشكالا أخرى لاتجاه الميل الجنسي ولموضوعات الممارسة الجنسية ، إلا أن بعض بقايا هذه المرحلة (الذاتية) تبقى وتثبت خلال المراحل التالية . ولا أدل على ذلك من شعور الفرد البالغ باللذة الجنسية نتيجة المداعبة مثلاً ولمس أجزاء من جسمه ، وحصوله على لذة جنسية مشابهة نتيجة التقبيل ... إلى غير ذلك .

والعادة السرية أيضاً وحصول الفرد على المتعة الجنسية نتیجتها ، وإن
انجهدت إلى العضو التناسلى بالذات .. إلا أنها بدورها بعض آثار هذه المرحلة
وهكذا .

٢ - النرجسية :

وفى هذه المرحلة تكون ذات الطفل قد تميزت ، وأصبح الطفل أكثر
إدراكاً لها ولتمييزها فى العالم الخارجى ، ومن ثم يتجه إلى هذه الذات ،
فيتعشقها ويتخذ منها موضوعاً لتصريف طاقته الجنسية .

وقد أخذت هذه المرحلة اسمها الذى أطلقه عليها فرويد من أسطورة
إغريقية نظر فيها «نرجس» إلى صورته فى مياه بحيرة ، فأعجب بنفسه إعجاباً
شديداً وهام بذاته حباً ، فأخذ يطيل النظر إليها فى مياه البحيرة من فرط
إعجابه بجماله حتى حولته الآلهة إلى الزهرة المعروفة بهذا الاسم .

وفى هذه المرحلة تتجه ميول الطفل إلى نفسه يتعشقها ويجد لذة من خلال
عشقه لها .

وبالمثل قد تبقى آثار من هذه المرحلة مع الطفل بعد ذلك ، تتمثل فى
إعجاب البالغ - ذكر أو أنثى - بعد ذلك بتركيب جسمه ، وشعوره بالمتعة
نتيجة لذلك : أو تأمله لبعض أجزاء هذا الجسم ، أو وقوفه عارياً أمام المرأة ...
أو نحو ذلك .

وإذا وقف النمو الجنسى عند حدود هذه المرحلة ، ولم يتدرج إلى المرحلة
التالية ، فإن الفرد عندما يكبر قد لا يشعر بحاجته إلى الزواج .. لأن ميوله لا
تتطور وتتجه إلى الغير بل تبقى مركزة فى ذاته فحسب . ويكتفى بعشق هذه

الذات والحصول على متعته الجنسية من خلالها .. عن التفكير في موضوعات خارجية للحصول على المتعة الجنسية .

٣ - عشق الغير :

وفي هذه المرحلة تتحول الميول الجنسية إلى موضوعات خارجية . وهي نتيجة أولاً إلى أفراد من نفس جنس الفرد ، ثم تترق وتتحول إلى أفراد من الجنس المخالف .

ويجب ألا يفهم من كلامنا .. أن الميول الجنسية تتجه أولاً إلى أفراد من نفس الجنس .. أن الطفل يمارس اتصالاً جنسياً سافراً مع أفراد آخرين من نفس جنسه . فالتطور الطبيعي ومرور الطفل بهذه المرحلة يعنى أن حب الطفل ومداعباته ولعبه يكون أثناءها متجهاً إلى الأطفال الذين من نفس جنسه . لنجد الولد مثلاً يكره صحبة البنات ولا يلعب إلا مع الأولاد ، ولا يداعب غيرهم . ونجد البنات بالمثل يعاملن الأولاد نفس المعاملة . ثم تتطور هذه الميول ويبدأ كل فريق في البحث عن علاقات مع أفراد الجنس الآخر .

ويتطلب النمو السليم مرور الطفل بهذه المراحل جميعها ، وانتقاله من واحدة إلى الأخرى . وتوقفه عند واحدة منها له آثاره السيئة . ويترتب عليه اضطراب الوظيفة الجنسية ، وعدم وصول الطفل في النهاية إلى النضج الكامل لهذه الوظيفة ، الذي يتمثل في تصريفه طاقته الغريزية بشكل سليم مع الجنس الآخر .

ويطلق على توقف النمو عند مرحلة بالذات ، واستمراره بعد ذلك بالشكل الذي توقف عنده بالثبوت . وقد رأينا آثار الثبوت في المرحلتين السابقتين .

وفي هذه المرحلة (عشق الغير) قد تثبت ميول الطفل الجنسية عند الأفراد الذين من نفس جنسه ولا ترتقى فتتجه إلى الجنس الآخر . وإذا ثبتت ميول الطفل عند هذا الحد ، تظهر أنواع مختلفة من الشذوذ الجنسي أوضحها الجنسية المثلية حيث يجد كل نوع من الجنسين متعته بالاتصال بأفراد من نفس جنسه .. وهكذا .

الموقف الأوديبى :

تعلق الطفل بالكبار من الجنس الآخر يبدأ أول ما يبدأ بالأبوين . لأنهما هما اللذان يتصل بهما اتصالاً مباشراً وهما اللذان يشبعان كل رغباته . إلا أن درجة تعلق الطفل بالنسبة للأم أو الأب تتوقف على نوع جنسه . إذ بالتدريج يبدأ الولد في الاتجاه نحو الأم ، وكذلك تبدأ البنت في الاتجاه نحو الأب . مثل هذه التطورات في العلاقة الجنسية التي تربط كلا من الولد والبنت بأحد الأبوين من الجنس المخالف ، يترتب عليه نوع من الصراع ينتهى بما يسمى بالموقف الأوديبى . أو تكون عقدة أوديب بالنسبة للولد . أما البنت فينتهى عندها بنشأة عقدة ألكترا .

ولتوضيح هذا النوع من الصراع نذكر أن الطفل عندما يميل إلى الأم ، يميل إلى امتلاكها والاستحواذ عليها بنفسه . ولكنه يجد في الأب منافساً خطيراً في حبه للأم ، لأنه يهدد هذه العلاقة ، ولأنه يرى نفسه - أعنى الطفل - غير قادر على التغلب عليه . فتبدأ كراهيته للأب . ويغذى هذه الكراهية موقف الأب منه كمؤدب ومرب . فهو الذى يصدر إليه الأوامر ، وهو الذى يعاقبه ، وهو الذى يتدخل في كل مجريات حياته . وتصل به الكراهية أحياناً إلى درجة يتمنى فيها موت الأب والتخلص منه ومن منافسته .

ولكن هذا الأب نفسه — من جهة أخرى — هو موضع إعجاب الطفل وموضع فخره لأنه ينتمى إليه ، ولأنه هو الذى يحقق له كل رغباته ، ولأنه هو الذى يدافع عنه عند اعتداء الآخرين عليه ويحتمى به ، ولأن صورته فى ذهنه هى صورة الإنسان الكبير الذى لا يقاوم .

فالابن من جهة يكره الأب ويحقد عليه لمنافسته له فى حب أمه وامتلاكها ومن جهة أخرى يعجب به ويرضى عن إشباعه لحاجاته . ونتيجة هذا الموقف يتعرض الطفل لنوع من الصراع . وهذا الصراع هو الذى يؤدى إلى عقدة أوديب .

وقد أخذ فرويد هذا الاسم أيضا من أسطورة إغريقية قديمة تدور حول «أوديب» الملك . الذى حارب أباه وقتله ، وتزوج أمه دون أن يعرف أنها أمه . فلما تبين له الأمر بعد ذلك استعظم فعلته وفقاً عينيه تكفيراً له على جرمه . ومن هنا أخذ فرويد اسم «أوديب» للتدليل على الرغبة اللاشعورية الكامنة فى أعماق الطفل للتخلص من الأب وامتلاك الأم .

هذا ، وتمر البنت بدورها بنوع مشابه من الصراع يؤدى بها إلى عقدة ألكترا ...

ويتبين لنا من هذا العرض نوع الصراع الذى ينشأ داخل أعماق الطفل ، ونوع المراحل التى يمر بها نموه الجنسى ، والتى تنتهى إذا استمر هذا النمو فى طريقه الطبيعى إلى نضج الوظيفة الجنسية وإلى اتجاهها إلى العلاقة السوية بالجنس الآخر .

مظاهر الانحراف الجنسى :

هناك أنواع كثيرة ودرجات متباينة للانحراف الجنسى . منها ما يقتصر

على الفرد نفسه ، وإشباعه رغبته الجنسية عن طريق جسمه هو كالعادة السرية ، شائعة الانتشار بين المراهقين والشباب في الفترة السابقة لزواجهم . ومنها ما يتجه إلى أفراد آخرين من نفس الجنس (الجنسية المثلية) كاللواط والمساحقة ، وهي أقل انتشاراً . ومنها ما لا يقتصر على الرغبة الجنسية وحدها بل ترتبط فيه هذه الرغبة بالرغبة في الإيذاء (السادية) . أو العكس ترتبط بالخضوع للجنس الآخر وإيذائه له .

ومنها الأكثر تطرفاً والأندر حدوثاً ، مثل اللجوء إلى جرائم القتل ، الجنسية ، ومواقعة جثث الموتى الخ .

ونتعرض فيما يلي للشائع من هذه الانحرافات وخاصة العادة السرية والجنسية المثلية ، من حيث الأسباب التي تؤدي إلى كل منهما ، والعوامل المؤثرة فيهما ، وطرق مقاومتها ووقاية الشباب منها .

العادة السرية :

تكاد العادة السرية أن تكون صفة من صفات مرحلة المراهقة يمر بها كل فتي وفتاة . فنادر من المراهقين من لم يمارس هذه العادة . وقليل منهم من يتمكن من التخلص منها تماماً قبل الزواج .

ويكثر القيام بها عند الجنسين في الوقت الذي يبلغ فيه الدافع الجنسي منتهى شدته ، وذلك عند البلوغ الذي غالباً ما يكون في سن الثانية عشرة عند البنات والثالثة عشرة عند البنين إلى نهاية مرحلة المراهقة في الثامنة عشرة تقريباً .

والسلوك الطبيعي يقتضي الكف عنها متى بلغ الإنسان سن النضج والرجولة أو الأنوثة الكاملتين وتعرف على شتى نواحي الحياة وبدأ يعتد

بنفسه ، ويتغير اهتمامه الجنسي من العبث بأجزاء جسمه إلى السعى نحو تصريف هذا الاهتمام مع فرد من الجنس الآخر عن الطريق الطبيعي وهو الزواج .

ويمارسها المراهقون عادة بالعبث بعضو التناسل باليد أو عن طريق احتكاك الفخذين وخاصة بالنسبة للبنات أو عن طريق الاحتكاك بأى شئ آخر .

ويبدأ الفتى أو الفتاة ممارسة هذه العادة بعد سماعه عنها أو محاكاة لزملائه ، أو نتيجة لمخالطة الشبان أو البنات بعضهم ببعض . وإن كانت أغليبيتهم يلجأون إليها من تلقاء أنفسهم ، ويحرصون في الغالب على ألا يشعر أحد بممارستهم لها . ويتكتمون أمرها في أغلب الأحوال . وتشجعهم على ممارستها الصور العارية أو شبه العارية ، أو الروايات والقصص الجنسية ، وغير ذلك من الموضوعات التي تلهب خيال المراهقين وتحرك دوافعهم الجنسية ، فيلجأون إليها — أقصد هذه العادة — كمتنفس لتصريف هذا الدوافع .

ونظراً لشعور المراهق — فتى أو فتاة — بأن ممارسته لهذه العادة أمر غير طبيعي وأنه عبث ، ونظراً للتكتم والسرية التي تحاط بها هذه الممارسة ، وأيضا لما يتردد بين المراهقين من أنها ضد الدين وأن لها آثاراً غاية في السوء — صحية وغير صحية — وأنها تؤثر على النشاط الجنسي في المستقبل بعد الزواج ... فإنهم يقعون تحت تأثير نوع من الصراع لا يجدون له حلاً فهم من جهة يرغبون في الإقلاع عن هذه العادة ويشعرون بالخزي والإثم وضعف الإرادة بعد كل مرة يمارسونها فيها ، ومن جهة أخرى يضطرون تحت تأثير دوافعهم الجنسية المتزايدة إلى هذه الممارسة ، ولا يتمكنون من التخلص منها . وإن تمكن الواحد منهم من التخلص منها لبعض الوقت ، أو من التقليل من ممارستها ، أو شغلته عنها بعض الشواغل .. فإنه لن يلبث أن يعود إليها ... وهكذا .

ولذلك لا يمكن النظر إليها على أساس أنها بديل للعملية الجنسية الطبيعية التي يشترك فيها زوجان متوافقان ، والتي لا يتعرض فيها الزوجان لمشاعر الإنثم والخطيئة أو الخوف أو ما أشبه ، وهي من هذه الناحية (أى العادة السرية) طريقة للتحايل على إشباع الدافع الجنسي دون القيام بالعملية الطبيعية .

ولكن في الوقت نفسه يجب ألا نغالى من تأثيراتها الجسمية . فالإسراف فيها قد لا تتجاوز تأثيراته تأثيرات الإسراف في القيام بالعملية الجنسية . ويجب ألا نذهب أيضاً مع القائلين بأنها تستنزف الدم أو أنها تورث الجنون ، أو أنها تفقد الفرد قدرته على القيام بالنشاط الجنسي الطبيعي في المستقبل أو نحو ذلك فكل هذه الأمور مغالى فيها ولا تمثل الحقيقة تماماً .

ولا نقصد بهذا التوضيح تشجيع المراهقين على ممارستها . بل على العكس لا زلنا نقول أنها اتجاه غير طبيعي وغير سوى لتصريف الطاقة ، الجنسية .. وأنه من الأفضل تصريف هذه الطاقة عن طريق الاندماج في نشاطات أخرى من النوع الذى يميل إليه المراهقين وأن لها جوانبها النفسية السيئة .. بل من علماء النفس من ينسب إليها بعض الأمراض النفسية المعروفة مثل مرض النيوروستانيا ، الذى يرجعه فرويد إلى الإفراط في القيام بهذه العادة بالذات ، ويرجعه غيره إلى التوتر النفسى والتعب المصاحب لها أو إلى النتائج التى تترتب عليها والمشاكل النفسية التى ترتبط بالرغبة في تركها مع عدم القدرة على تنفيذ ذلك ... الخ . وإنما يدفعنا إلى ذلك وضع الأمور في نصابها الصحيح أمام المراهقين والشباب ليتعرفوا على أبعادها الحقيقية وأضرارها ، وحتى لا يقعوا تحت الشعور بالخوف من المرض والجنون ، إذ أن التأثيرات النفسية لهذه العوامل الأخيرة وغيرها أشد وأقوى من تأثيراتها على جسم الإنسان وصحته .

الجنسية المثلية :

تعنى الجنسية المثلية العلاقة التى تقوم بين فردين من جنس واحد وتعرف بين الذكور بالواط وبين الإناث بالمساحقة أو السحاق .

ولا تعنى الجنسية المثلية بالضرورة أن يتم بين الفردين (من نفس الجنس) اتصال من نوع الاتصال الجنسى بين الذكر والأنثى ، بل تعنى وجود ميل ذى طبيعة جنسية مشترك بين الفردين . وهذا الميل يتدرج من مجرد الحب والتعاطف بين فردين من نفس الجنس .. الى الشكل الكامل للجنسية المثلية الذى يتضمن فى المعاشرة الفعلية كما تحدث بين الذكر والأنثى .

وكثيراً ما يبدأ هذا الميل بصداقة وطيدة تجمع اثنين شابين أو فتاتين .. تلميذتين مثلاً فى المدرسة ، فتبادلان الود والتعاطف ، وتشاركان فى همومها ومتاعبها وتكثر زيارتهما لبعضهما البعض واتصالاتهما ، وتنتهى فى النهاية بتفريغ هذه الهموم والتنفيس عن هذه المتاعب فى علاقات من هذا النوع .

وقد تقف حدود العلاقة عند مجرد الإعجاب الشديد والوله من جانب واحد . كالصلة التى تجمع بين تلميذة مثلاً وبين مدرسة تعجب بها وتحبها وتداوم على الاتصال بها والكلام معها وزيارتها ، وتقديم الهدايا إليها فى المناسبات ، وتكوين علاقة دائمة أو شبه دائمة معها .. إلى غير ذلك من التصرفات .. التى تعرفها المدرسة فى الغالب وتترك الدوافع التى وراءها ، ولذلك تحرص على ألا تتعدى العلاقة بينها هذه الحدود . وتنتهى هذه العلاقة عادة عندما تزوج الفتاة وتشغلها مشاكل الحياة .

والجنسية المثلية من أكثر الانحرافات إنتشاراً فى بلدان العالم المختلفة .. متمخلة أو متقدمة . بل ربما كان انتشارها والاعتراف بها فى بلاد العالم المتقدمة

(اقتصادياً) أكثر بكثير . بل أصبحنا نسمع في هذه البلاد من يدافع عنها ، ليس بين العاديين من الناس ، وإنما بين رجال الفكر والعلم . بل ومن يعترف بممارسته لها على أساس أنها شيء يتصل بحياته وبحريته الشخصية ، وأن لا ضرر منها على الآخرين . وفي هذا مغالطة كبيرة . إذ أن قوام المجتمع يقوم في حقيقته على العلاقة السوية بين أفرادها ، وعلى اللبنة الأولى التي تتمثل في الأسرة الصغيرة التي تتكون من زوج وزوجة وأولاد ، وعلى أسس من التقاليد والعادات والقيم ، تسير عليها الأسرة في تنشئتها لأولادها ، ويسير عليها أفراد المجتمع بصفة عامة في حياتهم وعلاقاتهم بعضهم ببعض . ومن ثم يمثل هذا النوع من العلاقات خطراً على المجتمع ، إن لم يظهر في المدى القريب ، فلا بد وأن يظهر ، إذا سادته هذه الانحرافات وبدأ تأثيرها مع الزمن ، في تفكك الأسرة وعدم توافر الجو الأسرى السليم لتربية الأبناء .

ويرجع السبب في هذا النوع من الانحرافات إلى طبيعة الظروف ونوع العادات والتقاليد التي تسود مجتمعاً من المجتمعات . فهي في المجتمعات المغلقة التي لا تسمح للفتاة بالخروج ، والتي تظل الفتاة فيها قابعة بين جدران البيت تنتظر زوج المستقبل .. الذي قد يطول انتظاره . ولا تجد أمامها غير بنات جنسها ، قد تنحرف ، بسبب الظروف وعدم وجود ما يشغلها ، أو وجود منطلق آخر اجتماعي أو ثقافي أو غيره تخفف عن طريقه بعض طاقتها الحيوية ، فتمارس هذا النوع من الانحرافات .

وينطبق نفس الوصف على الشباب من الذكور اللذين يعيشون ظروفاً مشابهة ، ولم يجدون منطلقاً لتصريف طاقتهم الانفعالية غير هذا السبيل .

وتؤدي الحروب أحياناً إلى نفس النتيجة . نذكر مثلاً لذلك ما حدث

لأوروبا نتيجة الحرب العالمية الثانية وفقدانها الكثير من رجالها وشبابها ، وما ترتب على ذلك من انخفاض نسبة الذكور إلى الإناث لانخفاضاً كبيراً . بحيث أصبحت فرصة الزواج أمام المرأة قليلة للغاية .

وإذا كان هذا هو السبب بالنسبة للمجتمعات المغلقة أو للبلدان التي تعرضت للحروب والكوارث ، فإن السبب يختلف بالنسبة لكثير من بلدان العالم اليوم ، وبلدان أوروبا وأمريكا بالذات التي لا تشكو من هذا الوضع ولا تتأثر بمثل هذا النوع من العوامل والأسباب ، وإنما يشكو شبابها من الفراغ ، ومن استنفاد أنواع المتعة المشروعة وغير المشروعة ، والذين أصبحت لا ترضيهم ولا تشبع غرائزهم غير أنواع المتعة المسرفة في الانحراف ، والذين أصبحوا في مأمن من القانون — الذي يعترف في بلدان كثيرة منها بهذه الأنواع من الانحرافات — وفي مأمن من غضب المجتمع ونقمته في الوقت نفسه .

ويصعب علاج هذه الأنواع من الانحرافات إذ تأصلت في ذات الفرد وأخذت شكل العادة ، التي لا يستطيع صاحبها أن يتركها أو يرضى بغيرها لإرضاء ميوله ودوافعه .

وإنما يسهل العلاج لو اكتشفت بوادرها من أول الأمر وعرفت الأسباب الكامنة التي وراءها ، وعولجت هذه الأسباب ، وعمل الآباء من جهة ، وغيرهم من المسؤولين من جهة أخرى ، على تنظيم أوقات فراغهم وتوجيه طاقتهم الحيوية إلى أوجه مختلفة من النشاط ، إجتماعية وثقافية وغيرها ، تستوعبها وتخفف من تأثيراتها . وأيضاً عن طريق المناقشات الهادئة المتزنة التي تزيح عن أنفسهم أسباب القلق والتوتر ، حتى تنتهي هذه الفترة المضطربة من حياتهم ، وحتى يوفقوا في النهاية إلى زواج يرضى ميولهم ورغباتهم ، وتستقر عن طريقه حياتهم .

وأهم من ذلك كله أن نعمل على وقايتهم من أول الأمر . وألا نتركهم حتى يقفوا فريسة هذه الانحرافات . وإنما نعنى بتربيتهم تربية جنسية سليمة .. وهو الموضوع الذى نهتم به فيما يلى .

التربية الجنسية :

إن أفضل طريقة لمواجهة مشاكل الجنس ، وتساعد المراهق على التغلب عليها ، هى تربيته منذ الصغر تربية جنسية سليمة ، وإعداده للتطورات والتغيرات التى يمر بها حتى لا يفاجأ بها ، وحتى يعرف طريقه خلال المشاكل التى يتعرض لها على ضوء معرفته بطبيعة هذه التطورات والتغيرات .

والتربية الجنسية لا تقتصر على مرحلة دون مرحلة ، بل تبدأ مع الطفل منذ طفولته المبكرة ، وبالقدر الذى يسمح به نموه العقلى ، وتستمر معه خلال مراحل الطفولة المتتالية ، وتعد فى نهايتها لمرحلة المراهقة ، ثم تأخذ فى هذه المرحلة الأخيرة شكلا يناسب النمو المتزايد للنشاط الجنىسى خلالها وللمشاكل المترتبة عليه .

فكما سبق أن رأينا يبدأ النمو الجنىسى عند الطفل منذ سنوات عمره الأولى ، وتبدأ بالتالى اهتماماته واستفساراته . ولذلك يحسن أن يدرك طبيعة الحياة الجنسية عند الحيوان وعند الإنسان ، وأن يتلقى بالنسبة لها إجابات صحيحة تساعد على تكوين فكرة سليمة عن طبيعة هذه الحياة ، لأن الطفل شغوف بالمعرفة وخاصة بالأشياء المبهمة المحاطة بالأسرار . فننعه والحالة هذه ، أو الرد عليه بجفاء ، أو تغيير الموضوع كلما تعرض الطفل لأمر من أمور الجنس ، أو لسؤال يتصل به ، أو زجره ، أو نحوذ ذلك من التصرفات التى يلجأ إليها الآباء فى العادة ، كلما واجههم أطفالهم بأسئلة تتصل بالجنس من قريب أو بعيد .. لن يؤدى بالطفل

إلى الكف عن استفساراته أو عدم الاهتمام بالموضوع ، بل على العكس سيزيد من إهتمام الطفل ، وسيجعله يلجأ إلى مصادر أخرى للبحث . فبالجأ مثلا إلى الأطفال الأكبر سنّاً الذين تعوزهم الإجابة الصحيحة والمعرفة الحقيقية أو غير ذلك من المصادر التي يمكن أن يستقى منها معلوماته حول هذا الموضوع . والنتيجة هي تشويه صورة الجنس في ذهن الطفل ، وشعوره بالنسبة له بالأثم والخطيئة ، نتيجة إعتقاده بأن الكلام في هذا الموضوع .. عيب .. وحرام .. إلى غير ذلك من الأوصاف التي يوصف بها الجنس عادة كلما دار الحديث حوله . وأيضاً شعوره بالقلق والخوف وغير ذلك من النتائج التي قد تؤدي إلى انحراف الطفل ، وتؤثر في مستقبل حياته بصفة عامة ، وخاصة حياته الجنسية .

ولكن ليس معنى هذا أن نناقش موضوعات الجنس مع الطفل بأية صورة أو أن نشركه في مناقشاتنا وأحاديثنا التي تدور حول هذا الموضوع ، والتي نقصد بها مجرد تزجية وقت الفراغ ، أو التي تدور حول النكات المكشوفة ، وتستخدم فيها الألفاظ الخارجة التي تجرح حياء الطفل وتثير فيه الشعور بالإشمئزاز وتشهره من حقيقة الجنس في نظره . بل يجب أن تلتزم مناقشاتنا معه وردودنا على أسئلته بالحقائق التي تتصل بهذا الموضوع ، والتي يكتسب عن طريقها المدلولات العلمية والألفاظ التي تعبر عن طبيعة النشاط الجنسي وتركيب الجهاز التناسلي ، وأيضاً المعلومات الكافية عن وظيفة هذا الجهاز ، والدور الذي يقوم به في حياة الإنسان ، حسب ما تسمح به إمكانيات الطفل وقدراته على الفهم والإستيعاب .

وأن نساعد الطفل في جميع الأحوال على أن يدرك أن كل عضو من أعضاء جسمه ، وكل طور من أطوار النمو التي يمر بها ، أمر مرغوب فيه ، وله وظيفة معينة يؤديها . وأنه ، وإن كان من المهم ألا نعطي لعضو من هذه

الأعضاء ، أو لجهاز من أجهزة الجسم أهمية خاصة ونقصر اهتمامنا عليه ، ونقلق من أجله ، إلا أننا من ناحية أخرى يجب ألا نهمل هذا العضو ونحذر الكلام عنه ، بل نعاملها جميعاً نفس المعاملة ونهتم بها نفس الاهتمام . وندرس الدور التي تقوم به في حياتنا . وما يجب علينا أن ننتبه إليه خاصاً بها .

وهناك أسئلة تدور حول الجنس يختار الآباء بالنسبة لها ، ولا يعرفون كيف يكون الجواب عليها ، عندما يسأل الطفل مثلاً :

— كيف جئت إلى هذه الحياة ؟

— لماذا جئت بنتاً وليس ولداً ؟

— لماذا تنجب الأمهات بالذات ولا ينجب الآباء ؟

أو نحو ذلك من الأسئلة التي تربك الأب والأم ، ولا يعرفان طريقتهما للإجابة عليها .

والقاعدة العامة التي يجب أن يلتزمها الأب والأم ويلتزمها الكبار بصفة عامة ، في ردودهم على مثل هذه الأسئلة هي ما ذكرت .. أن يجيبوا الطفل بصدق وبصراحة وبالقدر الذي يتمكن الطفل من فهمه . فلن يضر الطفل أبداً أن يقول له الأب بأنه جاء من بطن أمه تماماً كما تضع القطعة صغارها . وهي أمور يشاهدها الطفل ويعقلها . وفي أول الأمر قد يصعب على الطفل الصغير أن يفهم أنه يأتي إلى الحياة نتيجة عملية يشترك فيها اثنان هما الأب والأم . ولكن بالتدريج ، وعن طريق الوقائع التي يشاهدها من اتصال ذكور الحيوانات بأنثاهما ، وحدث الولادة بعد ذلك ، يمكن أن يفهم الطفل بعض الحقائق الخاصة بهذا الموضوع . أما الرد على أسئلته ردوداً غير حقيقية ، ففضلاً عن أنها تشوه الحقيقة ولا تساعد على نمو الطفل وتربيته تربية جنسية سليمة ، فإن

الطفل لن يلبث أن يكتشف زيفها ، ويفقد ثقته بالمعلومات التي يدلى بها الأيوان ، ويبحث عن مصادر أخرى يستقى منها معلوماته ، وأغلبها - كما ذكرت - مصادر مضللة أو تهدف إلى الإثارة فحسب ، ولكل هذا نتائجها الضارة بالنسبة لسلوك الطفل ومستقبل حياته .

وفي نهاية الطفولة وقبيل المراهقة ، يمكن أن تتطرق المعلومات والحقائق التي تعطى للطفل إلى نواحي أخرى أكثر تفصيلا .

وقد يكون من الأفضل عندما نصل إلى هذه المرحلة ، أن تتولى المدرسة هذا الواجب ، إذ تتاح لها من خلال دروس الأحياء أن يعرف الطفل قصة الحياة ، وأن يتعرف على الحياة الجنسية عند الكائنات الحية . بل ويمكن عن طريق الأفلام السينمائية ، وعن طريق زيارة المتاحف الصحية وغير ذلك من الوسائل أن نتيح للطفل إمكانيات أكثر للفهم واستيعاب هذه الحقائق ، التي يحسن أن يلم بها قبل أن تأتى مرحلة المراهقة .

إذ من المهم جداً إعداد هذه المرحلة ، ومعرفته مسبقاً بالتغيرات التي سيتعرض لها خلالها ، حتى لا يفاجأ بها وحتى لا يصدم . وخاصة بالنسبة للتغيرات ذات الطبيعة الحساسة ، مثل حيض الفتاة أو احتلام الفتى .. أو نحو ذلك . عن طريق تعريفه بالحقائق الخاصة بالجهاز التناسلي ووظيفته ، والصورة التي يعمل بها . فتعرف الفتاة مثلاً طبيعة الدورة الشهرية ومدتها ، وبعض المتاعب التي تصاحبها ، وما يجب عليها أن تفعله للتخلص من هذه المتاعب ، حتى تتقبل الفتاة هذه الأمور وتعد نفسها لها ، وتتجنب كل ما من شأنه أن يعقد الأمور بالنسبة لها .

أما ترك الفتى والفتاة لشأنهما ليستقبلا هذه التغيرات التي تطرأ على تكوينهما

ففضلاً عن مشاعر الخوف والقلق من أن تكون هذه التغيرات غير طبيعية ، وأن يكون ما حدث لها شيئاً غير عادى . أو مشاعر الإشمئزاز نتيجة تربية الابن على استنكار كل الأمور التى تتصل بالجنس ، أو مشاعر الإثم نتيجة إحاطة الدافع الجنسى وكل ما يتعلق به ووصمه بالخطيئة والذنب .. فإن جهل المراهق بحقيقة ما يطرأ عليه قد يعرضه أيضاً لبعض المشاكل والانحرافات التى تعرضنا لبعض أنواعها فيما سبق خاصاً بهذا الموضوع ..

ومن المهم أيضاً أن يتعرف المراهق على كيفية التصرف بالنسبة لهذا الجديد وكيف يواجهه . والمزائق وأنواع الانحرافات التى هو عرضة لها نتيجة .. إذا لم يتبع الطريق السليم . يجب أن يعرف مثلاً كل ما يتعلق بالعادة السرية ، من حيث أضرارها وكل المشاعر المصاحبة لها . وأن يقف على الحقيقة الكاملة الخاصة بها . على النحو الذى سبق أن أوضحناه عند الكلام عن هذه العادة . وأن يعرف أيضاً أسباب الجنسية المثلية والظروف التى تهيء للانحدار نحوها والتردى فيها . وطرق مواجهة هذه الظروف ، وتوقى العوامل والأسباب التى تجرف الشباب نحو هاوية هذه الانحرافات .

والأخذ بيد الفتى والفتاة نحو الطريق الآمن . طريق إعلاء الدافع الجنسى حتى تمر هذه الفترة من حياته وحياتها بسلام ، وحتى يصل إلى شاطئ الأمان والاستقرار عن طريق الزواج .. هو أحد أهداف التربية الجنسية الأساسية ، وأمر ضرورى وواجب من واجبات البيت والمدرسة فى هذه الفترة من حياتها . ونعنى بالإعلاء تغيير مجرى الرغبة من طريقها الأصلى الذى تقف دونه عقبات وصعوبات ، إلى طريق آخر أو شكل آخر نرضى عنه ونقره . أو بمعنى آخر بدل أن تكون كل اهتمامات الشاب منحصرة فى إرضاء الدافع

الجنسى عن طريق أمور تتصل بهذا الدافع اتصالاً مباشراً كممارسة العادة السرية أو نحو ذلك ، يمكن تصريف طاقتهم الحيوية عن طريق مجالات أخرى واهتمامات تستنفذ هذه الطاقة وتعود في الوقت نفسه على الشباب ببعض الفوائد كتشجيعهم على الاندماج في الفرق الرياضية أو الاشتراك في الرحلات الدراسية أو ممارسة هواية من الهوايات المفيدة أو نحو ذلك من الوسائل والغايات . وأن تكون أوجه النشاط التي نوجههم إليها من النوع الذي يميل إليه كل شاب . حتى إذا اندمج الشاب فيها أمكنه أن يتغلب على أموره الجنسية ، أو يخفف - على الأقل - من قوة تأثيرها وضغطها .

إنه يشعر بالفعل أنه ضحيته وأن ما يمارسه أمر غير مرغوب فيه ، ويقلق من أجل ذلك ، ويرغب في التخلص من أسباب قلقه . ومن واجبنا أن نساعد على تحقيق هذه الغاية .

وفي جميع الأحوال يجب الاهتمام بتنظيم أوقات فراغ الشباب ومساعدتهم على ذلك ، وتوفير الوسائل والإمكانيات التي تحقق هذه الغاية كنوادي الشباب والرياضة والنوادي الثقافية .. أو غير ذلك . إذ أن المشكلة الأساسية في تصريف طاقة الشباب الحيوية إنما تكمن في وقت الفراغ الذي لا يعرف الشاب كيف يملأه . وأسهل السبل للملئه هي الاتجاه نحو الإشباع السهلة كقراءة الروايات العاطفية ، أو التسكع مع الرفاق على نواصي الشوارع أو في المقاهي ، ومشاهدة الفتيات أو تتبعهن .. أو نحو ذلك من التصرفات التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالجنس ، والتي تنتهي آخر الأمر بصورة من صور الانحراف الجنسي .

وكذلك الحال بالنسبة للفتاة التي لا تعرف كيف تقضي وقتها ، وتكتفي في العادة بملازمة البيت ، وقراءة بعض الروايات العاطفية بالمثل ، أو زيارة

زميلاتها وصديقاتها وقطع الوقت بأحاديث مشابهة متكررة .. والنتيجة في كلتا الحالتين — أعنى بالنسبة للشاب والفتاة — واحدة على أية حال .

نخلص مما تقدم بضرورة الاهتمام بتربية أبنائنا تربية جنسية سليمة ومناقشتهم في كل ما يتصل بالأمور الجنسية مناقشة صريحة ، والإجابة بصدق على كل ما يسألون عنه بخصوصها ، وتوجيههم على ضوء هذه المناقشات وعلى ضوء المعرفة الضرورية بحياة الإنسان الجنسية توجيهاً سليماً .

لأن عدم الإجابة على أسئلتهم أو تعنيفهم عليها ، سيجعل لهذه الأمور أهمية خاصة عندهم ، وستجعلهم يلجأون — كما ذكرنا — إلى مصادر أخرى يستقون منها معلوماتهم ، التي تكون في أغلب الأحوال غير حقيقية ومبالغاً فيها .

وينبغي أن يقر في الأذهان في جميع الأحوال ، أن الجنس في حد ذاته ليس مشكلة ، ولكنه أحد مظاهر الحياة السوية . وأن الإنسان يتدرج في مراحل النمو الجنسي المختلفة كما يتدرج في مراحل النمو الجسمي الأخرى . وأنه قد يعثر النمو الجنسي بعض التغيرات ، شأنه في ذلك شأن مظاهر النمو الأخرى ، وأن الفرد يتعلم خلال حياته كيف يتكيف لهذه التغيرات . وليس ثمة داع لأن نجعل الشاب يشعر بأن الجنس معضلة يجب أن يقاومها ويتغلب عليها .. أو أنه مع الجنس في حرب يجب أن يتصر فيها .

مشكلات الزواج :

تنبع مشاكل الزواج من المشكلة السابقة — أقصد المشكلة الجنسية — وترتبط بها من بعض نواحيها ، وإن كان الزواج في أصله هو الطريق السوي لمواجهة كل المشاكل الجنسية .



General Organization Of the Alexan
dria Library (GOAL)

Bibliotheca Alexandrina

وقد تساءلت عندما فكرت في الزواج كمشكلة تواجه الشباب . كيف يكون الزواج مشكلة وهو النهج الطبيعي الذي يجب أن يتجه نحوه الشباب لكي يستقروا ، ولكي تتحدد أمامهم أهداف معينة وآمال تتصل ببناء الأسرة وتدعيمها ، وحتى يأخذ كل منهم دوره الكامل في الحياة .

وهو الطريق المحدد الذي أوصى به الدين ، والذي نزل فيه من التشريع السماوي ما لم ينزل في موضوع آخر . هو علة النسل وسبب التكاثر وأصل الحياة فكيف يكون مشكلة ؟

ثم ساءلت نفسي ثانية : وهل الزواج بالنسبة لشبابنا أمر طبيعي حقاً ؟ وهل هو يسير في هذه الحدود ؟ وهل الطريق إليه معبد .. خال من العوائق والصعوبات ؟

ولم أتردد عند هذه الأسئلة الأخيرة . فالزواج عندنا ليس بالأمر الهين السهل ، وليس بالأمر الطبيعي فهو إذاً مشكلة . ولكن ما الذي جعل منه مشكلة ؟ هناك في الواقع أسباب كثيرة . هناك الحقيقة التي أشرت إليها فيما تقدم ، وهي أن الفتى والفتاة يصلان إلى تمام نضجها وبلوغها في بلادنا في سن مبكرة نسبياً . وهذا معناه أن الحاجة للزواج تظهر في وقت مبكر لا يستطيع الشباب فيه أن يستقل بنفسه وينشئ بيتاً ، لأنه لا يكون قد انتهى بعد من تعليمه ، ولم يكتسب بعد مهنة يعيش منها .

وحتى إذا عمل في سن مبكرة ، فنادرأ ما يوافق الأبوان على زواجه ، أو يوافق هو نفسه عليه .

إذاً أن تعقد الحياة التي نعيشها في الوقت الحاضر يتطلب وصول الفتى أولاً

إلى مستوى معين من القدرة الاقتصادية يجعله أقدر على الوفاء بمستلزمات البيت وتكوين أسرة ، وتوفير الحياة لها بالشكل الذى يرضى عنه ، وبالصورة التى توائمها وتوائم شريكه حياته .. الصورة التى تستوفى مستلزمات البيت الحديث وكمالياته .

وصورة بيت الزواج .. أو عش الزوجية كما يفضل أن يسميه الكثيرون — وهى ليست تسمية عفوية بل لعلها تفسر السبب الذى أشير إليه — صورة هذا البيت .. أو العش .. فى ذهن الشباب صورة خيالية يتصورون أنها ستتحقق لهم كل أنواع المتعة والسعادة .. صورة عاشروها زمناً وتخيّلوها ليلاً ونهاراً . وبنوها طوبة طوبة ، وفكروا فى كل ركن من أركانها كيف يكون . وفى كل موضع منها وشكله المطلوب .

والنزول بهذه الصورة الخيالية إلى أرض الواقع ، أو بمعنى آخر ، وضعها موضع التنفيذ يتطلب الشئ الكثير .

ولعل هذا هو أحد الأسباب التى تجعل الشباب يؤجل الفكرة من وقت إلى وقت ، حتى يتمكن ظروفه من تحقيق ما يصبو إليه .

وليت الأمر يقتصر على تأثيث البيت ، بل هناك أيضاً المهر والمتطلبات المادية الأخرى التى يحتاجها الزواج ، والتى جرت العادة على الوفاء بها ، والتى يكون الشاب عادة غير قادر على تحملها ، وخاصة فى بدء حياته العملية .

وهذه عقبة نعرفها جميعاً ونقدرها ، وإذا ناقشنا الآباء فيها ، قلما نجد منهم من ينكر ضررها وأثرها السيئ ، وأنها تقف حجر عثرة فى سبيل زواج الكثيرين .

ولكن إذا إنتهى وقت الكلام وجاء وقت العمل ، لم يصبح لهذه الآراء

أى قيمة ، ويصبح التقليد والمحاكاة ومجارات الواقع ، والسير على النهج المعتاد هو العامل الأول وهو الفصل فى الموضوع . وتنتج المناقشة إلى كم سيدفع الشاب ونوع الأثاث الذى سيأتى به .. إلى غير ذلك من المتطلبات .

والنتيجة أن يهرب الشاب من فكرة الزواج سنوات بعد سنوات ، تمر من عمره .. وهو واقع تحت تأثير ضغط جنسى لا يرحم ، ورغبة تقف هذه الموانع دون تحقيقها بالطريق الذى يرضى عنه الشرع ، ويرضى عنه الأهل ويرضى هو نفسه عنه .

وقد تقوده هذه الموانع إلى الانحراف ، وما أسهل الانحراف . طالما أن الطريق إليه معبد لا تقف فى سبيله أموال عديدة عليه أن يجمعها ، ولا تقف أمامه شروط وطلبات لا تنتهى .

هذا هو أحد العوامل الأساسية فى هذه المشكلة .

والعامل الثانى ، هو نظرة الشاب إلى الزواج نفسه وإلى الفتاة التى يريد أن يتزوجها ، وتدخل الأهل فى هذا الموضوع بصورة أو بأخرى . ما بين رفض لاختياره إذا اختار . أو الضغط عليه للزواج من فتاة معينة تستوفى الشروط التى يرونها مناسبة لزوجة ابنهم . وقد تختلف وجهات نظرهم عن وجهة نظر الإبن . ويجد الشاب نفسه فى النهاية فريسة لأنواع من الصراع ما بين الرغبة فى إرضاء الأهل ، والرغبة فى اختيار الزوجة التى يراها أنسب له ولظروفه الخاصة وتتوافر فيها الشروط التى يراها مناسبة .

وليت الأمر يقف عند هذه الحدود .. حدود اختيار الزوجة من بين الفتيات اللاتى يعرفهن أو يعرفهن الأهل ومن الأوساط المعروفة لهم ، بل إن كثيراً من الشباب اللذين تبهرهم صورة الحياة الغربية وما فيها من حريات ،

وما فيها من تساهل بالنسبة لكثير من الألتزامات والمتطلبات ، قد يفكر في الزواج من أجنبيات . وهو اتجاه خطير . لأن الأساس الذى يقوم عليه هذا الزواج ضعيف . فالأصل فى الزواج التفاهم ، والآمال المشتركة ، والظروف الاجتماعية المتقاربة ، والعادات المتشابهة ، وهو مالا يمكن أن يتحقق فى هذه الزيجات الغربية . وإن نجح بالنسبة للبعض ، فإن هذا البعض لا يصح أن يكون حكماً نستند إليه .

وهناك ناحية ثالثة ، أو عامل ثالث ، يلعب دوراً خطيراً فى تشكيل أفكار الكثيرين من أبنائنا عند إقبالهم على الزواج .. عامل يتصل بتكوينهم النفسى . ذلك أن طبيعة الحياة النفسية التى نعيشها ، وما بها من زجر ونهى ، وخاصة فيما يتصل بالنواحي الجنسية ، تجعل لهذه النواحي حرمة خاصة . وتجعل الشباب أكثر حساسية لما يتصل بها من أمور .

ليس هذا فقط ، بل إن عدم معرفة الشاب بطبيعة الحياة الجنسية السوية ، وعدم إلمامه بحقائقها ، وخوفه أن يكون مختلفاً عن الآخرين ، قد يؤدى به إلى شعور بالضعف أو بالنقص . يلزمه ويستحوذ على تفكيره . وقد يؤدى به هذا الشعور بالتالى إلى الهرب من فكرة الزواج كلية ، ومن أى تفكير يراوده بهذا الخصوص .

ولعل ما ذكرته يكفى لأن نعتبر الزواج مشكلة تتطلب حلاً ، وتتطلب مساعدة .

والآن من الذى يساعد الشاب على إيجاد الحل المطلوب ؟

تتولى ذلك فى بعض الدول مكاتب خاصة . ولكن حتى يتحقق هذا الحل .

من أقدر الناس على مساعدة الشاب؟ الجواب هو : الأب والأم بطبيعة الحال ،
والكبار الآخرون في الأسرة .

ولكن هل هذه هي الحقيقة . هل يلجأ الشاب حقاً إلى الأب والأم يسألها
حلاً لمشاكله العاطفية . ويطلب مساعدتها في اختيار شريكة حياته ؟

نادرًا ما يحدث هذا بطريقة مباشرة ، وإن حدث فعلى استحياء ، وفي
الأحوال التي تكون فيها الفتاة من نفس محيط الأسرة . ولعل السبب هو نوع
التربية التي ننشئ عليها أبناءنا . وعدم تعود الآباء مناقشة أبنائهم في كل ما
يتصل بالجنس من قريب أو بعيد . وواجبنا أن نزيل هذه العقبة من طريقهم ،
بأن نشجع أبناءنا على مناقشة هذه الأمور معنا بدل البحث عن إجابات لها عند
الغير . خاصة ونحن أدرى الناس بهم وبعاداتهم وإمكانياتهم الخاصة . ونحن
بالتالي أقدر الناس على إعطاء النصيحة المناسبة متى طلبت منا النصيحة .

ولكن إذا أراد الأب ، وأرادت الأم أن يساعدوا الشاب الذي يسألها
النصيحة ، وإذا طمعا في أن يستمع إليهما ، فلا يجب أن تكون النصيحة في
صورة نعم أو لا ، حتى ولو كان الشاب يطلب ذلك ، وحتى لو كانت هذه
النصيحة تتفق مع شعورهما ومع الواقع تمام الاتفاق . فمثلاً .. قد يسأل الابن :
هل ينبغي له أن يتزوج هذه الفتاة المعينة ؟

وقد تكون هذه الفتاة هي آخر فتاة ينبغي له أن يتزوجها . ولكن من
الحكمة أن يحتفظ الأب والأم بإيجابتهما القاطعة التي يعتقدان أنها الصحيحة . إذ
أن الإجابة بالرفض قد تشعر الشاب بأنها ينتقدان تفكيره واختياره ، وأنها
لا يهتمان بإدراك مشكلاته . بل يستطيع الأب والأم أن يحتفظا بثقة الشاب فيهما
وأن يساعدها على أن يفكر وأن يصل إلى الجواب بنفسه ، إذا عاوناه على أن
يفكر في الأسباب التي تؤيد أو تعارض زواجه منها . خاصة إذا كانت نصيحتهما

مبنية على أساس من الحقائق . وليس على أساس عواطفها وميولها ورغباتها الشخصية .

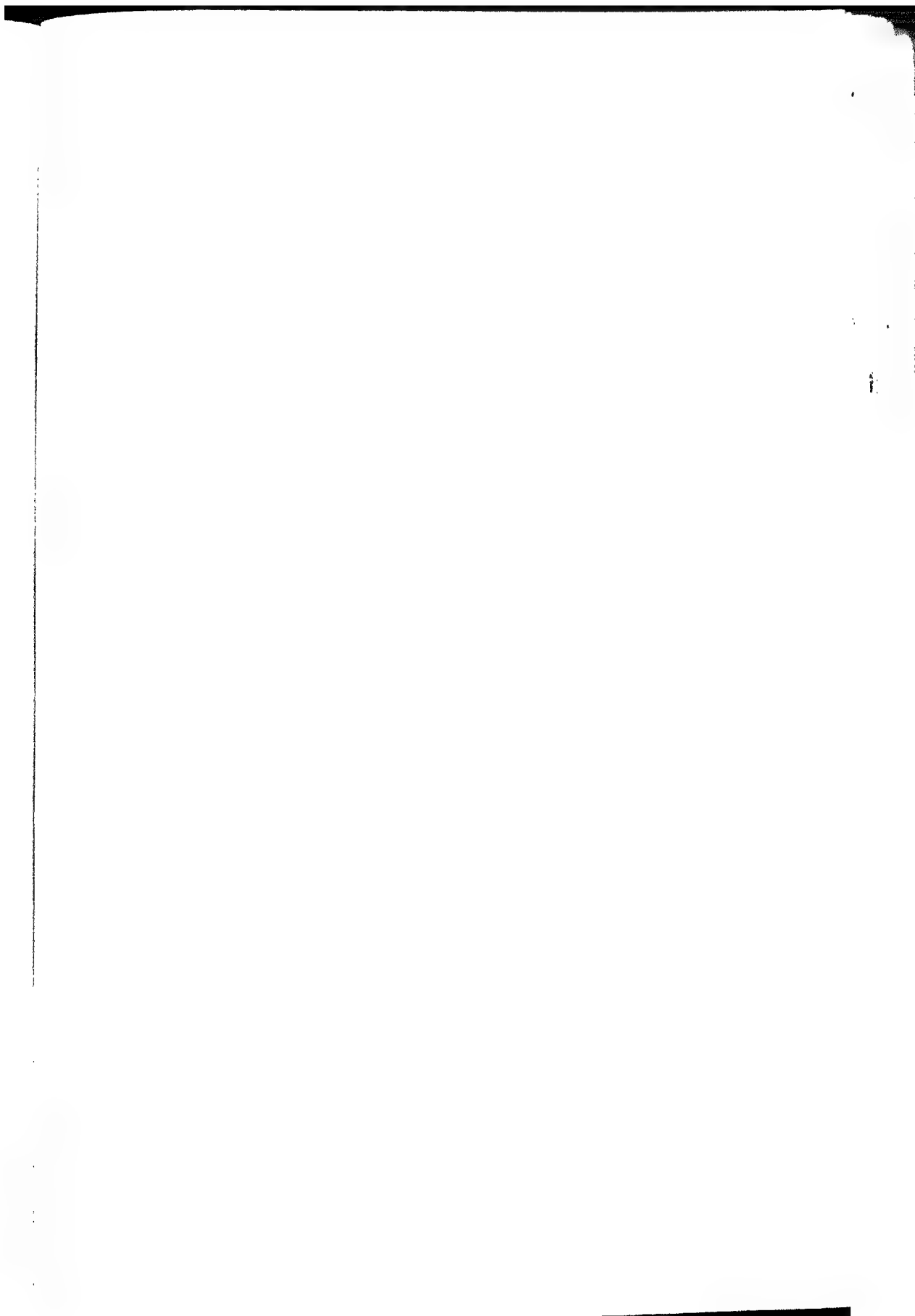
ومن الأفضل أن تذكر على الدوام ، أن الشباب يبني أفكاره عن الزواج على أساس ملاحظاتهم لما عليه الزواج في عائلاتهم . فالشباب الذي ينشأ في أسرة سعيدة ، يسودها التوافق والتعاون ، تكون فرصته في الزواج الناجح كبيرة . ولذلك يحسن بالآباء والأمهات الذين يشعرون بأن زواجهم غير ناجح ، أن يبحثوا وراء السبب في فشل زواجهم واضطراب حياتهم الزوجية ، وأن يعالجوا أسباب هذا الفشل وهذا الاضطراب ، حتى يقيموا مثلاً يقتدى به أبنائهم .

ويحسن بالآباء والأمهات عموماً . أن يشركوا أبنائهم متى كبروا ، في بحث وتفهم مشكلاتهم وفي كل ما يتصل بشئون حياتهم حتى يكونوا أقدر في المستقبل على مواجهة مثل هذه المشكلات ، وحتى يكونوا أقدر على تحمل مسؤولياتهم الخاصة متى جاء الوقت الذي يصبح لزاماً عليهم فيه أن يتحملوا هذه المسؤوليات .

والكلام السابق ، وإن انصب أغلبه على الذكور من الشباب ، إلا أنه من الواضح أنه ينطبق على الفتى في هذا المقام ما ينطبق على الفتاة ، التي يجب أن نقدر عواطفها ونسألها رأيها في شريك حياتها ، وأن نعالج معها مشاكلها الخاصة فقد ترغب الفتاة في تأجيل الزواج لإتمام تعليمها أو لغير ذلك من الأسباب . وهنا يجب ألا نفرض عليها رأياً . وأن نعاونها في دراسة الموضوع بكامله واختيار الأصلح لها . ولن تتمكن الأم أو يتمكن الأب من القيام بهذا الواجب إلا إذا كانت العلاقة بينهما وبين ابنتها تسمح بذلك ، وإلا إذا كان نوع التربية التي ربيتها عليها ييسر لها مثل هذا النوع من المناقشات .

الفصل السادس

مشكلة اختيار المهنة



تقديم :

يواجه المراهقون مشكلة إختيار المهنة أو العمل الذى سيمارسون حياتهم من خلاله ، ويبدأون فى إعداد أنفسهم لهذا الميدان .

وإذا كانت هذه المشكلة تأخذ فى مراحل العمر السابقة صورة الأحلام الجميلة ، التى ترتبط بالخيال أكثر من ارتباطها بالواقع . عندما يتخيل طفل السادسة أو السابعة نفسه ضابطاً أو طبيباً أو مدرساً أو نحو ذلك .. فإن هذا الخيال ينزل بعد الخامسة عشرة والسادسة عشرة إلى أرض الواقع ، عندما يواجه الشاب مشكلة مستقبل حياته .. ماذا يريد أن يكون ؟ وما هى المهنة التى يرتاح إليها أكثر من غيرها .. وتحقق له كل أمانيه ؟ وكيف يصل إلى تحقيق هذه الأمانى ؟ . وهل تسمح ظروفه العائلية والاقتصادية وإمكانياته الخاصة بإعداده للمهنة التى يقع عليها إختياره ..؟

هذه هى أنواع الأسئلة التى يسألها المراهقون لأنفسهم عادة - فيما يتصل بهذا الموضوع - ويقلقون بشأن الإجابة عليها . لأن الإجابة يتوقف عليها مصيرهم ومستقبل حياتهم .

فإذا أضفنا إلى ذلك ، أنهم لا يعرفون عادة شيئاً عن عالم المهنة والعمل ، لا يعرفون مثلاً أنواع المهن المتوفرة ، ومميزات كل منها وما تتطلبه من مؤهلات ، والتدريب اللازم لها ، وكيف يشق الشاب طريقه إليها ، ومدى ملاءمتها له وغير ذلك من النواحي التى لا بد من التعرف عليها حتى يستطيع أن يشق طريقه إلى العمل بنجاح .

والمراهق الذى أنهى دراسته الإعدادية يخرج فى العادة بفكرة ضئيلة للغاية

فيما يتصل بهذا الميدان . وحتى بعد انتهاء دراسته الثانوية ، يكون كل ما يعرفه عن عالم المهن هي المهن التي ترتبط بكليات جامعية معينة أو معاهد بذاتها يعرفها . فهذه الكلية تخرج المعلمين ، وهذه تخرج المهندسين .. ونحو ذلك . فإذا لم يوفق للالتحاق بإحدى هذه الكليات أو المعاهد .. ضل طريقه في هذا العالم المجهول .

و قليل من المراهقين من يعرف هذا الطريق ، ويعرف بالضبط ماذا يريد وإنما الذي يحدث في أغلبية الأحوال هو أن تظل أفكار الشباب حول هذا الموضوع غير محددة وغير واضحة . حتى يجدوا أنفسهم فجأة أمام الموقف الصعب ، عندما يجابهون بضرورة الالتحاق بعمل ، أو بمعهد دراسي يؤدي إلى عمل معين لم يعدوا أنفسهم له الإعداد المناسب . قد يضطرب بعضهم إلى درجة تحتاج إلى المعونة وإلى تدخل الآخرين .. آباء أو مدرسين أو إخصائيين وبعضهم يرضى بما قسم له مضطراً لأنه لا حيلة له في الأمر ، ويأخذ المسألة على أنها حظ ونصيب ، ويؤدي عمله بأي شكل كان .

ولذلك يجب ألا نستغرب إذا وجدنا الشباب يعطون هذا الموضوع أهمية خاصة ، وأن مخاوفهم الرئيسية تتركز حوله .

ونتيجة لهذه المخاوف تميل أغليبتهم إلى تأجيل البت في الموضوع من يوم إلى آخر ، حتى يواجهوا آخر الأمر ، لضرورة اقتصادية أو لأسباب عائلية ، أو بسبب انتهاء الدراسة .. بضرورة الالتحاق بعمل ما .

والنتيجة ان يقبل المراهق على المهنة التي يعتقد أنها أنسب له ، أو التي تتاح له في هذا الوقت فرصة الالتحاق بها . ثم يتركها بعد مدة ليختار غيرها حتى يستقر في النهاية في أي مهنة . أو قد يلتحق بمهنة مؤقتة على أمل أن يغيرها في المستقبل إلى مهنة أفضل .. وهكذا .

وفي الحقيقة إن إختيار المراهق لمهنة معينة شىء صعب ، لأنه لا يفكر في هذا الأمر عادة تفكيراً واقعياً موضوعياً ، أو يضع له خطة سابقة بل تبدو ميولهم غير محددة للدرجة التى توجههم نحو طريق واضح . فضلاً عن المساعدة الضئيلة التى يتلقونها من الأسرة أو المدرسة أو غيرها من المؤسسات بهذا الخصوص . ومن ثم يحاول الشاب تأخير هذا الاختيار أطول فترة ممكنة .

وبالرغم من الميل الواضح عند كثير من الاطفال نحو التفكير في عالم المهن ، ومحاولة تقليد آبائهم أو مدرسيهم وهم يعملون نجدهم أميل إلى الهروب وعدم مواجهة الموقف أو تهيئة أنفسهم له ، عندما يصلوا إلى مرحلة التفكير الجدى في المستقبل .

حقيقة أخرى تتصل بهذا الموضوع ، هى إن تفكير المراهق لا يبقى عادة ثابتاً فيما يتصل بمهنة المستقبل . فبينما نراهم اليوم يرجحون مهنة معينة، ويحاولون البحث عن المبررات التى تجعل صورتها فى أعينهم وفى أعين الآخرين براءة للغاية ، نجدهم قد زهدوها فى الغد وبحوثوا عن غيرها . والحقيقة أنه ليس هناك أساس ثابت يبنون عليه لإختيارهم . ومن ثم تتغير نظرتهم حسب الظروف قد يسمعون اليوم أن فلاناً يكسب كذا وكذا من مهنته ، فيرون فيها مهنة مناسبة ثم يرون فى الغد شخصاً آخر يعمل فى مهنة أخرى أكثر احتراماً فى نظر الناس فيقبلون عليها .. وهكذا والنتيجة تغير إختيارهم بتغير رغباتهم وأفكارهم كلما مرت بهم الأيام .

وكلنا يعرف من واقع حياتنا وحياة المحيطين بنا ، إنه نادراً ما يشق الواحد طريقه بنجاح نحو مهنة محددة . بل يمر فى الغالب بعدد من المهن يختارها بينه وبين نفسه ، أو يقبل على دراسة تمهد لها ثم يتركها لغيرها وهكذا حتى يستقر فى نهاية الأمر فى مهنة معينة .

ولا يقتصر هذا الكلام على المرحلة قبل لإختيار المهنة ، بل حتى بعد أن يستقر الشاب في مهنة بالفعل ، قد يتركها لمهنة أخرى إذا وجد أنها لا تتفق مع ميوله ورغباته أو تحقق له نوع من الحياة التي يريد بها .

بل إن من الشباب من يفضل تجريب عدد من المهن قبل لإختيار أحداها . فمعلوماته الضئيلة عن المهن المختلفة ، وخوفه من ارتباطه بمهنة معينة طول العمر ، تجعله في بعض الاحيان أميل لأن يجرب هذه المهنة أو تلك ليكتشف نفسه من خلال هذا التجريب ، وليحدد ميله ورغباته على الطبيعة . قد لا يذكر أنه يفعل ذلك لهذا الغرض أو لغيره . ولكن سلوكه وتصرفاته هي التي تفصح عنه وتدل عليه . عندما نجده يقبل مثلاً على مهنة ما من غير حماس ومن غير تدقيق ، ثم يتركها لغير سبب واضح ، ويكرر العملية عدة مرات . لا يمكن أن نفسر سلوكه إلا بهذه الكيفية ، وهو أنه يجرب على الطبيعة ، ويمارس عدداً من المهن على أمل أن يستقر في نهاية الأمر في مهنة يرتاح إليها .

قد يكون السبب في هذا التغيير المستمر هو طبيعة بعض الأعمال والوظائف وخاصة ما كان منها جديداً غير مألوف أو تنوعها وكثرتها ، أو رغبة الشباب . نفسه في التغيير والتجريب .. أو غير ذلك من الاسباب ، ولكنها على أية حال ليست مسئوليته وحده أن يقع في هذه الحيرة وهذا الاضطراب ، وليست مسئوليته وحده أن يضيع سنوات من عمره في مهنة ما ثم يتركها لغيرها ... وهكذا ، وفي هذا ما فيه من إسراف في جهد الشباب وفي عائد إنتاجهم ، الذي هو إسراف أيضاً في حق المجتمع . وإنما هي مسئولية كل الهيئات المتصلة بإعداد الشباب ، البيت والمدرسة وأجهزة الدولة الخاصة برعاية الشباب .

العوامل المؤثرة فى اختيار المهنة :

هذه هى صورة مشكلة إختيار المهنة كما نلمسها . ويتضح منها أن هناك عوامل عديدة تلعب دوراً فيها ، منها ما يرجع إلى ذات المراهق أو الشاب وطبيعته الخاصة كدوافعه واستعداداته وإمكانياته الخاصة ونوع ميوله . ومنها ما يرجع إلى تأثير البيت ومجموعة الظروف الاجتماعية والاقتصادية التى يعيشها كتأثير الوالدين ورغباتها الشخصية والمستوى الاقتصادى للأسرة ونوع التعليم الذى تلقاه إلى غير ذلك من العوامل .

ويمكن على وجه العموم تقسيم هذه العوامل إلى مجموعتين أساسيتين هما :

١ - العوامل الذاتية .

٢ - العوامل البيئية .

وسنتناول فيما يلى هاتين المجموعتين من العوامل ، ثم نعالج فيما بعدموضوع توجيه الشباب على ضوءها توجيهاً مهنيّاً سليماً .

أولاً : العوامل الذاتية :

بعض العوامل التى تؤثر فى إختيار الفرد لمهنته ترجع إلى ذاته نفسها ، كدوافع الفرد وتطلعاته ، وإمكانياته من حيث توافر الاستعدادات المناسبة والمهارات الخاصة بمهنة معينة وعدم توافر استعدادات ومهارات أخرى تناسب مهناً مغايرة ، وميوله ... ونحو ذلك .

١ - دوافع الفرد :

من أبرز الدوافع الخاصة بالعمل فى مهنة معينة ، الرغبة فى الحصول على أكبر قدر من المنفعة المادية لقاء العمل . حتى أن البعض يخطط لتعليمه ول مستقبله

منذ فجر شبابه على هذا الأساس . ويظل يحلم بما سيفعله بالمال الذى يجنيه ،
من تأثيث بيت مناسب أو شراء عربة أو نحو ذلك من متع الحياة .

وفى بعض الأحوال يكون المظهر الاجتماعى هو الدافع فى توجيه المراهقين
نحو مهنة معينة عندما يفضلون مثلاً مهنة ضابط فى الجيش أو البوليس لمظهرها
المتميز ولنوع اللباس الذى يرتديه أصحاب هذه المهن .

وهذه الأنواع من الدوافع واضحة المصدر . ومن ثم يمكن للشباب أن
يتبين مدى تأثيرها . ويمكنه فى الوقت المناسب أن يقلل من هذا التأثير نتيجة
الظروف أو الواقع الذى يصطدم به . أما الدوافع التى تلعب دورها فى نفس
الشباب ولا يمكنه مواجهتها صراحة . فهى الدوافع اللاشعورية ، والتى تتكون
فى الغالب نتيجة ظروف مبكرة أو حوادث مر بها وتركت أثرها فى نفسه من
غير أن يدرك . وتظل بالرغم من ذلك تؤثر فى سلوكه وتصرفاته ، ومن
ضمن النواحي التى تؤثر فيها إختياره لمهنته .

الطفل مثلاً الذى يلاقى معاملة قاسية من مدرسه ، ولا يستطيع أن ينتقم
من هذا المدرس .. قد تنتقل هذه الرغبة إلى اللاشعور وتظل حية تعمل عملها
حتى إذا حانت الفرصة ظهرت من جديد .. تظهر مثلاً فى صورة الرغبة فى
العمل فى وظيفة مدرس لتنتقم لنفسها من التلاميذ الصغار .. أو نحو ذلك .

أو قد يكون الدافع هو الرغبة فى إثبات الذات . فالشخص الذى يعانى
نقصاً من هذه الناحية ، قد يفضل المهن التى يظهر فيها معنى التفوق على
الآخرين . كالطب مثلاً أو التعليم .. أو المهن الاجتماعية ذات الطبيعة الإنسانية
كالإخصائى الاجتماعى مثلاً ، لأنه يجد فى مساعدته للآخرين ، وفى حاجة
الآخرين له واعتمادهم عليه ما يؤكد ذاته ويرضى هذه الناحية من نفسه .

ويجب أن يكون واضحاً أن الإنسان يخضع في أى موقف من مواقف حياته (وبالطبع في مواقف اختيار المهنة) لتأثير مجموعة من الدوافع لا لتأثير دافع واحد محدد . وهى حقيقة يجب أن نضعها في اعتبارنا ونحن نناقش تأثير دوافع الفرد على اختيار مهنته .

وبصفة عامة يبدو تأثير هذه الدوافع بوضوح كلما اقترب الشباب من الوقت الذى يصبح عليهم فيه أن يختاروا مهنة ما . ويصبح عليهم بالتالى أن يتصرفوا إن شعورياً أو لا شعورياً لكي يرضوا دوافعهم هذه . وواضح أن عدم التوفيق بين مجموعة الدوافع التى توجههم وبين المهنة التى ترضيهم يؤدى بهم إلى أقصى أنواع الصراع النفسى ، لأهمية هذه الناحية في حياة الإنسان ، ويؤدى بهم بالتالى إلى مشكلات أعقد وأعقد في السلوك .

٢ - الاستعدادات والصفات الشخصية والمهارات الخاصة :

قد تكون مشكلة الشاب المقبل على اختيار مهنته ، هى أنه لا تتوافر فيه الصفات أو الخصائص التى لا بد منها لنجاحه في المهنة التى يقبل عليها . وهذه الخصائص قد تكون بدنية ، كالشباب الذى يريد أن يمارس إحدى المهن الرياضية مع نقص واضح في استعداداته الجسمى ولياقته لهذا النوع من الأعمال . أو الفتاة التى تريد أن تعمل في التدريس في الوقت الذى تنقصها فيه القدرة على النطق السليم أو التعبير الصحيح .

أو قد يكون السبب هو نقص الاستعدادات العقلية . وهذا السبب أكثر وضوحاً في الحياة المدرسية لكثير من التلاميذ ، الشباب مثلاً الذى يرغب في مهنة الهندسة أو الطب أو التدريس ، ولا يعرف أن النجاح في أى من هذه المهن يتطلب تفوقاً في الاستعدادات العقلية التى لها علاقة بهذه المهن . مثل القدرة الرياضية والقدرة المكانية اللازمين للنجاح في دراسة الهندسة .. إلى غير ذلك .

وهذه حقيقة معروفة كثيراً ما ينساها الشباب ، وينساها الآباء والمعلمون في غمرة انشغالهم بإعداد أنفسهم أو أبنائهم أو تلاميذهم للمهن التي تلقى رواجاً وإقبالاً خاصاً .

وأيضاً للمهارات الخاصة أهميتها . فمن المهن ما يحتاج إلى مهارة من نوع معين . فالعزف على البيانو مثلاً يتطلب نوعاً من المرونة في استخدام الأصابع والتحكم فيها .. وكذلك العمل على الآلات الدقيقة وأشغال الإبرة وأعمال الرسم والنحت .. وغيرها ، فكل هذه المهن تتطلب مهارات من نوع معين تتوافر في بعض الناس ولا تتوافر في غيرهم . ومن المهم التأكد من توافرها في الشخص لضمان نجاحه في العمل الذي يؤديه .

والسمات أو الصفات الشخصية لها أثرها أيضاً . فمن المهن ما يحتاج إلى سمات شخصية معينة . فالشخص المنطوى على نفسه مثلاً ، قد لا ينجح في مهنة تحتاج إلى التعامل مع الناس والاحتكاك بهم . والشخص الذي تنقصه الجرأة والمبادأة وسرعة اتخاذ القرارات لا ينفع في الوظائف القيادية أو المهن التي تتطلب هذه الصفات كالطيران ..

كل هذه الخصائص والاستعدادات والمهارات والسمات ضرورية وهامة ولا بد أن تكون صورتها واضحة تماماً أمام الفرد ليحدد على ضوءها المهنة المناسبة التي تتفق مع إمكانياته واستعداداته الخاصة وصفاته بصفة عامة . وحتى يتجنب الخطر الذي يكمن في عدم معرفته بنواحي النقص في شخصيته . فمن الخطأ أن نفترض أنه طالما توافرت الرغبة في شيء ، فإنه تتوافر معها القدرة على إتيانه والنجاح فيه .

وهذه هى إحدى المهام الرئيسية للتوجيه المهنى السليم ، والى يبدأ بها عادة عندما يحدد — وقبل أن يضع أمام الشاب أنواع المهن المناسبة وفرص العمل المتاحة — إمكانيات الشاب نفسه واستعداداته وصفاته ونواحي قوته أو ضعفه حتى يؤدى التوجيه مهمته بنجاح .

وبالنسبة للشباب ذوى المواهب المتعددة ، فإن لهم مشاكلهم الخاصة وخاوفهم أيضاً . لأن من طبيعة تعدد المواهب صعوبة الاختيار . عندما يجد الشاب نفسه قادراً على أن يمتهن عدداً من المهن وأن ينجح فيها جميعاً على حد سواء . تواجهه مشاكل مثل .. أى المهن يختار ؟ وأياً يجد فيها ذاته ؟ وتحقق له رغباته وطموحه أكثر من غيرها ؟ . هذه هى أنواع المشاكل التى تواجه مثل هذا الشاب ، والى يجد لزاماً عليه أن يجد لها حلاً ، حتى يستقر فى مهنة معينة .

ويزيد من دقة مشكله ، الحساسية الزائدة التى يواجه بها الموهوب موضوع الاختيار . فهو لا يريد أى مستقبل ، وإنما يريد مستقبلاً من نوع معين ، يتفق مع إمكانياته واستعداداته العالية . وهو ينظر إلى المهن المختلفة بغير العين التى ينظر إليها بها الشخص العادى ، ومن هنا تأتى متاعبه . لكنه فى العادة يكون أقدر على التحكم فى الموقف ، وأقدر على التوافق من الشخص الذى تنقصه القدرة والاستعداد .

وعلى أية حال فإنه أيضاً فى حاجة إلى نوع من التوجيه المهنى ، حتى يوفق إلى المهنة التى تحقق له أقصى ما يستطيع أن تمكنه له قدراته ومواهبه الخاصة .

٣ — الميول المهنية :

ميول الفرد أيضاً لها أهميتها فى اختيار المهنة . بل فى بعض الأحوال تكاد

تكون هي العامل الوحيد في تحديد هذا الاختيار عندما يتجه الشاب نحو عمل ما حسب رغبته وميله الشخصي مهماً كل العوامل الأخرى ذات الصلة بموضوع الاختيار ، ما اتصل منها بذاته هو ، من حيث توافر الإمكانيات الخاصة عنده ، أو ما اتصل بظروفه المادية والاجتماعية وواقعه ، أو ظروف العمل نفسه .

وفي الواقع أن توافر عامل الميل يلعب دوراً أساسياً في حياة الإنسان أثناء تأديته مهنته ، أو أثناء الدراسة الممهدة لهذه المهنة . ويؤثر في إنتاجه وفي راحته النفسية وسعادته بصفة عامة .

ونحن نعرف هذه الحقيقة ، عندما نقبل على دراسة موضوع نميل إليه ، فلا نشعر بالوقت الذي نمضيه ونحن نستذكره . بل وأحياناً نعتبر هذا الوقت نوعاً من الترفيه وقضاء وقت ممتع . وبالعكس إذا كنا ندرس موضوعاً لا نميل إليه ، ونحس بوطأة دراسته وبالساعات ، وحتى بالدقائق ، التي تمر علينا ونحن نجبر أنفسنا على استذكاره . ولولا وجود دافع قوى يرغمنا على دراسته — كالرغبة في النجاح مثلاً — لما قربنا منه أصلاً .

هذه الحقيقة تنطبق تماماً على العمل في مهنة ما . فمن المهن ما نقبل عليه لميل شخصي ، ومنها ما لا نميل إليه على وجه الإطلاق . فإذا كانت المهنة التي نعمل فيها من النوع الأول ، فإننا سنقبل عليها من ذات أنفسنا وسنسعد بالعمل فيها ، وسيزيد بالتالي إنتاجنا وفرصة نجاحنا فيها . وكلها عوامل تؤثر تأثيراً طيباً في عملنا وحياتنا .

ليس هذا فقط ، بل لقد أثبتت دراسات عديدة وجود علاقة بين الميل والقدرة ، وأن الميل المهني هو انعكاس للقدرة أو للاستعداد الطبيعي عند الفرد

بالنسبة لمهنة معينة . بمعنى أن توافر الميل للمهنة ما عند شخص يمكن أن يتخذ دليلاً على وجود الاستعداد الخاص بهذه المهنة عنده . ولذلك أهميته أيضاً . فقد سبق أن اتضح لنا أهمية الاستعدادات الخاصة بالمهنة بالنسبة لنجاح الفرد فيها . وارتباط القدرة أو الاستعداد بالميل بهذه الصورة يزيد من فاعلية كل منهما ومن تأثيرهما على نجاح الفرد في مهنته .

وكثيراً ما تتجه ميول الشباب إلى مهن غير ممكنة ، نظراً لحداثة سنهم وخبراتهم . ويرون البعد شاسعاً بين ما يريدونه وبين الفرص المتاحة أمامهم . وتنتابهم المخاوف ويصبحون أكثر قلقاً كلما حان الوقت الذى يصبح عليهم فيه أن يختاروا عملاً محدداً ، أو نوعاً من الدراسة يؤدى إلى عمل معين . لا يحقق أحلامهم بالصورة التى يريدونها ولا يتصورون أنفسهم يعملون فى غيرها .

ويزيد من حدة هذه المشكلة أحلام اليقظة التى تنتاب أغلب المراهقين وخاصة فى بداية مراهقتهم ، عندما يقضون أغلب أوقاتهم فى حالة من أحلام اليقظة ذات الطبيعة السارة ، التى يدور أغلبها حول مهنة المستقبل . فيتخيلون أنفسهم وقد أصبحوا من كبار الكتاب أو المفكرين أو الشاغلين لمناصب هامة فى عالم السياسة أو الإدارة أو غير ذلك . هذه الأحلام الطموحة والحياة الانفعالية الخيالية التى يعيشونها من خلالها ، تجعل من الصعب على الكثيرين إدراك الفرق بين ما يحلمون به وبين إمكانياتهم الخاصة وما يستطيعون الحصول عليه .

قد يعجب المراهق مثلاً بأحد المطربين ، ويبدأ يحلم بأن يكون مثله ، ويمضى الساعات تلو الساعات كل يوم وهو يعيش هذه الصورة الجميلة ، متخيلاً نفسه وقد أصبح مطرباً مشهوراً يتلقى إعجاب الناس به . فإذا بدأ يفكر

فى النزول بهذه الصورة من عالم الخيال إلى عالم الحقيقة . أو بمعنى آخر إذا بدأ يفكر فى كيفية الوصول إلى ما يحلم به ، يفكر فى ظروفه الخاصة ونوع الإعداد المناسب ، وكيف يشق طريقه إلى غايته .. فقد السيطرة على الموقف ، وبدأ يعانى مرارة الخوف على فقد حلمه الجميل . ويزداد خوفه كلما وجد نفسه عاجزاً أمام الحقائق الصعبة التى تحول بينها .

ويصعب فى الواقع منع المراهق من أحلام اليقظة . فهى إحدى المعالم الرئيسية لحياة المراهقين والشباب ، تسود نشاطهم العقلى بدرجة أو بأخرى كما أنها ليست جميعها ضارة ومعوقة .

بل كثيراً ما تكون هى الحافز لأن يعمل الشاب وأن يتقدم . وقد تعرضنا لهذه الحقيقة عند الكلام عن النمو العقلى فى مرحلة المراهقة . فطالب الحقوق مثلاً الذى يحلم بأن يصبح محامياً عظيماً ، يدافع عن الحق وينظر إليه القضية وجمهور المحاكم بالإعجاب ، وتحته أحلامه هذه على أن يجتهد فى دراسته لكي ينجح ويتفوق ، لا تضره أحلامه . وإنما قد تكون أحد الأسباب الرئيسية لتقدمه وتفوقه .

ولأنما يأتى الخطر لو اكتفى هذا الطالب بأحلامه وعاش فى عالمها وحده ، من غير أن يهيء نفسه لتحقيقها فى عالم الواقع بالاستذكار والعمل .

ثانياً - العوامل البيئية :

يقصد بالعوامل البيئية مجموعة العوامل التى ترجع إلى الظروف الخارجية المحيطة بالفرد وواقعه الذى يعيش فيه ، كتأثير الوالدين والظروف الاقتصادية وتأثير التعليم وغير ذلك من العوامل ، التى تلعب بدورها دوراً أساسياً فى اختيار الشاب لمهنته .

ولما كانت الظروف التي تتعرض لها الفتاة في بلادنا تختلف من نواحي عديدة عن الظروف التي يتعرض لها الفتى ، فلا بد من أن نتعرض أيضاً للعوامل الخاصة بإختيار الفتاة لمهنتها .

٤ - تأثير الأبوين :

العامل الأساسي في تشكيل حياة المراهقين بصفة عامة وفي توجيه إختياراتهم هو التأثير الخاص بالأبوين . ويظهر هذا التأثير بشكل واضح في توجيه أبنائهم نحو مهنة المستقبل ، أو في توجيههم نحو نوع التعليم الذي يؤدي إلى مهنة معينة .

قد يكون تدخلها ذا فائدة ، عندما يوجهها ابنها (أو ابنتها) الوجهة الصحيحة التي تتفق مع استعداداته وإمكانياته وترضى ميوله . وقد يكون ضاراً إذا وقفاً ضد رغبة الابن أو الابنة في إختيار المهنة التي يميل إليها ، أو إذا امتنعا عن مساعدته على إكمال الدراسة أو التدريب الذي يعد لمهنة يرغب فيها ... أو نحو ذلك .

ويفيد في توضيح الاتجاه الأخير أن نذكر بعض الأمثلة لأنواع من التصرفات قد يتخذها الأبوان ، والتي قد تكون السبب في متاعب الأبناء فيما يتصل بإختيارهم للمهنة :

الأب الذي فشل في إختيار مهنة مناسبة ، أو الأم التي لم تكمل تعليمها ، والتي كانت ترغب في أن تتعلم وأن تعمل ، قد يرغبان في أن يحققا في ابنهما أو ابنتهما ما فشلا في تحقيقه في حياتهما الخاصة ، ومن ثم يجبرانهما على العمل في المهنة المحددة ، ويوجهان بالتالي مستقبلهما حسب هواهما ودوافعهما الخاصة .

وأيضاً الأبوان الناجحان في حياتهما وعملهما ، ويرغبان في أن يسلك ابنهما

أو ابنتها نفس الطريق . الأب التاجر مثلاً الذى يرى أن دخله من مهنته لا يمكن أن يتحصل عليه ابنه من أى مهنة أخرى . ويرى المكان الطبيعى لابنه . هو أن يقف بجواره يساعده ويرث مهنته وتجارته من بعده . قد لا يستطيع أن يتصور ابنه فى غير هذا المكان ، ويجد من غير المعقول أن يترك ابنه هذا العمل وهذا المستقبل المضمون ليغامر فى مهنة أخرى مجهولة قليلة الدخل .

والأم أيضاً التى حققت فى حياتها الزوجية كل مطمح لها فى الحياة . فدخل زوجها يكفى حاجات البيت . وقد رتبت حياتها فى حدود وظيفتها كأم لأولادها ومديرة لشئون بيتها ، واستراحت لهذا النوع من الحياة . قد لا ترى لابنتها بالمثل حياة أخرى خارج حدود مثل هذا البيت ، ولا تتصور أن تفكر ابنتها فى العمل كما يعمل الرجال ، وتعانى متاعبهم التى لم تخلق لها . وترى أنه من الخير لابنتها أن تفكر نفس تفكيرها وتقتصر الطريق إلى بيت الزوجية الآمن المريح .

وليس هكذا يفكر الابن والإبنة ، بل لهما فى الغالب متطلباتهما الخاصة التى لا يفهمها أو يقدرها الأبوان . ومن هنا تأتى المشاكل وينشأ الصراع ، فالابن (أو الإبنة) من جهة يقدر رغبات الأبوين وآمالهما . ويعرف أسباب هذه الرغبات والآمال . ومن جهة أخرى لا يرغب فى التضحية بآماله ورغباته الخاصة . والنتيجة لا يمكن تحديدها فى مثل هذا الموقف فهى تختلف حسب قوة رغبات الابن وقدرته على إملاء رغباته ، أو على مقدار سيطرة الأب والأم وتدخلهما فى شئون أبنائهما . قد يتيسر للابن فى آخر الأمر أن يصل إلى غرضه . أو قد ينتهى الموقف بانتصار الأبوين . ولكن مهما كانت النتيجة ، فإنها ستأتى بعد كثير من المتاعب والآلام . فلن يسر الابن — بطبيعة الحال —

أن يقتل ميوله الخاصة ورغباته ، كما لا يرضيه أيضاً أن يطرح بعيداً رغبات الأبوين ويهمل آمالهما الخاصة به .

وهناك أيضاً موقف الأب الناجح في عمله ، والذي وصل إلى مستوى طيب ومرموق . ويجد ابنه غير قادر على الوصول إلى المستوى الذي يطمح إليه لنقص في إمكانياته الطبيعية ، أو لعدم وجود الحافز الكافي ، أو لغير ذلك من الأسباب . في هذه الحالة لا يتصورى الأب أن يكون ابنه أقل مستوى منه أو من نظرائه من شباب العائلة وزملاء الدراسة .

الأب الطبيب مثلاً أو المهندس ، لا يتصور ابنه في غير عمل مماثل ، أو من نفس المستوى . لا يتصور إمكانية أن يعمل ابنه كعامل بسيط أو أن يشغل مهنة بسيطة . ولا يسمح له في أغلب الأحوال بأن يشق طريقه في هذا الاتجاه . ويظل يضغط عليه ويرغمه لتحويله عنه ، بتغيير المدرسة التي يتعلم فيها ، وبإعادة السنة التي يرسب فيها ... وهكذا . حتى إذا فشل الابن في النهاية وقف الأب حائراً لا يعرف كيف يتصرف . وتكون النتيجة هي كراهيته له وإسقاطه من اعتباره .

هذا هو موقف الأب . أما بالنسبة للابن فيختلف الحال . إذ أن الموقف يمسّه في الصميم . ويرتفع الصراع داخل نفسه إلى أقصى درجة ، عندما يجد نفسه من جهة مدفوعاً لأن يسلك طريقاً معيناً يرغب الأب والأهل أن يسير فيه ، ويجد نفسه من جهة أخرى عاجزاً عن تكملة السير في هذا الطريق بالذات ، وأنه تسبب بعجزه هذا في إصابة الأبوين والأهل بالمهانة وخيبة الآمال ، بعد أن قضوا أعواماً طويلة يحلمون بمستقبله ويوفرون له كل الإمكانيات اللازمة لضمان هذا المستقبل . وهو أمر لا يستطيع الشاب عادة

أن يتحمله ، أو يكيف نفسه وفقاً له ، لأنه يمس في هذه الحالة القيم المركزية في شخصيته .

فوجود موانع أو ظروف خارجية تحول بينه وبين تحقيق آماله أشياء يستطيع أن يواجهها بصورة أو بأخرى ، وإن تسببت له في الشعور بالضيق والفشل ، فلن يكون هذا الشعور بنفس الدرجة التي تسببها له موانع تأتي منه هو نفسه وتتصل بصميم كيانه .

هـ - الظروف الاقتصادية :

كثيراً ما يترك المراهق دراسته في وقت مبكر - بسبب ظروف أسرته المالية - ليلتحق بعمل يعيش منه أو يساعد أسرته عن طريقه . وغالبية الذين يضطرون إلى العمل بهذا الشكل لا يكونون قد بلغوا بعد درجة كافية مسن الاستعداد المهني أو النضج الكافي أو الخبرة التي تتيح لهم فرصة اختيار العمل المناسب . فضلاً عن أن ظروفهم الاقتصادية تجعل همهم الأول هو الحصول على عمل يدر عليهم ما يسد حاجتهم ، أما نوع العمل فيظل خارجاً عن الموضوع طالما ظلت هذه الحاجة قائمة ، وطالما ظلت سن الشاب وخبرته والظروف التي يعمل فيها بمنأى عن التطلع إلى وضع أفضل .

ولكن هذا الوضع ليس هو الصورة الدائمة ، فقد يتطلع المراهق بعد أن تستقر أحواله إلى تحسين وضعه . أو قد يرى أنه أساء الاختيار ووجه حياته وجهة خاطئة ، وأن ظروفه قد جنت عليه . والنتيجة في كلتا الحالتين ، هي أن يبحث عن مهنة أخرى ترضى تطلعاته الجديدة وترفع بعض الغبن الذي وقع عليه :

والحصول على هذه المهنة - في مثل ظروفه صعب - لأنه لم يتلق قسطاً

من التعليم يجعل فرصة حصوله على مهنة مناسبة سهلاً ، ولم يتلق أيضاً أى نوع من التدريب يساعده فى الحصول على هذه المهنة . ولذلك لا يجد أمامه عادة إلا مهنة من نفس المستوى الذى يعمل فيه ، فينتقل من إحداها إلى الأخرى حتى يستقر فى نهاية الأمر فى أية مهنة .

أو قد يجد أن الطريق الأنسب هو أن يبدأ تعلمه من جديد . وهناك أمثلة لمثل هذا الطموح . فنسبة كبيرة من الطلبة الذين يؤدون امتحان الشهادة الثانوية كل عام من هذا النوع ، والذين رأوا أن فرصة حصولهم على مهنة ترضى رغباتهم وتستقر فيها حياتهم لن تأتى إلا بالتقدم فى التعليم والوصول إلى أعلى مستوياته ، بل منهم من يتقدم لهذا الامتحان مرة بعد أخرى ليحقق هذه الغاية . أو قد يكتفى مراهق بالالتحاق بمعاهد التدريب والورش الفنية ، أو التدريب على عمل جديد آخر النهار .

ونسبة كبيرة من المراهقين تحسن وضعها عن هذا الطريق أيضاً . وخير مثال لهم أولئك الذين يقبلون على تعلم الآلة الكاتبة وعلى معاهد تعلم اللغات الأجنبية وأعمال السكرتارية وغيرها ، تمهيداً للعمل بالمهن التى تعتمد على هذه الأنواع من الخبرات والمهارات .

٦ - تأثير المجتمع :

للمجتمع من غير شك تأثيره فى نظرة الشاب إلى المهنة ، التى هى فى الواقع انعكاس لنظرة الناس إليها . فالمجتمع إذ يحترم الطبيب ويقدر الحامى ، ويرى أن مهنة الهندسة مهنة ممتازة يضع معايير أمام الشاب يقيس عليها المهنة التى يختارها . هذه المعايير تتضح بأجلى صورة لها فى الدرجات التى تحددها مكاتب التنسيق للقبول بالكليات الجامعية ، والتى يتبين منها أن الطلبة لا

يقبلون على هذه الكليات لميل طبيعي أو لأن استعداداتهم الشخصية تتفق مع تخصصاتها أو لغير ذلك من النواحي الموضوعية ، وإنما لأن هذه الكليات تلقى قبولا من المجتمع ، ولأن وضع من يتخرج منها أعلى ، في نظر الناس ، من وضع الذين يعملون من غير أن يحصلوا على درجة جامعية .

قد يكون السبب في ارتفاع قيمة مهنة على أخرى في نظر الناس ، هو الدخل الذي تدره على صاحبها ، أو السلطة التي يمارسها من خلالها ، أو التفوق الغير عادى التي تتطلبه في شغلها .. أو غير ذلك من الأسباب . لكن أحد هذه الأسباب منفردا لا يكون له في العادة التأثير الكافي في اختيار المهنة . وإنما يعود التأثير إلى مجموعة منها ، كما تتضح في النظرة الاجتماعية المتكاملة لها . فهنة الميكانيكى مثلا تدر دخلا يفوق بمراحل دخل الموظف الإدارى في أى دائرة حكومية . ولكن مهمة الموظف قد تلقى قبولا أفضل من المجتمع لمجموعة أخرى متشابهة من الأسباب ، مثل مظهره الاجتماعى ودرجة التعليم النسبية التي تلقاها ونوع السلطة التي يمارسها .. أو غير ذلك .

تأثير المجتمع هذا يلعب أحد الأدوار الأساسية في حياة الشاب ، وفي توجيه اختيارهم لمهنة المستقبل . فالمهن التي تلقى قبولا عندهم ، وتمتلك خيالهم ، هى المهن التي تلقى قبولا من المجتمع . وهو السبب في أغلب المخاوف التي تنتابهم والقلق الذي يعترى حياتهم كلما قرب الوقت الذي يتحدد فيه مستقبل كل منهم .

وتتمثل هذه الحقيقة على أشدها في طلبة الثانوية العامة . إذ أن معرفتهم بأن نتيجة الامتحان هى التي ستقرر مستقبل كل منهم . وأنه على أساس هذه النتيجة سيتحدد ما إذا كان الطالب سيقبل في التعليم الجامعى أصلا أم لا ،

وبالتالى المهنة التى تنتظره . معرفتهم بهذه الحقيقة ، وارتباطها بنظرة الشاب إلى التعليم الجامعى وخاصة فى مجتمعنا الذى يعطى أهمية كبيرة لهذا النوع من التعليم ، ويعده المصدر الأساسى للحصول على المهن الرفيعة ، ومعرفتهم بأن الفشل فى هذا الامتحان بالذات وعدم حصولهم على الدرجات المطلوبة معناه هبوطهم إلى مستوى لا يتصورونه وحياة لا يطبقونها .. تجعلهم يبذلون فى سبيل اجتيازه مالا يبذلونه فى سبيل اجتياز إمتحان آخر .

وكلنا يعانى الصورة القلقة المضطربة التى يعيشها ابنائنا كلما اقترب وقت هذا الامتحان ويعرف ظروفها ويقدر ظروف الطالب فيها . والآباء والأمهات يقيسون بدورهم ، وبدرجة أكبر مرارة هذه الفترة عندما يرون ابنهم (أو ابنتهم) وقد أصبح كتلة من الآمال المتطلعة والخاوف والقلق ، والعمل ليل نهار ، والمذاكرة التى لا تنتهى والإجتهاد المستمر ، عساه يحقق آماله وينجح فى الحصول على التقدير الذى يهيبه له الالتحاق بالكلية أو المعهد الذى يفضله .

وكلنا يعرف أن هذه الظروف فوق قدرة الإنسان العادى ، ويعرف الآثار المترتبة عليها بدنية كانت أو نفسية ، والتى تبدو فى صورة أمراض الضعف الجسمى وحالات الإغماء . وفى صورة الانهيارات العصبية التى تكثر بين الشباب فى هذه الأوقات ، فضلا عن الآثار النفسية الأعمق ، والتى لا تظهر لنا وإنما تكمن فى ذات أنفسهم ، والتى يرجع أغلبها إلى فقدانهم الثقة فى أنفسهم وإحساسهم بعدم القدرة على متابعة السير والوصول إلى الهدف الذى يتطلعون إليه ، وما يترتب على هذه الآثار جميعها من نتائج غاية فى السوء .

ليس هذا فقط بل إن الكثيرين منهم يفضلون إعادة الامتحان مرات ومرات . ويشجعهم الأهل على ذلك ، عساهم يحققون فى إحدى السنوات

مالم يستطيعوا تحقيقه في السنوات السابقة .. وفي هذا ما فيه من إضاعة لوقتهم وجهودهم التي قد لا تؤدي في النهاية إلى أى نتيجة . وحتى إذا وفق في النهاية إلى الالتحاق بالكلية التي يرغب فيها ، فإن العامل الأساسي في التحاقه يكون في الغالب هو الجهد الغير عادى الذى بذله ، والذى لا يمثل مستواه الحقيقى . وهذا العامل الأخير قد يترتب عليه فشله في الدراسة التي التحق بها . والمهم بالطبع ليس أن يلتحق بكلية أو معهد ما ، وإنما أن ينجح وأن يستمر حتى يتخرج فيه .

٧ - تأثير التعليم :

لا يستطيع الشاب الحصول على بعض المهن إلا بعد المرور بمرحلة تعليمية معينة . والشباب الأكثر تعليماً بصفة عامة ، تتاح له فرص أكثر للوصول إلى الوظائف العالية والمهن ذات الدخل المرتفع . فالشاب الذى لم يحصل على أكثر من الشهادة الإعدادية ، ولم يكمل تعليمه الثانوى والجامعى ، يتحدد مستقبله في العادة في عدد من المهن ذات الدخل المنخفض . وهذه حقيقة يعرفها الشباب ويعطونها أهمية خاصة . ولذلك نجدهم يعتبرون التعليم الأداة التي توصلهم إلى مستقبل مضمون وإلى مهنة مناسبة .

فإذا سألت تلميذاً بالمدرسة الإعدادية أو الثانوية هل ينوى إكمال تعليمه ، فنادرأ ما يرد عليك بالنفى . ومنع أى واحد منهم من إكمال تعليمه أو تهديده بذلك في حالة فشله في الدراسة مثلاً ، يعتبر تحدياً بالغ الخطورة بالنسبة لأمن حياته وبالنسبة للخطة التي أعدها لمستقبله .

ليس هذا فقط بل إن الشاب الذى يجد الطريق أمامه مغلقاً بالنسبة لأنواع التعليم التي يفضلها ، يتعرض لنفس المتاعب . فالشاب الذى يريد إكمال تعليمه

العام فالجامعى ، ويضطر تحت ضغط الظروف - اقتصادية أو غيرها - إلى إختصار الطريق بالالتحاق بنوع من التعليم المهنى الزراعى أو الصناعى مثلاً ، والفتاة التى تختصر طريقها بمعهد متوسط يعدها لمهنة سريعة كمعاهد إعداد المعلمات .. يعتبران التحاقهما بهذه الأنواع من المعاهد خيبة أمل كبيرة ، ويحاولان تعويضها بأى شكل كان . منهم من يعيد الدراسة الثانوية العامة ، ومنهم من يحاول تحسين وضعه فى إطار العمل الذى يعمل فيه ... وهكذا .

الوضع الخاص بالفتاة :

من الواضح أن كلامنا السابق ينطبق على الفتاة كما ينطبق على الفتى . إلا أن هناك بعض الإعتبارات الخاصة بوضع الفتاة ، نجد من الضرورى التعرض لأهميتها من ناحية ، وحتى تكون مجموعة المشاكل الخاصة بإختيار المهنة أكثر تحديداً ووضوحاً ما اتصل منها بالفتى أو الفتاة ، من ناحية أخرى .

والمشكلة الأساسية فى حياة أية فتاة هى أن تتمكن من التوفيق بين ناحيتين الأولى : حياتها الزوجية ، أو بمعنى أدق حياة البيت والزوج والأولاد . الثانية : حياة العمل .

فحول هاتين الناحيتين تدور أغلب المخاوف التى تنتاب الفتاة خاصة بمستقبلها . وتختلطان عادة لديها ، أو بمعنى أوضح تفكر فيهما معاً . والفتاة تختلف فى ذلك عن الفتى الذى يستطيع أن يفصل المشكلتين إحداهما عن الأخرى . فإختياره لمهنة المستقبل نادراً ما يتأثر بتفكيره فى الزوجة التى يختارها أو على الأقل ، العلاقة التى تربطها ليست فى مستوى الأهمية والخطورة كالعلاقة التى تربطها عند الفتاة .

فمشكلة إختيار المهنة تقع عنده فى المقام الأول . ففى مجتمعنا يفترض عادة

أن الرجل هو المسئول عن الناحية الاقتصادية وعن إقامة البيت وعن كل المتطلبات الخاصة به . أما دور المرأة في هذه العملية فلا زال غير محدد . وهناك عائلات كثيرة تعتبر دخل المرأة خاصاً بها ، وتعتبر إنفاق دخلها أو جزء من دخلها على البيت أمراً اختيارياً يترك لها هي نفسها موضوع تقريره ، أو يترك لتقدير الزوجين في أحسن الأحوال . ولهذا بالطبع تأثيره على وجهة نظر الفتاة بالنسبة لموضوع العمل واختيار المهنة . إذ عليها أن تحدد أولاً ما إذا كانت ستعمل أم لا . ثم بعد ذلك في أى مهنة ستعمل . أما الفتى فيحدد فقط نوع المهنة التي يختارها .

وحتى إذا اختارت الفتاة طريق العمل ، فإن المشكلة لا تنتهى ، بل سيظل السؤال إلى متى تعمل ؟ قائماً . هل تظل محتفظة بعملها حتى تزوج ؟ أم ستستمر فيه بعد ذلك ؟ . وإذا استمرت فيه ، هل سيكون ذلك حتى يتحسن دخل الزوج ؟ أم ستستمر فيه بعد ذلك أيضاً ؟ .. أو حتى تنجب أولاداً ؟ .. الخ . فإذا أضفنا إلى هذه المجموعة من الأسئلة التي تمثل مشاكل حقيقية تواجه الفتاة قبل وبعد عملها ، أن الفتاة قد تلقى مقاومة من الأسرة فيما يختص بتعليمها الذى يؤهلها للعمل ، أو فيما يختص بالسماح لها بالعمل بعد ذلك ، لتبين لنا إلى أى مدى هو معقد الوضع الخاص بعمل الفتاة في مجتمعنا .

فأغلب الآباء ينظرون إلى تعليم الفتاة وإلى عملها نظرة تختلف عن نظرهم للفتى . ففي الوقت الذى يعتبرون فيه عمل الابن أساس حياته ، وأن أى عائق يحول بينه وبين الاستقرار في مهنة مناسبة مصيبة لا تحتمل ، لا يبالون كثيراً بعمل البنات . بل ومنهم من لا يبالى أيضاً بتعليمها ، أو قد يمنعها من التعليم ، والأزواج أيضاً ، منهم من يرى هذا رأى ويرى في عمل الزوجة واشتراكها معه في الصريف على البيت والأولاد إنتقاصاً من كرامته كرب الأسرة المسئول .

وهذه النظرة وإن تغيرت إلى حد ما في الفترة الأخيرة ، إلا أن أساسها لازال موجوداً ، ولازال يؤدي دوره في تعقيد حياة الفتاة (والزوجة) العملية .

وبالنسبة للفتيات . فإن الكثيرات منهن لا يتصورن أبداً أن ينزعن من دراستهن ، ومن تفكيرهن أن يكون لكل منهن مهنة خاصة بها ، تعيش حياتها من خلالها ، ليتزوجن وينجبن الأولاد . ثم يكون كل همهن في الحياة رعاية الزوج وتدبير شئون البيت وتربية الأولاد . فلهن أيضاً تطلعاتهن التي لا يقدرها الآباء والرجال عادة التقدير المناسب .

وغالبيةتهن — وخاصة بعد أن تقدم تعليم البنات ، وبعد أن التحقت الكثيرات منهن بأعلى المعاهد والكليات — يرين أن الحياة المثلى للفتاة هي أن تجمع بين حياة زوجية موفقة وبين العمل .

وليس شرطاً أن يكون القصد من العمل هو الانفاق على البيت ، ولكن أن تشعر بأنها عضوة في المجتمع تتحمل بعض مسؤولياته وتقوم ببعض الواجبات تجاهه ، وتؤدي دورها بالنسبة له كما يؤدي الرجل دوره . وأيضاً أن تشعر بأنها تشارك الرجل في هذا الميدان الذي اقتصر عليه أجيالاً طويلة ، والذي يشعرها بحريتها واستقلالها وكرامتها . فهي لا تشعر بهذه المعاني إلا من خلال العمل .

ونعود للمشكلة الأصلية . . كيف تستطيع الفتاة التوفيق بين الزواج والعمل . . . الزواج بمتطلباته العديدة ، والعمل بمسؤولياته التي قد تتعارض مع وظيفة الزوجة كأم ومدبرة لشئون البيت . إن حل المشكلة لا يقع بكامله على عاتق الزوجة . وإنما يجب أن يشاركها فيه الزوج ، بتفهمه لحقيقة وضعها وظروفها وما تعانيه ، وبفهمه لأمانيتها الخاصة ونوع تفكيرها ومساعدتها في هذا التفكير وأيضاً المجتمع بصفة عامة الذي يجب أن يعد الزوجة الإعداد المناسب لنوع

الحياة الذى ترتضيه لنفسها ، سواء اختارت أن تقتصر على وظيفتها الأصلية كربة بيت ، أو أن تدخل ميدان العمل .

وفى رأى أن كون المرأة ربة بيت مسئولة لا يقل أهمية عن كونها طبيبة أو محامية أو مدرسة ، طالما أنها تؤدي هذه الوظيفة على خير وجه ، وتربى لنا أولادنا تربية سليمة . وأن يكون هذا متروكاً لتفضيلها الشخصى ولظروفها . وفى رأى أيضاً أن نهم بتعليم الفتاة كل ما يتصل بهذه الوظيفة . فالملاحظ أن مناهج الدراسة الخاصة بالفتاة هى نفسها مناهج البنين فيما عدا بعض إضافات بسيطة تتمثل فى دروس التدبير المنزلى والحياكة والتطريز .. فى الوقت الذى تحتاج فيه الفتاة إلى معلومات أخرى خاصة بتربية الأطفال مثل دراسة مراحل نموهم والمشاكل التى تعترضهم ، وكيفية إدارة البيت والرعاية الاجتماعية للأسرة .. إلى غير ذلك مما يتصل بحياة البيوت . وبالنسبة للزوجة العاملة يجب أن يعمل المجتمع على توفير الضمانات لها ، من إقامة بيوت لرعاية الأطفال أثناء عمل الزوجات ، وتنظيم أوقات عملهن وراحتهن بحيث لا تتعارض مع تدبيرهن لشئون بيوتهن ، وإعادة النظر فى نظم تعليم البنات ومناهج الدراسة بحيث تشتمل على كل ما يحقق حياة موفقة لهن .

ونخلص مما تقدم بعدد من العوامل الأساسية التى تؤثر فى اختيار الشاب لمهنة مستقبله ، يمكن على ضوءها أن نحدد الخطة العلمية لتوجيه الشاب توجيهاً مهنيّاً سليماً . هذه العوامل هى :

- ١ - أن الشاب يخضع فى مواقف اختيار المهنة لتأثير مجموعة من العوامل ، كدوافعه الشخصية ، وإمكانياته من حيث توافر الاستعدادات المناسبة لمهنة معينة وعدم توافر استعدادات أخرى قد تناسب مهناً مغايرة ، وميوله ونحو ذلك . وأن تأثير هذه العوامل يبدو بوضوح كلما اقترب الشاب من الوقت الذى يصبح عليه فيه أن يختار مهنة ما .

وأن عدم التوفيق بين مجموعة العوامل والدوافع التي توجه لإختيار الشاب وبين المهنة التي ترضيه ، يؤدي به إلى أنواع مختلفة من الصراع النفسي ، ويؤدي به بالتالى إلى مشكلات أعقد في السلوك .

٢ - وعلى ضوء النقطة السابقة يصبح من المهم أن يتعرف الشاب على خصائصه واستعداداته وإمكاناته الخاصة . ليحدد على ضوء هذه المعرفة ويختار المهنة المناسبة التي تتفق مع هذه الإمكانيات والاستعدادات والخصائص ، حتى يتجنب الخطر الذي يكمن في عدم معرفته بنواحي النقص في شخصيته . وهذه هي إحدى المهام الرئيسية للتوجيه السليم ، الذي يجب أن يبدأ بها قبل أى خطوة يخطوها في سبيل اختيار المهنة المناسبة .

٣ - إن فكرة الإنسان عن نفسه تتركز في المقام الأول في نوع العمل الذي يقوم به . وهذه الفكرة نفسها لا ترتبط بذاته وحدها ، وإنما هي في الأساس انعكاس لنظرة الآخرين التي تختلف من مهنة إلى أخرى وتفرق بين المهن المختلفة . فنظرة الناس إلى الطبيب أو المهندس غير نظرتهم إلى العامل . هذا الاتجاه العام لإعطاء بعض المهن أفضلية على مهن أخرى يؤثر على تفكير الشباب فيما يختص بإختيار مهنة المستقبل ، ويجعل إهتمامهم ينحصر في المهن التي تلقى قبولا من المجتمع ، والتي يرتفع شاغلها في نظر الناس عن غيرهم من العاملين في مهن أخرى .

٤ - يلعب العامل الاقتصادي أيضاً دوراً أساسياً في إختيار مهنة المستقبل . وقد أخذ هذا العامل يبرز في الفترة الأخيرة . فبعد أن كان الاتجاه

السائد بين أوساط الشباب هو إختيار المهنة التي تحقق لهم أكبر قسط من الراحة مع أكبر قدر من الاحترام ، تلك المهن التي تتمثل في العمل في المكاتب أو الإدارة ، أصبح الاتجاه السائد هو العمل في الميادين التي تدر دخلاً أكبر حتى ولو كانت بعيدة عن المكاتب أو السلطة الإدارية وهو سر اتجاه أغلبية الشباب للالتحاق بالأعمال الفنية والعملية في الفترة الأخيرة .

هـ - يمثل التعليم أيضاً ركناً أساسياً في عملية الاختيار . فبعض المهن لا يستطيع الفرد الحصول عليها إلا بعد المرور بمراحل تعليمية معينة . والشخص الأكثر تعليمياً تناح له في العادة فرص أكثر للوصول إلى الوظائف العالية والمهن ذات الدخل المرتفع ، هذه الحقيقة يعطيها الشباب أهمية خاصة وتؤثر في إتحافهم نحو اختيار المهنة بصفة عامة .

بل وتطبع حياتهم أثناء الدراسة بطابع المنافسة الشديدة للحصول على أعلى الدرجات التي تهيء لهم سبل الالتحاق بكليات معينة ومعاهد علمية تؤدي إلى مهن خاصة .

هذه هي مجموعة العوامل التي تؤثر في اختيار الشاب للمهنة ، والتي يمكن على ضوءها أن نحدد معالم وخطوات التوجيه المهني السليم .

التوجيه المهني

أصبح للتوجيه المهني أهمية كبيرة في الفترة الأخيرة ، وخاصة بعد أن زاد عدد المهن وزادت مجالات التخصص في ميادين العمل المختلفة ، وأصبح من الصعب أن يتمكن الشاب بمفرده في أحوال كثيرة من التغلب على الصعوبات

التي تواجهه في اختياره لمهنته ، بالإضافة إلى ما لهذه العملية من أهمية بالنسبة لمستقبل حياة الشاب بل وحياة الأمة ، التي تعتمد من غير شك على استقرار أفرادها في مهن يرتاحون إليها ، ويحققون فيها أكبر قدر من الإنتاج .

ولقاء سبقتنا دول كثيرة إلى هذا الميدان ، وأصبح للتوجيه المهني وسائله الخاصة ومؤسساته بل وأصبح موضع اهتمام الهيئات الدولية كمكتب العمل الدولي ، واليونسكو .. وغيرها .

ولعله من المفيد أن نشير إلى الطريقة التي تتبعها مكاتب التوجيه المهني عادة لتحقيق هذه الأغراض .

وصورة العمل في هذه المكاتب ليست كصورة العمل في العيادات الطبية أو نحوها كما يخطر على البال ، يقبل عليها الفرد حاملاً معه مشكلة ليضعها أمام الأخصائي الذي يفحصها ثم يرد عليه بالحل أو بالجواب . وإنما هي عملية ذات جوانب متعددة ، وتمر بعدد من المراحل أو الخطوات التي لا بد منها ، وهي مراحل أو خطوات يفيد من معرفتها الشباب والآباء والمعلمون والمشرفون على شئون الشباب بصفة عامة . ويمكن أن يسترشدوا بها في تحديد المهنة المناسبة لأنفسهم أو لأبنائهم أو لمن يسألهم الرأي والمشورة .

وتسير هذه العملية أساساً على هدى خطوات ثلاث :

الأولى : وتهدف إلى معاونة الشاب على معرفة كل ما يتصل بذاته قبل أن يقرر العمل الذي يناسبه ، من حيث إمكانياته الخاصة وقدراته ونواحي قوته وضعفه . فمن المفيد أن يعرف الشاب مدى تفوقه أو تخلفه في القدرات الخاصة بالمهن المختلفة كالقدرة العددية التي

تعتمد عليها دراسة العلوم الرياضية ، الأساسية بالنسبة لمهنة الهندسة ونحو ذلك .

فكثير من الشباب يقبلون على هذه المهنة وعلى الدراسات المؤهلة لها ، لما تحقّقه من فائق الدخل أو لمظهرها الاجتماعي أو لغير ذلك من الأسباب ، ويهثّون أنفسهم لنوع الدراسة أو الالتحاق بالكلية التي توصلهم إليها ، متجاهلين حقيقة أنفسهم واستعدادهم الشخصي ، وتخلّفهم في المواد الرياضية التي لا بد من التمكن منها لكي يكملوا الشوط ويتمخرجوا في هذه المهنة .

ومن المهم أيضاً معاونّة الشاب في التعرف على ميوله الحقيقية وألوان النشاط التي يحبها أو يكرهها ، ومدى توافق هذه الميول مع المهنة التي يختارها . فهناك الحقيقة الواضحة التي لا تحتاج إلى مزيد من القول ، وهي أن الإنسان يبذل في العمل الذي يحبه مالا يبذله في غيره من الأعمال .

والسمات والصفات الشخصية لها أثرها أيضاً . فمن المهن ما يحتاج إلى سمات شخصية معينة . فالمنطوي على نفسه مثلاً لا ينجح في الغالب في مهنة تحتاج إلى التعامل مع الناس والاتصال بهم .. وأيضاً الصفات الجسميّة والبدنيّة من حيث قوة الاحتمال ونواحي العجز والقصور التي تعوق أداء العمل بنجاح .

كل هذه النواحي ضرورية وهامة ، ولا بد أن تكون صورتها واضحة تماماً أمام الشاب ليحدد على ضوءها المهنة المناسبة .

الثانية : وتهدف إلى معلونة الشاب على معرفة المهن المختلفة المتاحة ومزايا

كل مهنة . فدنياً العمل واسعة ، والمهن العديدة التى يمكن أن
يختار من بينها واحدة لنفسه يصعب عليه أن يحددها وحده .

ليس هذا فقط ، بل من المهم أيضاً أن يعرف الشاب أيضاً
خصائص المهن التى يتمتع عليها إختياره ، من حيث المؤهلات
المطلوبة لها ، ومتوسط الدخل الذى يحصل عليه منها ، والخبرة
اللازمة ، وإمكانية الترقى فيها ، والأعداد المطلوبة لها . فمن
المهن ما تبهر صورتها الشباب ويميلون للعمل بها ، كمهن التمثيل
والعمل بالإذاعة والتلفزيون أو العمل بالسلك الدبلوماسى أو
الصحافة . ولكن الأعداد المطلوبة لهذه المهن تكون قليلة فى العادة
ومؤهلاتها لا تقتصر على مجرد الحصول على درجات علمية معينة
وإنما تحتاج أيضاً مواهب أخرى فنية وشخصية لا يستطيع الشاب
أن يكتشفها فى نفسه بسهولة .

الثالثة : وفيها نعاون الشاب على التوفيق بين إمكانياته الخاصة ، وبين
المهن التى يمكن أن ينجح فيها ، بحيث يلتزم الحدود المعقولة ،
ولا يشتط به الخيال ويطلب المستحيل ، وحتى يبدو أمامه الطريق
واضحاً مستقيماً .

ونعرض فيما يلى هذه الخطوات الثلاث التى تمثل عملية التوجيه
المهنى .

الخطوة الأولى تعرف الشاب على ما يتصل بذاته :

يختلف الناس فيما بينهم فى كل ما يتصل بنواحى شخصياتهم ، يختلفون
فى قدراتهم وسماتهم الشخصية وميولهم واهتماماتهم وتكوينهم الجسمى .

هذه القدرات والسمات والميول والخصائص هي التي تحدد نوع المهنة المناسبة التي تتيح للشاب فرصة العمل فيها بنجاح .

ومن ثم تصبح الخطوة الأولى في التوجيه المهني هي تحليل ذات الفرد والكشف عن كل ما نستطيع الكشف عنه من هذه الجوانب ، التي تشمل :

١ - قدراته العقلية .

٢ - ميوله .

٣ - سماته الشخصية .

٤ - خصائصه الجسمية .

القدرات العقلية :

تتطلب كل مهنة مستوى معين من الذكاء ومن القدرات العقلية الخاصة وإذا استطاع الشاب معرفة نواحي القوة والضعف عنده بالنسبة لهذه القدرات أمكنه أن يتخير المهنة التي تتفق مع مستواه .

والقدرات العقلية منها القدرة العامة ، وهي ما نطلق عليها عادة اسم الذكاء ، ومنها أنواع من القدرات الخاصة التي تتميز بها بعض أنواع النشاط العقلي .

وهذه القدرات سواء القدرة العامة أو القدرات الخاصة ، تقاس بمقاييس خاصة تعرف باسم الاختبارات ، يمكن استخدامها للتعرف على درجة توافر هذه القدرة أو الأخرى عند الشاب .

والقدرة العقلية العامة (الذكاء) تمثل المستوى العام لنواحي القوة أو الضعف عند الإنسان . وهي بهذا تتضمن عدداً من أوجه النشاط العقلي المختلفة.

وهناك عدد من القدرات العقلية الخاصة التي يهمننا معرفتها مثل :

* **القدر اللفظية :** التي تشير إلى إمكانية الشخص على فهم الأفكار التي تعبر عنها الكلمات . ويحتاج الشخص إلى هذه القدرة ليستطيع تحصيل المعلومات عن طريق القراءة أو الاستماع ، كما أن المتفوقين فيها يجيدون التعبير عن أنفسهم بالكتابة والخطابة . ويحتاج إلى قدر عال من هذه القدرة المعلمون والكتاب وغيرهم ممن يعتمد عملهم عليها .

* **القدرة على الطلاقة اللفظية :** وهي القدرة على الاستخدام السريع للكلمات ، وسهولة التخاطب والكتابة . وهي شيء آخر غير القدرة اللفظية التي تعتمد على فهم الكلمات والعلاقات التي بين الكلمات . أما الطلاقة اللفظية فتتضمن السرعة والسهولة التي نستخدم بها الكلمات التي نعرفها .

ويعتمد على هذه القدرة عمل الممثلين والمشتغلين بالدعاية والإعلان ورجال الإعلام بصفة عامة .

* **القدرة العددية :** وهي القدرة على استخدام الأرقام والقيام بالعمليات العددية كعمليات الجمع والطرح والضرب والقسمة بسرعة وبدقة . ويحتاج إليها المحاسبون ورجال الإحصاء والتجار والعاملون بالبنوك وغيرهم ممن يعتمد عملهم على استخدام الأرقام .

* **القدرة على التذكر :** وهي القدرة على تذكر الكلمات والرسوم والأرقام ، ويعتمد عليها العمل في كثير من المهن كالممثلين مثلاً . والعاملين في المجال الفني بوجه عام .

* **القدرة على الاستدلال :** وهي القدرة على إدراك العلاقات بين العناصر وحل المشكلات . وهي أساسية للمخترعين والمعلمين ورجال

السياسة . وفى الحقيقة فإن كل الأعمال والوظائف العليا تحتاج إلى قدر معقول من هذه القدرة .

* القدرة المكانية : وهى القدرة على تصور الأشياء بعد أن يتغير وضعها المكانى ، أو على تصور وضع شئ بالنسبة لآخر فى الفراغ .

ويعتمد على هذه القدرة عمل المهندسين والمشتغلين بالأعمال الميكانيكية وأعمال العمارة والفنانين ..

* القدرة على السرعة الإدراكية : وتبدو فى أوجه النشاط العقلى التى تتطلب التعرف السريع الدقيق لأشياء معينة ، وخاصة فى مجال الإدراك البصرى . ويعتمد على هذه القدرة عمل الطيارين وسائقى السيارات وغيرهم ممن يقوم عملهم على الإدراك السريع لعناصر الموقف .

الميول المهنية :

التعرف على الميول له أهميته أيضاً . فعامل الميل ، كما سبق أن ذكرنا ، يلعب دوراً أساسياً فى حياة الإنسان أثناء تأديته مهنته ويؤثر فى إنتاجه وفى راحته النفسية . ففرق كبير بين إنسان يعمل وهو يحس بوطئة العمل ، وبحسب الوقت الذى ينفقه فيه ، ويتنظر اللحظة التى يترك فيها العمل بلهفة وترقب ، وبين إنسان يجد متعة فى عمله ولا يشعر بالوقت الذى يقضيه فيه . ومن ثم يتبين نجاح الفرد فى مهنة ما يعتمد أيضاً على تعرفه على ميوله واختيار المهنة التى ترضى هذه الميول .

والوسيلة العلمية للتعرف على الميول هى استخدام الاختبارات الخاصة بها . ولكى نأخذ فكرة عن هذا النوع من الاختبارات ، نتمثل بإحداها ،

وهو اختبار كيودر ، الذى يتضمن عشرة ميول رئيسية يرتبط كل منها بنوع معين من المهن . هذه الميول هى :

* **الميل الخلوى :** ويميل أصحابه إلى الحياة الخلوية والعمل خارج جدران المكاتب والمساكن بصفة عامة . ويتفق هذا الميل مع العمل فى الحدائق والمزارع والغابات والعمل البحرى وغير ذلك من المهن الخلوية .

* **الميل الميكانيكى :** ويحب أصحابه الأعمال التى تعالج الآلات ، والتى تعتمد على الفك والتركيب واستخدام الأدوات الميكانيكية مثل أعمال المهندسين والميكانيكيين وتصلح السيارات ...

* **الميل العددي :** ويتضح هذا الميل فيمن يحبون الأعمال التى تعتمد على استخدام الأرقام كالصيارفة والمشتغلون بالتعداد والإحصاء والمحاسبون .

* **الميل العلمى :** ويتضح فيمن يرغبون فى البحث ومحاولة حل المشكلات واستنباط الحقائق الجديدة والوصول إلى النتائج ، كالكيميائيين والمهندسين والأطباء والصيادلة والعاملين فى ميادين البحث العلمى بأنواعه المختلفة .

* **الميل الإقناعى :** وهو الميل إلى نواحى النشاط التى تقوم على الاتصال بالناس ومقابلتهم كالدعاية والبيع والتمثيل والوعظ والإرشاد ونحو ذلك ..

* **الميل الفنى :** ويحب أصحابه الأعمال اليدوية التى تؤدى إلى إنتاج مبتكر ، مثل تصميم الأزياء ، وتصنيف الشعر والهندسة الزخرفية والنحت والرسم

* **الميل الأدبى :** ويتضح فيمن يحبون القراءة والكتابة ويستمتعون بالوقت الذى ينفقونه فيها . ويتفق هذا الميل مع العمل فى الصحافة وكتابة الروايات والتحرير والتأليف والنقد الأدبى والتدريس .

• الميل للموسيقى : ويجب أصحابه العزف على الآلات والغناء وسماعها وتعلمها . وينجح أصحاب هذا الميل في مهن مثل العزف الموسيقى أو تدريس الموسيقى أو النقد الفني أو الغناء .

• الميل للخدمة الاجتماعية : ويتضح فيمن يهتمون بمساعدة الناس . ويتفق هذا الميل مع العمل في الطب والتمريض والتدريس والتوجيه المهني والإشراف على شئون العمال أو الطلاب ..

• الميل الكتابي : ويتضح فيمن يفضلون العمل داخل الجدران مثل المحاسبين والموظفين الكتابيين والسكرتيرين ...

هذا ويجب أن نلاحظ أن القائمة السابقة لا تعني بالضرورة ارتباط كل مهنة بميل خاص لا تعداه . فمن المهن ما يتطلب أكثر من ميل . فالطب مثلاً يحتاج إلى كل من الميول العلمية وميول الخدمة الاجتماعية ، والمحاسبة تحتاج إلى الميول العددية والكتابية .

وعلى أية حال ، فإن تعرف الشاب على ميوله الحقيقية عن طريق مثل هذا النوع من الاختبارات ، ومدى توافق هذه الميول مع المهن المختلفة ، يساعد على زيادة إمكانية نجاحه في نوع المهن التي يتبين أنه يميل إليها .

سمات الشخصية :

كثيراً ما يكون السبب في فشل الموظف أو العامل أو المهندس ليس النقص في قدرته على أداء العمل أو ميله له ، بل إلى موقف الشخص واتجاهه نحو العمل نفسه أو نحو العاملين فيه أو إلى سوء تكييفه الشخصي في المجال الذي يعمل فيه .

وكما اهتم علماء النفس بالاختبارات التي تقيس قدرات الإنسان والتي تقيس ميوله ، فإن هناك عدداً من الاختبارات التي تقيس سمات الشخصية المختلفة ، تلك السمات التي يفيد تحديدها في توجيه الشخص نحو المهن والأعمال التي تتطلبها مثل :

• **الثبات الانفعالي** : ويقصد به الاتزان في الانفعالات والاحتفاظ بهدوء الأعصاب وسلامة التفكير وتحمل المسؤولية ، وتقبل النقد وعدم القلق بشأن الأمور اليومية العادية .

وهي صفات لازمة للعمل في الوظائف الرئيسية والقيادية .

• **المثابرة** : ويقصد بها الميل لتكوين اتجاهات وعادات ثابتة وعدم التذبذب والاستمرار في العمل . وأصحاب هذه الصفة يكونون في الغالب متكيفين مع البيئة الخارجية . وميولهم واتجاهاتهم ثابتة إلى حد كبير . وينجح أصحابها في الأعمال والمشروعات طويلة المدى وهكذا .

• **السيطرة (ضد الخنوع)** : ويقصد بها الميل لتحمل المسؤولية ، والتملك والميل للمبادأة . وأصحاب هذه الصفة يميلون للكلام في المناسبات العامة والاشتراك في الاجتماعات واقتراح الآراء الجديدة ... ويتولون في العادة قيادة الجماعات .

• **الانطواء (ضد الانبساط)** : ويميل أصحابها للبعد عن الناس والانزواء والتفكير الهادئ والتأمل . وأصحاب هذه الصفة ينجحون في الأعمال الفردية التي لا تحتاج إلى مشاركة الآخرين ، والأعمال التي تعتمد على وضع الخطط أكثر من تنفيذها .

وهناك اختبارات تقيس سمات أخرى كثيرة .

الخصائص الجسمية :

يعتمد التوجيه المهني السليم كذلك على معرفة خصائص الفرد ومميزاته الجسمية والصحية العامة . فمن المهن ما يحتاج إلى قوة التحمل والقدرة على بذل جهد كبير . ومنها ما لا يحتاج إلى هذه الخصائص . ومنها ما يعتمد على الصوت وطريقة الكلام وقوة السمع ونحو ذلك ، ولا ينجح فيها الشخص المتلثم مثلاً أو ضعيف السمع مثل التدريس فلا يمكن أن نتصور مدرساً يتعرف تلاميذه على كلامه بصعوبة ، أو لا يستطيع هو أن يسمعهم إلا إذا رفعوا أصواتهم . والمظهر العام أيضاً وهيئة الفرد تلعب دوراً كبيراً في بعض المهن ، وكثيراً ما تكون عاملاً أساسياً في نجاح الفرد في مهنته ، كالعامل في التلفزيون مثلاً أو السينما أو أعمال الدعاية ونحوها . مما يوضح أهمية التعرف على خصائص الفرد الجسمية أيضاً حتى تتوافر لعملية التوجيه كل أركانها الأساسية .

على ضوء ما سبق يمكن أن يتحصل الشاب على صورة واضحة لذاته تشمل كافة نواحيه ما اتصل منها بقدراته أو ميوله أو سماته الشخصية أو خصائصه الجسمية .

والحصول على هذه الصورة هي الخطوة الأولى في عملية التوجيه المهني ويستطيع الشاب أن يتحصل عليها بوسائل عديدة مثل التقارير المدرسية وآراء المدرسين ونتائج الاختبارات ... الخ . وعليه بعد أن يعتمد على تحليله الشخصي وحكمه على صفاته أو خصائصه أن يستشير من يشاء ممن يطمئن إلى حكمهم إلى أن تتوافر مكاتب التوجيه المهني المتخصصة في هذه العملية .

الخطوة الثانية - تعرف الشاب على عالم المهنة :

بعد تعرف الشاب على كل ما يتصل بذاته ، تأتى المرحلة الثانية فى عملية التوجيه المهني ، والتي تهدف إلى معاونة الشاب على معرفة المهن المختلفة المتاحة.

وعالم المهن عالم واسع يشمل عشرات الآلاف منها . والشاب لا يستطيع بطبيعة الحال أن يستعرض هذا العالم كله ويحتويه . ولذلك يجب عليه أن يضع نظاماً يسير عليه حتى لا يضيع وسط الزحام . وحتى يسير بخطى ثابتة نحو المهنة التي تناسبه . ولعل أفضل طريقة هي أن يبدأ الشاب باستعراض عام للمهن المختلفة ويصنفها في مجموعات أو مجالات واسعة يقارن بينها ويفضل حتى يستقر على مجموعة منها يجدها أنسب لقدراته الخاصة وميوله وخصائصه الذاتية . ثم بعد ذلك الدراسة التفصيلية للمجموعة المعنية التي اختارها والتي يجدها أفضل من غيرها وأكثر ملاءمة له .

ولكي تحقق هذه الدراسة نتيجتها المرجوة لابد من أن تتوفر لدى الشباب معلومات وافيه عن نواحي مثل :

* طبيعة العمل : من حيث أنواع النشاط والخبرات والمهارات والقدرات التي يتطلبها العمل والتي لابد من توافرها فيمن يشغله .

* المؤهلات الدراسية المطلوبة : ما هو مستوى الدراسة المطلوب ؟ وهل المهنة تكتفي بتعليم محدود ، إعدادي مثلاً أو ثانوي ، ثم التدريب بعد ذلك . أم تتطلب نوعاً من الخبرات لا تنهي للشاب إلا بعد الدراسة الجامعية ، أم هي تتطلب خبرات من نوع آخر ، لا تتوفر إلا في معاهد فنية معينة .

* قيود العمل : ما هو المطلوب من الشاب تقديمه ؟ وما هي الشروط العامة التي يقبل على أساسها ؟ وهل العمل خاص بجنس معين أم يقبل فيه

الشباب من الجنسين ؟ وهل للمظهر أهمية فيه .. وهل يتطلب خصائص أو صفات معينة لا بد من توافرها فيمن يتقدم إليه ! ... وهكذا .

.. الالتحاق بالعمل : هل سيجرى للشباب اختبار خاص قبل الالتحاق بالعمل ؟ وهل سيمر طالب الوظيفة بفترة للتجربة ؟ .. أم يكتفى بتقديم المؤهلات والمستندات المطلوبة ! .. وإذا كان هناك اختبار .. فما نوعه .. هل سيتم في مقابلة شخصية ، أو عن طريق امتحان تحريري ؟ . ومن الذى سيجرى الاختبار .. ومتى .. الخ .

وإذا كانت هناك فترة للتجربة فما مدتها ! وهل سيأخذ أجراً خلالها وما حدودها . ؟

وفي جميع الأحوال ما هى الأوراق والمستندات المطلوبة للتقديم .. الخ .

* شروط العمل : أين سيكون ، فى المدينة أو خارجها . وهل يوفر العمل سكناً لشاغله ؟ وما هى الخدمات التى يقدمها طبية أو غيرها . وما عدد ساعات العمل فى اليوم ؟ وما نوع الإجازات ومدتها ؟ وما هى الضمانات التى يوفرها لشاغله ضد الفصل أو البطالة ؟ ... وبصفة عامة درجة الاطمئنان التى يحققها .

* الدخل : ما هو متوسط الدخل الذى يحققه ؟ وما هى فرص الزيادة فى هذا الدخل ؟ وهل تحسب ساعات العمل الإضافية ؟ ... وهل الدخل بصفة عامة يساوى الجهد الذى يبذله الفرد فيه ؟ ...

هذه هى أهم النواحي التى يمكن للشباب أن يضعها فى اعتباره ، وهو يفضل بين أنواع المهن ليختار من بينها المهنة الأكثر ملاءمة له .

ويمكن للشاب أن يتحصل على المعلومات الخاصة بهذه النواحي من مصادر عديدة ، مثل إعلانات الصحف ، والإحصاءات التي تصدرها المؤسسات والهيئات الخاصة بالتعداد والإحصاء ، ومن نشرات اتحادات المهن المختلفة نفسها والاتصال بالمختصين فيها .

التعرف على المعلومات من المصادر التي أشرنا إليها أو بعضها يمثل الخطوة الثانية التي يخطوها الشاب نحو مهنة المستقبل .

وفي حالة وجود مكاتب متخصصة للتوجيه المهني ، فإنها تتولى عملية جمع المعلومات ، وتقديمها جاهزة للفرد وتساعد على دراستها .. تمهيداً للخطوة الثالثة في عملية التوجيه المهني ، التي فيها تقارن خصائص وإمكانات الشاب وصفاته الخاصة بمميزات وخصائص المهن التي يمكن أن ينجح فيها لتحديد أنسبها له .

الخطوة الثالثة : التفرقة بين خصائص الشاب وبين المهنة المناسبة :

على ضوء الخطوتين السابقتين يكون الشاب قد تحصل على قائمتين واضحتين :

تشمل الأولى : مجموعة صفاته خصائصه ما اتصل منها بتكوينه العقلي والجسمي وميوله واتجاهاته وصفاته الشخصية .

وتشمل الثانية : خصائص ومميزات مجموعة من المهن .

ولا يتبقى على الشاب إلا أن يقارن هاتين القائمتين أو هاتين المجموعتين من الخصائص ويقابلها حتى يتحصل على المهنة التي يجدها أكثر تطابقاً وموافقة مع صفاته وخصائصه . وهو في عملية المطابقة أو التوفيق هذه ،

يجب أن يضع في اعتباره دائماً أن الوصول إلى الشيء المثالي صعب بل ومستحيل في أغلب الأحوال ، وأن يلتزم الحدود المعقولة حسب طبيعة الأوضاع . كما يجب أن يضع في اعتباره كل احتياجات العمل التي قد لا يستطيع أداء بعضها . أو بمعنى آخر أن ينظر إلى عيوبه كما ينظر إلى نواحي تفوقه .

وقد تكون هناك أسباب تفرض على الشاب أن يحد من مجال اختياره كنقص التعليم مثلاً وعدم حصوله على الدرجات العلمية المناسبة ، أو قلة التدريب ... أو نحو ذلك . في مثل هذه الأحوال يجب ألا يندفع الشاب نفسه ويظل يحلم بمهنة معينة ويدور في الفراغ . وهو يعلم أن الحصول على هذه المهنة يتطلب مؤهلات وشروط لا تتوافر فيه ، بل يجب أن يحرص اهتمامه وأن تكون مقارناته في الحدود التي أشرنا إليها ، والتي لا تخرج عن نطاق البحث عن أفضل مهنة متاحة تتفق خصائصها مع خصائص الشاب . أما إذا وجد الشاب أنه لا يستطيع أن يبعد تفكيره عن مهنة بذاتها ، بالرغم من عدم توافر شروطها فيه ، فلا بد والحالة هذه أن يبحث عن وسيلة يكمل بها أوجه النقص عنده ، فيكمل تعليمه العالي مثلاً إذا كانت المهنة تتطلب هذا النوع من التعليم أو نحو ذلك .

وفي جميع الأحوال يجب ألا يتسرع الشاب في اتخاذ قراره ، وأن يستعين على قدر الإمكان بخبرات الكبار المحيطين به ، وباستشارة المختصين في المجالات التي تحتاج إلى استشارة ومعونة من نوع خاص (هذا في حالة عدم وجود مكاتب التوجيه المهني المتخصصة التي تتولى عادة هذه العمليات) حتى يصل

إلى أحسن نتيجة ممكنة ، وحتى يمكنه أن يتغلب على أهم مشكلة تعترض حياته ... وهي مشكلة اختيار مهنة المستقبل . تلك المشكلة التي تحظى منه في العادة بأكبر قسط من الاهتمام ، وتسبب له من المخاوف وأسباب القلق ما لا تسببه مشكلة أو عامل آخر في حياته .

الفصل السابع

وقت الفراغ



تقديم :

ناقشنا فى الفصلين السابقين مشكلتين أساسيتين فى حياة الشباب ، تدور حولهما مخاوفهم ، وآمالهم فى نفس الوقت ، الأولى هى مشكلة الجنس التى تنتهى عادة بالزواج . والثانية هى اختيار المهنة .. محور الاهتمام الرئيسى فى حياة الشباب والكبار بصفة عامة . إذ أننا ننظر إلى الإنسان فى العادة ونقدره من خلال المهنة التى يعمل فيها .

ونناقش فى الفصل الحالى مشكلة ثالثة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمشكلتين السابقتين ، بل وأحياناً يكون علاجها ، والتصرف فيها تصرفاً سليماً هو العلاج الطبيعى لكل منهما .

فقد رأينا أثناء مناقشة أمور الجنس كيف أن أغلب المشاكل الخاصة بها إنما تأتى نتيجة وقت الفراغ الطويل الذى لا يعرف الشباب أين يقضيه ، وأن علاجها إنما يكمن فى تنظيم هذا الوقت ، وتوجيه الشباب نحو حسن استغلاله وإعلاء طاقاتهم الحيوية والانفعالية من خلاله .

ثم إن حل مشكلة وقت الفراغ كثيراً ما يساعد على تكييف الشباب الذى يضيق بدراسته أو بعمله ، فيحاول عن طريق هواية يمارسها فى أوقات فراغه مثلاً ، أن يتخلص من أسباب هذا الضيق ، وأن يحقق من خلالها النجاح ، والسعادة اللذين افتقدتهما فى حياته الدراسية أو العملية .

ليس هذا فحسب ، بل ومن المعالجات النفسية من يعتقد أنه يمكن الاستفادة من أوقات الفراغ فى علاج كثير من الحالات النفسية والعقلية ، عن طريق شغل المصابين بها بهوايات مثل الرسم أو الموسيقى أو ما أشبه . وأثبت هذا النوع من العلاج فائدة كبيرة . ليس بعد الإصابة بالمرض فقط ،

وإنما أيضاً كعامل يساعد على الوقاية منه . كما أثبت أنه يساعد على الاحتفاظ
بالكيان النفسى بعيداً عن هذه الاضطرابات ، وبصفة عامة فى تنمية
الإحساس بالراحة والمداوء .

وفى الحقيقة إن لكل واحد منا دوافعه ورغباته ، وهى دوافع ورغبات
لا تجد طريقها للانطلاق والإشباع فى كل الأوقات . بل كثيراً ما تحول ،
ظروف الحياة وقيودها دون التعبير عنها والسماح لها بإشباع نفسها وتحقيق
متطلباتها . ومن هنا يأتى الصراع بين الحاجة إلى التعبير عن هذه الرغبات
والتنفيس عنها . وبين قيود الحياة وظروفها وموانعها ، ومن هنا أيضاً تبدو
أهمية أوقات الفراغ وشغل هذه الأوقات بهوايات محبة إلى النفس أو بنشاط
ترويحى سار ، كمنطلق للتنفيس عن الرغبات المكبوتة ، والسماح لها بالظهور
بشكل يخفف بعض العبء عن النفس المشحونة بالانفعالات والصراعات
نتيجة هذه الرغبات .

وهذا هو السر فى النصيحة التى نسمعها دائماً من المعالجين النفسيين
وغيرهم ممن يتصلون بالناس ، ومن يفضى إليهم الناس ، شاكلهم ومتاعبهم
بأن يروحوا عن أنفسهم ، وأن يغيروا من مجالات اهتمامهم ، وأن يتجهوا
بصفة عامة إلى نوع من النشاط يرتاحون إليه ويقضون من خلاله وعن طريقه
بعض الوقت السار ، أو أن يغيروا من أسلوبهم فى الحياة ويبحثوا عن
مجالات أخرى لا يشعرون فيها بالكلل والتعب والإجهاد الفكرى .

وهذا هو السر أيضاً فى أننا نشعر بعد هذه الأوقات التى ننطلق فيها
على سجيئتنا ، والتى نسمح فيها لأنفسنا بأن نفعل ما نحب ، لا ما هو مفروض
علينا ، والتى نشبع فيها هواياتنا ... نشعر بأننا قد اكتسبنا طاقات جديدة

للعمل ، وأننا نعود بعدها إلى حياتنا العادية بنفوس أكثر هدوءاً وأكثر طمأنينة وأكثر إقبالا على العمل وعلى الحياة .

— ما هو وقت الفراغ :

والآن ما هو المقصود بوقت الفراغ . هل يقصد به أى وقت لا نعمل فيه ، أم يقصد به وقت راحتنا بين فترات العمل .

إن تحديد معنى هذا الوقت ضرورى . لأن التخطيط لشغله واختيار أنواع النشاط المناسبة التى يمكن أن يمارسها الفرد من خلاله تعتمد على ، تحديده ومعرفة المقصود منه .

ونحن نميل إلى إعتبار وقت الفراغ هو الوقت الذى يقضيه الفرد فى نشاط مفيد يتمكن أثناءه من تحقيق بعض ما يرغب فيه ويميل إليه .

وعلى ذلك فوقت الراحة بين ساعات العمل ، للذهاب إلى المقهى وتناول بعض المأكولات أو المشروبات الخفيفة مثلاً ، أو لتبادل بعض الأحاديث السريعة مع الزملاء .. ليس وقت فراغ بالمعنى الذى نقصده . لأن هذا الوقت جزء من وقت العمل نفسه الذى لا يمكن أن يستمر على وتيرة واحدة وإنما يحتاج إلى فترات للتوقف والاستجماع نشاط الفرد وتكملة سير العمل . ولأن الفرد لا يحقق خلاله نشاطاً مفيداً من النوع الذى يميل إليه ويرغب فيه وإنما يقضيه بأى شكل كان ... حتى يبدأ العمل من جديد .

أما لو خطط لهذا الوقت ، بحيث يسمح بممارسة الفرد لأنواع مختلفة من النشاط يختار من بينها ما يريد ، وكان الوقت كافياً لتحقيق هذا الغرض مثل ما هو موجود فى بعض المؤسسات من نوادى أو استراحات تشمل قاعات للعب البلياردو أو كرة الطاولة أو مشاهدة التلفزيون .. أو نحوها ،

يمارس العاملون عن طريقها بعض ما يميلون إليه من أوجه النشاط التي تتضمنها
أثناء فترة الظهيرة مثلاً أو غيرها من الأوقات .. قبل أن يستأنفوا عملهم من
جديد ...

أو مثل ما يحدث في المدارس من وجود قاعات للعب كرة الطاولة
والألعاب الخفيفة من هذا النوع ، أو من وجود مكتبة يمكن أن يطالع فيها
التلميذ في فترات الاستراحة بعض ما يميل إليه من الكتب أو نحو ذلك
فإن مثل هذه الأوقات التي ينظم لها ، والتي يمارس فيها العامل أو التلميذ
بعض هواياته ويشغلها ببعض أنواع النشاط التي يميل إليها ويرغب فيها ...
يمكن اعتبارها أوقات فراغ من النوع الذي نقصده .

وأوقات الفراغ تختلف بهذا الشكل باختلاف ظروف الفرد ونسوع
النشاط التي يشغلها به . فبالنسبة للتلميذ مثلاً ، هو الوقت الزائد بعد عمل اليوم
المدرسي ، وبعد أن يستذكر دروسه ، والذي يقضيه التلميذ على النحو الذي
يرغب فيه ويحبه ، بالاشتراك مع أخوته في بعض ألعابهم مثلاً . أو قراءة
بعض الروايات ، أو في الذهاب إلى النادي لممارسة لعبة من الألعاب الرياضية
التي يميل إليها ، أو لممارسة إحدى نواحي النشاط الأخرى المتوافرة فيه ثقافية
أو اجتماعية ... أو نحو ذلك .

وبالنسبة للموظفين والعاملين والكبار عموماً ، هو الوقت الذي يفيض
عن وقت العمل ، والذي يمضيه الكبار بالمثل في القراءة أو ممارسة هواية من
الهوايات كالصيد أو الرسم أو الذهاب إلى النادي بالمثل ... أو نحو ذلك من
أوجه النشاط .

وأوقات الفراغ في الأيام العادية غيرها في أيام الإجازات الطويلة .

لاختلاف طبيعة كل منها ، واختلافها أيضاً في الغرض والقصد ، وفي طبيعة النشاط الذي يمكن أن يمارس خلالها . ففي الأيام العادية لا يتجاوز القصد منها شغل الوقت بما يغير من طبيعة نوع النشاط الذي يمارسه الفرد طول النهار ، والترويح عن النفس بنشاط مخالف من النوع الذي يحبه الفرد ويرغب فيه . والوقت الزائد في الأيام العادية لا يسمح إلا بأنواع محدودة من النشاط الذي لا يتطلب جهداً . إذ يكفي جهد النهار وعمل النهار .. اللهم إلا إذا كان العمل اليومي من النوع الذي يشغل الذهن ويستدعي التفكير . ففي الحالة الأخيرة قد يفيد الترويح عن النفس بالعمل في الحديقة مثلاً ، أو بالقيام بنزهة على الأقدام الى الخلاء ... أو غير ذلك .

أما الاجازات الطويلة فأمرها يختلف . ذلك أن طبيعتها ، والوقت الكافي الممدود أثناءها ، يسمحان بتعدد أنواع النشاط التي يمكن أن تمارس خلالها . فضلاً عن أن الغرض منها يكون هو القضاء على روتينية الأيام العادية وكسر حدة الرتابة التي يشعر بها الإنسان ، وهو يقوم كل يوم في ساعة محددة ليذهب إلى عمله ويبدأ فيه في ساعة محددة كذلك . ويمارس نشاطاً متشابهاً يوماً بعد يوم ، ولذلك فيفضل بالنسبة لها — أقصد بالنسبة للاجازات الطويلة — أن تمارس أثناءها نشاطاً ذا طبيعة مخالفة للنشاط العادي اليومي ، حتى نحقق الغرض الأساسي منها وهو القضاء على رتابة الحياة اليومية ، وأن يخطط لها الفرد مسبقاً لتحقيق هذا الغرض .. رحلة طويلة مثلاً يروح فيها الإنسان عن نفسه ويستمتع فيها بمعايشة أجواء جديدة ، ويعيش أثناءها حياة تختلف عن الحياة التي كان يعيشها كل يوم . فهو يستيقظ أثناء رحلته في مواعيد مختلفة ، ويمارس نشاطاً مختلفاً كذلك ، كأن يذهب لزيارة أماكن تاريخية مثلاً ، أو يزور بعض المتاحف ، أو يستمتع بقضاء وقت سار على البحر يمارس أثناءه

رياضة السباحة .. ويعود كل يوم خالى الذهن من مشكلات عمل اليوم والتفكير
فى مشكلات عمل الغد وهكذا .

من هذا يتبين لنا أن وقت الفراغ ليس هو الوقت الضائع من غير هدف
ومن غير نشاط يبذله الفرد ، وإنما هو الوقت الزائد عن وقت العمل ، والذي
يقضيه الفرد فى نشاط من نوع يحبه ويرغب فيه ، ويقبل عليه من تلقاء نفسه
بقصد الترويح عن النفس والاستمتاع بالحياة .

ولذلك يفضل الكثيرون تسميته بالوقت الحر بدل وقت الفراغ . على
أساس أن التسمية الأخيرة تعنى أنه غير مشغول بشيء على غير حقيقته . وإنما
استخدمت كلمة وقت الفراغ لشيوعها ولكثرة تداولها على ألسنة الشباب
ولمعرفتهم بالمقصود منها ، عكس كلمة الوقت الحر ، وإن كانت الأخيرة
أكثر دلالة على المعنى الذى تهدف إليه . ولأننى هنا أهتم أكثر بالعوامل
المؤثرة فى شغل هذا الوقت ، وتوجيه الشباب نحو استغلاله والاستفادة منه
بطريقة سليمة ، أكثر من اهتمامى بالتحديد الدقيق لمعنى الكلمة ، وإقحام
الشباب فى مناقشات من هذا النوع .

العوامل المؤثرة فى شغل أوقات الفراغ :

لا شك أن اختيارنا لأوجه النشاط التى نشغل بها وقت فراغنا تتحكم
فيه عوامل ويرجع إلى أسباب معينة ، ولا شك أن معرفتنا بهذه العوامل
والأسباب التى تختبئ وراء أوجه النشاط التى نختارها والتى يختارها أبناؤنا ،
تساعد على توجيههم نحو أنواع النشاط المفيدة والتى تحقق لهم سعادة أكبر .
وأحد هذه العوامل هو البيت ، وخاصة الأبوان اللذان يؤثران تأثيراً
كبيراً فى اتجاهات ابنهما وميوله . فالابن الذى ينشأ فى بيت يهتم فيه الأبوان

بالاطلاع ومناقشة أمور الحياة والتعليق عليها . يشب مثلها مولعاً بالاطلاع على حقائق الحياة . وينمو عنده بالتدريج الميل للأخذ بأسباب العلم والثقافة والابن الذى يعيش فى أسرة تهتم بالرياضة . ويأخذه أبوه معه إلى النادى ، مثلاً من يوم لآخر ، حيث يمارس وعلى مرأى منه رياضته المفضلة ، ويناقش أمامه تفاصيل اللعبة والأخطاء التى ارتكبها أو ارتكبها الخصم ، ويشركه بالتدريج معه فى المناقشة ، ويأخذ بيده مرة بعد أخرى نحو ممارسة اللعبة التى يتعشقها ، يشب مثله ميالاً إلى اللعبة التى عاش جوها وتعرف على دقائقها يوماً بيوم .

والأب الذى يميل إلى الرحلات الطويلة . وينظم حياته على أساس أن يخرج كل عام ، أو كل فترة من الزمن . لرحلة من هذه الرحلات . يزور أثناءها أحد بلدان العالم . ليتعرف عليها وعلى حياة أهلها وعلى معالمها الرئيسية وتاريخ مدنها ، ويأخذ أولاده معه عندما يصبح أولاده فى سن تسمح لهم بمشاركته رحلاته هذه . لا بد سيكتسب أولاده من خلال رحلاتهم معه الميل أيضاً لهذا النوع من النشاط المفيد ، وتمضية أوقات فراغهم — وخاصة أيام الاجازات الطويلة — من خلاله .

أما الأب الذى يعيش حياة جافة بعيدة عن ممارسة أية هواية مفيدة ، أو شغل وقت الفراغ بنوع من النشاط البناء المرغوب فيه ، والذى يقضى الأوقات الزائدة من يومه إما فى الاطلاع على الجرائد والمجلات أو فى النوم . أو ما أشبهه ، ولا يطيق أن يناقشه أبنائه فى شىء ، بل يطالبهم على الدوام بالتزام الهدوء ، واللعب بعيداً عنه ، وتركه وشأنه .

أو الذى ينهر أبنائه كلما وجد من أحدهم ميلاً للاهتمام بالرسم مثلاً أو

الموسيقى أو جمع طوابع البريد .. أو نحو ذلك من أوجه النشاط ، وتمضية وقت فراغه من خلال النشاط الذى يحبه . على أساس أن هذه الأوجه من النشاط مضيعة للوقت ، وأنها نشاط فارغ . وأن الأولى أن يهتم بواجباته المدرسية ، ثم يلتزم بعدها الراحة والسكون

... لا شك يقتل فى أبنائه كل ميل للاتجاه نحو هواية مناسبة أو التفكير فى شغل وقت فراغهم فيما يفيد . وسيضطر أبنائهم فى أول الأمر للانصياع لأوامره ، تنفيذ ما يطلبهم به من عدم الحركة والتزام الهدوء والسكون ، واللعب بعيداً عنه الخ ، طالما أنه قادر على تنفيذ ما يطلبه بالعقاب أو الإهانة أو حرمانهم من المصروف أو غير ذلك من الوسائل ، إن لم يلتزم أبنائهم بالطاعة ويحققوا له ما يريد . حتى إذا شب أبنائهم عن الطوق ، ووصلوا إلى سن الشباب ، سن الرغبة فى الحرية والاستقلال وتقدير الذات ، فسرعان ما يعلنون عصيانهم ، وسرعان ما يهجرون البيت الذى ضاقوا به وبقيوده وبأوامره .. إلى العالم الفسيح الذى يتمثل فى جماعات الأصدقاء ومجالات نشاطهم ، بعيداً عن عيني الأب وعيون الأهل ، وعن توجيهاتهم وإشرافهم وفى هذا ما فيه من خطر لو انحرفت هذه الجماعات إلى نشاط ضار يؤثر على سلوكهم وحياتهم بصفة عامة .

والمدرسة يمكن أن تقوم هى الأخرى ، بدور مشابه بالنسبة لتنمية ميول تلاميذها ، وتوجيه نشاطهم لشغل وقت الفراغ فيما يفيد .

فمدرس المطالعة مثلاً الذى يقدم لدروسه بقصص لطيفة ، أو يعرضها بطريقة سهلة شيقة ، أو مدرس النبات وفلاحة البساتين الذى يستصحب تلاميذه إلى الحديقة ليروا بأنفسهم النبات المعين أو مجموعة النباتات موضوع الدرس ، ويساعدهم على إنباتها والعناية بها وملاحظة نموها فى هذا الجو

الطبيعى ... أو غير ذلك من أوجه النشاط ذات الصيغة الانفعالية السارة ،
قد تساعد على نمو ميول التلاميذ نحو الموضوعات المتعلمة .

وفى الحقيقة ، فإن أغلب ميولنا لمواد الدراسة المختلفة تتكون عن هذا
الطريق . فإذا درس كل منا نفسه وحاول أن يحدد السبب فى حبه لبعض
المواد وكرهه للبعض الآخر ، لوجد أن السبب يرجع فى الغالب إلى الجو
الانفعالى الذى صاحب تعلمها ، والطريقة التى كان المدرس يعالج بها
المادة ويستخدمها مع التلميذ . فالأسلوب الجامد والقسوة والخوف والعقاب
لا يتولد عنها إلا الكراهية ... كراهية المدرس وكراهية المادة التى يدرسها
أما الأساليب المبنية على التشويق ، والصلة القائمة على التفاهم والمحبة والألفة
بين المدرس والتلميذ ، فمن شأنها أن تجعل التلميذ أكثر إقبالا على مدرسه
واستعداداً لتقبل دروسه ، وتجعله أكثر تشجعا على السؤال والفهم والمناقشة
وكلها عوامل تحبب التلميذ فى المادة أكثر وأكثر وتدفعه نحو تعلمها ...
وتكرار تعرض التلميذ لمواقف من هذا النوع هو الذى يساعد على تكوين
الميول وتقويتها ، بحيث تصبح آخر الأمر قوة لها أثرها تعمل على دفع التلميذ
فى مواقف التعلم نحو تحقيق الأهداف والغايات المعينة .

ولا يقتصر حب التلميذ وميله للمادة المعينة على ما يتصل بأمور الدراسة .
بل يمتد إلى وقت فراغه أيضاً . فيميل إلى شغل هذا الوقت بقراءات تتصل
بالمادة أو الموضوع الذى يميل إليه . فالذى يميل إلى التاريخ ، سيبحث بلا
ريب عن كتب ومصادر تاريخية يشغل بقراءتها وقت فراغه ، وسيميل إلى
زيارة المتاحف ... وإلى مناقشة الأبوين ومدرسيه فى كل ما يتصل بقراءاته
وزياراته .

والذى يميل إلى المواد والموضوعات العلمية ، لا شك أيضاً سيتجه إلى شغل أوقات فراغه بأمور تتصل بما يميل إليه ... عن طريق الاشتراك فى إحدى الجمعيات العلمية المدرسية مثلاً ، أو عن طريق إنشاء معمل صغير خاص به يجرى فيه تجاربه ، أو عن طريق صنع أجهزة علمية بسيطة أو دوائر كهربية أو جهاز للراديو ... أو نحو ذلك . وكلها أمور بناءة تشغل وقت الفراغ بنشاط ممتع مفيد .

عامل آخر له تأثيره فى إختيار الشاب لوجه النشاط الذى يشغل عن طريقه وقت فراغه هو إمكانيات الشاب نفسه وقدراته .

فمننا من يولد وقد وهبه الله سبحانه وتعالى تكويناً جسمى رائعاً يساعده على ممارسة أنواع من الرياضة والتفوق فيها . منا مثلاً من تساعده قوة عضلاته على ممارسة المصارعة أو رفع الأثقال . ومنا من تساعده قوة عضلاته واتساق حركاته على التفوق فى الألعاب السويدية أو فى التنس ... الخ .

ومنا من تكون موهبته لا فى تكوينه الجسمى ، وإنما فى تكوين عقله . فيتميز مثلاً بقدرة موسيقية عالية ، أو بقدرة فنية تتيح له إمكانيات رائعة فى مجال الرسم أو النحت ... أو غير ذلك من نواحي نشاط العقل المختلفة .

وليس معنى هذا الكلام أن هذه القدرات تظهر وتعمل هكذا بدون حوافز وتشجيع من البيئة ، بل الثابت أن هذه القدرات تظل كامنة عند الفرد فى صورة استعدادات فطرية ، إلى أن تهيب لها ظروف التدريب والمران والإثارة فرصة الظهور والعمل . وهذا هو السبب الذى يجعلنا عندما نتكلم عن المواهب والاستعدادات ، نتعرض باستمرار لدور الآباء والمدرسة فى الكشف عنها وإتاحة الفرصة لها للعمل ، عن طريق التعلم والتشجيع ، وعن

طريق تتبع خطوات ظهورها ونموها وإزالة العوائق من طريقها ، ومدها بما تحتاج إليه لكي تنشط وتؤدي دورها في حياة الفرد .

ففرق كبير بين شاب ذى إمكانيات عالية في مجال معين من مجالات النشاط العقلي ، في الموسيقى مثلاً أو الرسم أو مجال من مجالات النشاط العلمي يتيح له أبوه عن طريق تزويده بما يحتاج إليه من الأدوات التي يمارس عن طريقها النشاط في المجال الذي يتفوق فيه ، والكتب والإرشادات والتوجيهات ويساعده إذا احتاج إلى المساعدة ... فرق كبير بين هذا الشاب الذي يشجعه أبوه ويوالى تدعيم نشاطه ، وبين شاب آخر ذى إمكانيات عالية أيضاً لا يشجعه أبوه ولا يهتم بأمره ، ويترك موهبته لتدفن حية من غير أن تتاح لها فرصة للظهور أو النمو .

وفرق كبير أيضاً بين مدرسة توجه كل اهتماماتها لمواد التعليم الرسمية وتلقين تلاميذها هذه المواد بطريقة جافة تجعل التلاميذ يتقبلونها على علاتها ، ويتعلمونها بقصد النجاح فيها فحسب ... وبين مدرسة أخرى تعمل باستمرار على كشف الاستعدادات العقلية المختلفة عند تلاميذها ، وتعمل على ظهور مواهبهم كل فيما يتميز فيه . وتوالى عن طريق التشجيع والحوافز المختلفة التي تقدمها ، وعن طريق طرق التدريس المناسبة والوسائل التعليمية التي تستخدمها ، على استثارة هذه المواهب والاستعدادات وقدها ، لتبرز وتعمل ، وتصل بها إلى أقصى ما يستطيعه كل تلميذ .

عن مثل هذا الطريق تظهر المواهب وتنمو ، وفي اتجاهه يجب أن تسير تربيتنا لأبنائنا ، بمحاولتهم بالتشجيع والتوجيه نحو اختيار أوجه النشاط المناسبة

التي تساعدهم إمكانياتهم واستعداداتهم على النجاح فيها . وبالعمل على نمو هذه الإمكانيات والاستعدادات وصقلها ، عن طريق مناهج التعليم الأصلية ، أو عن طريق الجمعيات العلمية والفنية وغير ذلك من مجالات النشاط المدرسي التي تهتم بهذه النواحي ، أو عن طريق الأداء الفردي والاهتمامات الخاصة لتنمية هذه الإمكانيات والاستعدادات في المنزل أو غير ذلك من المجالات .

وحياة الشاب نفسها وطبيعة عمله — ان كان يعمل — لها دور كبير أيضاً في توجيه اختياره نحو نوع النشاط الذي يستغرق وقت فراغه ..

فالتبيب مثلاً أو الكيميائي ، الذي يقضى أغلب وقت عمله في مجهود ذهني متصل واستغراق عقلي كامل في العمل الذي يؤديه . في الجراحات التي يجريها مثلاً أو في الكشف عن طبيعة ومسببات الأمراض التي يعاني منها مرضاه (بالنسبة للطبيب) ، أو في التحليلات الكيميائية التي يقوم بها الكيميائي ... أو نحو ذلك . الشاب العامل في مثل هذه الميادين من النشاط العلمي في حاجة لأن يقضى وقت فراغه منطلقاً من قيود العمل الفكري . فيناسبه مثلاً أن يمارس هواية فلاحية البساتين ، أو تربية نباتات الزينة أو تربية أنواع من الطيور .. الخ ، يقضى بينها ومن خلال ساعات اهتمامه بهوايته ، أوقاتاً ممتعة منطلقاً بعيداً عن كد الذهن وشغل العقل بأمور علمية دقيقة .

أما العامل أو المهندس الذي يقضى وقته متنقلاً من مكان إلى مكان بين الآلات يراقبها أو يصلحها ، أو المزارع الذي يقضى وقته في حركة مستمرة تحت وهج الشمس وتقلبات الجو ، أو التاجر الذي يظل مشغولاً طول النهار بأمور تجارته وتصريفها .. فلا يناسبه ، أن يكمل بقية اليوم في عمل عضلي آخر

بفلاحة البساتين مثلاً أو ما أشبهه ، وإنما قد يجد راحته في القراءة مثلاً أو مشاهدة التلفزيون .. أو نحو ذلك .

وما ينطبق على الشاب العامل في الأمثلة السابقة ، ينطبق أيضاً على الشاب الذي لم يعمل بعد . التلميذ مثلاً الذي يظل طيلة العام الدراسي يعمل كآلة ، يصحو في مواعيد ، ويذهب إلى المدرسة ويأخذ دروسه في مواعيد لا تتقدم ولا تتأخر ، يعود بعدها إلى المنزل ليعمل عدداً معيناً من الساعات في المذاكرة... وهكذا حتى يأتي وقت الامتحان .

هذه الدوامية من العمل المتواصل على نمط واحد تجعله ينحرف من حيث لا يدري إلى الآلية التي تقتل فيه كل حماس ، والتي تطيع حياته بطابع ممل رتيب ينعكس في نظرته إليها ، كما ينعكس في صحته الجسمية والنفسية معاً ، وتتيح له أوقات الفراغ — وخاصة في الاجازات الطويلة — فرصة لتغيير هذه العادات الآلية ، والبعد عن هذا النمط المألوف من الحياة اليومية . عندما تتغير طبيعة نشاطه وعاداته .. وتتجه إلى أنواع جديدة كالرياضة أو ممارسة هواية من الهوايات كصيد السمك أو الرسم أو أعمال النجارة أو التصوير أو التمثيل .. أو غير ذلك من أوجه النشاط .. يبعد بها عن أعماله اليومية التقليدية ويحصل من خلالها على متعة وسعادة حقيقتين ، فضلاً عن إشباعها للكثير من حاجاته الجسمية والانفعالية والعقلية .

فسلامة تكوين أجسامنا مثلاً تتوقف على ما نمارسه من تمارين رياضية ومشاركة في بعض ألعابها . وهذا لا ييسر للتلميذ بشكل منتظم وكاف أثناء العام الدراسي ، بل إن طبيعة العمل أثناء الدراسة تفرض عليه الانكباب على

المكاتب أثناء العمل بالفصول أو أثناء المذاكرة في البيوت ، مما يجعل الأجسام أميل إلى التصلب ، وأحوج من ثم إلى الانطلاق عن طريق مزاولة لعبة أو ممارسة رياضة تخرجها من حالة الجمود ، وتبعدها عن هذه الأوضاع المتصلبة التي تعودت عليها لتعود إلى طبيعتها المرنة المتسقة . وفي الوقت نفسه تتيح فرصة لأعصابه المكدودة المشدودة لأن تهدأ وتستريح . وهذه حاجات لا بد منها لسلامة بناء الجسم وتكوينه العضلي وصحته كذلك . وليس هناك أفضل — كما ذكرت — من أوقات الفراغ الطويلة ، يمكن أن نحقق فيها هذه الحاجات ، ونعيد عن طريقها لأجسامنا ما هي في حاجة إليه من الانطلاق وحرية الحركة والمرونة والاتساق .

وفضلاً عن ذلك ، فإن أغلب النشاط المدرسي الذي يمارسه أبناؤنا طول العام ، من النوع الذي يعتمد على القراءة والكتابة والحفظ . ونادراً ما يمتد هذا النشاط ليشمل الجانب العملي اللهم إلا عند إجراء بعض التجارب المحدودة في دروس العلوم .. أو ما أشبهه . وأبناؤنا في حاجة إلى التدريب على هذه النواحي العملية ، وإلى لاكتساب عدد من المهارات . وتتيح أوقات الفراغ الطويلة بالمثل فرصة كبيرة لاكتساب هذه الخبرات العملية والمهارات . كالأهتمام بأعمال النجارة وعمل نماذج بسيطة عن طريقها ، أو إصلاح بعض أدوات المنزل أو قطع الأثاث .. أو طلاؤها . أو مثل القيام ببعض الأعمال الميكانيكية أو توصيل بعض الدوائر الكهربائية .. أو ما أشبهه .

ويهمني أن أذكر بهذا الصدد ، أن الأدوات التي تساعد أبناؤنا على ممارسة هذه الأنواع من النشاط العملي ، ولاكتساب عدد من المهارات عن طريقها ، متوافرة . ويحسن بالآباء أن يوجهوا أبنائهم إليها ، ويشجعوهم على التدريب عليها وممارستها .

وهكذا يمكن أن ننظر إلى وقت الفراغ .. من هذه الزاوية — على أنه يكمل في حياة الفرد ما ينقصه في حياته العامة وحياته العملية (أو المدرسية) بصفة خاصة . حتى تتوازن الكفتان وحتى تستقر بالفرد الحياة .

ناحية أخرى جديدة بالأهتمام . هي أننا كثيراً ما ننظر إلى أوقات الفراغ على أنها أوقات راحة واستجمام . بمعنى أن لا نعمل أى شئ فيها . وإذا كان هذا الكلام صحيحاً بالنسبة لفترات الراحة التي نحتاجها بين ساعات العمل . فالجسم في حاجة حقاً ، والعقل كذلك ، للراحة بين ساعات العمل المتتالية . التلميذ مثلاً يحتاج بين ساعات مذاكرته إلى وقفات يستريح أثناءها ويتيح لجسمه المكثود ولعقله المتعب فرصة للراحة والاستجمام . والطبيب يحتاج بين كل جراحة والتي تليها ، أو بعد عدد من الجراحات التي يجريها ، إلى فسحة من الوقت يسترد فيها أنفاسه ويستريح فيها تماماً بعيداً عن أى مشاغل تستحوذ على ذهنه أو ترهق بدنه . إلا أن هذا الكلام ليس صحيحاً على طول الخط وفي جميع الأحوال . فهذه الأوقات التي نستريح فيها ليست أوقات فراغ ، وإنما هي جزء من وقت العمل . فأوقات الفراغ هي التي نشغلها بما يفيد . ولا تحقق الغرض منها ، بل وقد تكون ضارة ، إذا لم تهدف لشئ أو تشبع حاجة . أضرب مثلاً لذلك بالتلميذ الذي يظل يحلم طوال العام ، وهو في دوامة دراسته اليومية ومذاكرته واستعداده للامتحان بأيام الأجازة الصيفية وكيف سيستريح فيها من كل عمل . ولكن متى جاءت الأجازة ، وأصبح الحلم حقيقة ، فإنه يفرح بها حقاً أول الأمر ، فقد ترك وراءه عمله اليومي الرتيب ، وترك وراءه ساعات يقظته المبكرة وإسراعه في الإفطار وفي الخروج ليلاحق بمواعيد دراسته ... ترك وراءه مواعيد الحضور والانصراف وسماع صوت الأجراس . يفرح به

لأنه يخلصه من دوامة العمل هذه التي كان يعيشها ومن ساعات الدراسة والمذاكرة التي كان يجبر عليها . ولكن بمضى أيام الأجازة يوماً بعد آخر . يبدأ في دوامة أخرى من الملل . فأيام الدراسة كانت تشغله ، أما أيام الأجازة فليس فيها ما يشغله . هذا إذا لم يتنبه إليها ويخطط لها التخطيط السليم ، ويشغلها بما يفيد .

إننا حقاً في حاجة إلى الراحة وإلى الترويح عن النفس وتغيير عاداتنا اليومية خلال عطلة الصيف . ولكن ليس معنى الراحة والترويح عن النفس وتغيير عاداتنا أن نخلد إلى السكون التام وأن نبقى في البيت على الدوام . قد يظن التلميذ أن قضاء أيام إجازته بهذا الشكل الأخير هو المتعة الكاملة ، وأنه هو الترويح الحقيقي عن النفس بعد تعب العام الدراسي . ولكن هذا الظن لا يمثل الحقيقة الكاملة ، بل بعض الحقيقة . وهو رد فعل لأيام التعب والجهد أثناء العام الدراسي ، وخاصة خلال الأيام الأخيرة منه — أيام الاستعداد للامتحان — التي كان يفرح فيها ببعض دقائق الراحة يقضيها بين ساعات المذاكرة المتلاحقة . ولذلك فأحلامه كانت تنصب في هذه الأيام على اللحظة التي يفرغ فيها من الامتحان ، ويطرح فيها الكتب وراء ظهره ، ويخلد فيها إلى الراحة والحمول والكسل التام .

ولكن رد الفعل هذا لن يلبث أن يقل أثره بالتدريج ، ولن يلبث بعد مدة من أيام الكسل والنوم والراحة ، أن يمل هذا الكسل ويكره هذه الراحة . قد يعترض التلميذ على كلامي هذا وهو في أيام كسله الأولى ، ولكن الحقيقة ستظهر فيما بعد ، بعد أن تمتد به الأجازة وهو يعيشها بهذا الشكل . . ستظهر في صورة ثورات الغضب التي تنتابه لأقل شيء يضايقه ، وفي معاكساته

لإخوته ، وشكواه من أبويه ، وعدم رضاه عن الطعام الذى يقدم إليه .. ستظهر من خلال المناقشات التى تدور بينه وبين إخوته وأهله والتى تعبر عن ملله وضيقه وشكواه من أيام الحمول والنوم داخل جدران البيت . وأمهاتنا أكثر إدراكاً لهذه الحقيقة ، ولذلك فهن يحسبن ألف حساب لأيام الأجازات ، ويكرهن أن يستمرىء الإبن القعود فى البيت ، ويتوقعن المشاكل باستمرار من الإبن الذى يفضل أن يقضى أجازته بهذا الشكل .

التخطيط لشغل أوقات الفراغ :

إن شغل أوقات الفراغ ليس بالأمر الهين بالنسبة لحياتنا . فأوقات فراغنا تشغل جزءاً كبيراً من هذه الحياة . والذين يفكرون منا فى حدود عملهم أو دراستهم فحسب ، ويجرفهم تيار العمل أو الدراسة ، وتتعاقب عليهم الأيام بدون وجود ما يرفه عنهم ، وبدون ارتياد نشاط خاص أو هواية تروح عن نفوسهم وتستحوذ على بعض اهتماماتهم .. تستهلكهم الأيام بسرعة ، ويفسقون فى النهاية بحياتهم .. حياة العمل فحسب .. العمل الرتيب الممل الذى يقتل فيهم كل حماس أو إحساس آخر بالحياة .

ولكن هذه الأوقات التى يمكن أن نستمتع من خلالها ونستفيد من ورأها أشياء كثيرة ، تذهب سدى وتضيع من غير فائدة إذا لم يسبقها تخطيط سليم . فالحادث أنك إذا سألت أغلب أبنائنا بعد إنتهاء العطلة الأسبوعية أو العطلة الصيفية ، ماذا فعلت خلال هذه العطلة .. فلن تخرج إلا بإجابات متشابهة ، هى أنهم قضوها فى الزيارات وفى مصاحبة الأصدقاء للمشى مجرد المشى أحياناً ، أو مجرد الكلام أحياناً أخرى ، أو نحو ذلك من أوجه النشاط الغير هادفة والغير مثمرة والتى لا تحقق نتيجة ، أو حتى تساعد على الترويح عن النفس والانطلاق

بها من قيود العادات المألوفة . فالزيارات .. مجرد الزيارات ، أو الكلام مع الأصدقاء ، قد يستمتع بها الفرد في الأيام الأولى من الإجازات الطويلة ، وإذا لم تتكرر في حياته كثيراً ، لأنه يكون متشوقاً إليها . ولكنها متى تحققت مرة بعد مرة ، فالنتيجة الحتمية أن يملها الفرد ، ويبحث عن جديد يبعد عن ملله . وما لم يكن هذا الجديد من النوع الذى يستغرقه ويشبع فيه حاجات حقيقية يريد بها ، وما لم يكن من النوع الذى يعطيه إهتمامه ويشغل باله ويسد نواحي أساسية في حياته .. فلن يحقق من ورائه نتيجة أكثر من النتيجة التى تحققها الزيارات أو الكلام العابث الغير مجدى والغير مفيد .

ولذلك فإن ما قد يتبادر إلى الذهن من أسئلة حول أوقات الفراغ يجب أن تنتهج إلى تحديد هذه الأوقات ، وكيفية شغلها .. وأفضل الوسائل التى تحقق هذه الغاية ، والنتائج التى نخرج بها منها .. إلى غير ذلك من الأسئلة الموجهة التى تحدد الطريق نحو تخطيط سليم لشغل هذه الأوقات ،

وأول هذه الأمور التى يجب أن نضعها فى اعتبارنا ونحن نخطط لشغل أوقات فراغنا ، هى طبيعة الوقت نفسه الذى نخطط له . فما قد يفيد بالنسبة للوقت الفائض عن العمل اليومي ، غير الذى يفيد وقت الفراغ يوم العطلة الأسبوعية ، ويختلف بالطبع عن ذلك الذى يصلح للإجازات الطويلة الممدودة .

نقطة أخرى هى أن اختيارنا لما يشغل وقت فراغنا يجب أن يتفق ويناسب استعداداتنا وإمكاناتنا وميولنا الخاصة . ولذلك يصبح علينا قبل أن نختار نوعاً معيناً من النشاط نشغل به وقت فراغنا أن نختبر أنفسنا أولاً وندرس قدراتنا وإمكاناتنا الجسمية والعقلية والشخصية المختلفة . فلا نسرع بإختيار أى هواية أو أى نوع من النشاط نسد به وقت فراغنا . بل ويجب أن نسأل أنفسنا عما

ستحققه لنا هذه الهواية أو هذا النشاط من شعور بالارتياح والنجاح وما سنجنيه من ورائها . وإذا تعذر علينا الحصول على هذه النتيجة من خلال هواية ما ، أو من خلال ممارستنا لبعض أوجه النشاط ، فيجب أن نتحول عنها إلى هواية أخرى أو إلى مصدر آخر . فمشغل أوقات الفراغ ليس واجباً مدرسياً نحن مضطرون للقيام به رضينا أم لا نرضى ، وليس عملاً مهنيّاً نحن مجبرون للقيام به لسد حاجات معيشتنا أو حاجات الأهل ، بل هو نشاط نختاره بأنفسنا ليحقق لنا بعض الراحة وبعض السعادة وبعض الفائدة .

ويجب ونحن أن ندرس بيننا وبين أنفسنا هذه الأمور ونحاول أن نختار نوع النشاط الذى نحبه ، ألا نتسرع ونخضع لتأثيرات الغير ونقلدهم . فمبولنا ليست واحدة وما يناسب غيرنا ليس بالضرورة أن يكون ما نرغب فيه نحن . ويفيد أن نستعرض أنواع الهوايات الممكنة وأنواع النشاط التى يمكن أن نمارسها حسب أوقات فراغنا ، وأن نحدد من بينها ما يصلح لنا وحدنا ، أو ما يصلح لنا مع غيرنا من الأصدقاء والزملاء . ويفيد أيضاً أن نشرك الغير — وخاصة الكبار الذين يفهمون هذه الأمور والذين مارسوا هذه الأوجه من النشاط وعاشوا هذه الأنواع من الخبرات — فى دراستنا لها . ولكن النتيجة الأخيرة والاختيار النهائى لابد وأن يصدر عنا نحن أنفسنا ، ويجب أن نرتاح إليه .

وظروفنا الاقتصادية والاجتماعية بدورها ، يجب أن تؤخذ فى الاعتبار ونحن نخطط لشغل أوقات فراغنا

فقد تكون الهواية التى يختارها الشاب مثلاً ، أو نوع النشاط الذى يفضلها من النوع الذى لا تمكنه ظروفه المادية من تحقيقه ، أو قد يكون من النوع الذى لا يرضى به الأهل .. وكلها أمور يجب أن ننتبه إليها . قد يفكر الشاب مثلاً

في القيام برحلة بعيدة أثناء العطلة الصيفية . وقد تكون للرحلة فوائد كثيرة تعود على الشاب وقد يكون في حاجة إليها حقاً . ولكن قد يقف ضدها صغر سنه وخوف الأبوين عليه . وعدم اطمئنانها إلى أنه وحده قادر على القيام بها . أو قد يريان أرجاءها إلى وقت آخر يتمكنان من مشاركته فيها . أو قد تحتاج الرحلة إلى نفقات ليس في مقدور الأسرة أن تتحملها أو غير ذلك من الأسباب التي يجب أن يقدرها الشاب ويضعها في اعتباره وهو يخطط لنشاطه .

والتخطيط السليم أيضاً هو الذي لا يبدد من الوقت أكثر مما ينبغي ، والذي نحصل منه على أكبر فائدة ممكنة ، أو نحصل منه على فائدة تعادل الجهد والنفقات التي تبذل لتحقيقه ، والذي يضمن لنا مصدراً للراحة والمتعة أطول وقت ممكن .

فنحن عندما نختار هواية مثلاً مثل التصوير أو صيد السمك لنشغل عن طريقها وقت فراغنا ، غيرنا عندما نختار رحلة خاطفة أو نزهة سريعة ثم نعود منها . فالتصوير أو صيد السمك سيشغل جزءاً كبيراً من وقت فراغنا ، ويملاً هذا الوقت بشيء نرتاح إليه ونحبه ونستمتع به . عندما نتابع هواية التصوير مثلاً ، بإختيار الأماكن المناسبة التي نصورها ، ونخطط للذهاب إلى هذه الأماكن في الأوقات المناسبة وعندما نجتمع الصور في النهاية وننظمها ونعرضها في مجموعات تمثل كل منها إحدى المناسبات ، أو نحتفظ بها في ألبومات خاصة . ففي خلال هذا الوقت الطويل الذي يمتد يوماً بعد يوم نمضي ساعات طيبة في عمل نحبه ونميل إليه ، ونتعلم من ورائه أيضاً الشيء الكثير عن الأشياء التي نصورها . ونحن من خلال هذا كله نحقق لأنفسنا قدراً من المتعة والسرور والزهو لا يقل عن سرورنا وزهونا عندما نحقق نجاحاً في الدراسة أو في العمل . والفرق بين ما نحصل عليه من خلال الدراسة مثلاً وما نحصل عليه نتيجة .

ممارستنا لإحدى الهوايات ، هو أننا نعتبر الدراسة عملاً وواجباً لا بد منه ، أما الهواية فتسلية نقبل عليها من تلقاء أنفسنا . ولكن النتيجة التي نحققها من كل منها واحدة . فلا نجاح في الدراسة بدون تخطيط وبدون إهتمام وبدون نشاط نمارسه ونصل نتیجته إلى النجاح الذي نريده ، ولا نجاح في الهواية بالمثل دون إهتمام ودون تخطيط ودون نشاط نمارسه أيضاً ونصل نتیجته أيضاً إلى تحقيق الأغراض التي نريدها . وإن كانت تأديتنا للأعمال المدرسية تتم في أغلب الأحوال بحكم الضرورة . أما الهواية ، وإن كانت تحقق لنا فوائد مماثلة ، ونجني من ورائها ثماراً لا تقل عنها أهمية ، فنحن نحجبها ونسعد بالوقت الذي نمضيه فيها .

مجالات شغل أوقات الفراغ :

أين يقضى المراهقون والشباب أوقات فراغهم ؟ هذا السؤال يمثل مشكلة حقيقية في حياة الشباب ، لأن أغلبهم لا يعرف طريقه للإجابة عليه . ولأنهم كثيراً ما يقعون في مشاكل وخلافات مع الآباء بسببه .

فأغلب المراهقين يميلون إلى قضاء أوقات فراغهم خارج المنزل مع مجموعة من زملائهم . وهو أمر لا يرتاح إليه الآباء في العادة ، بل يفضلون أن يقضى أبنائهم هذه الأوقات داخل المنزل تحت إشرافهم المباشر .

وأحب أن أعود وأنبه — فيما يختص برغبة المراهقين هذه في الخروج ومرافقة أصدقائهم الذين من نفس سنهم — أنها إحدى خصائص فترة المراهقة التي تتميز بالرغبة في الاستقلال وتكوين العلاقات الخاصة والاشترك في أوجه النشاط الاجتماعي التي يشاركون فيها زملاء من نفس سنهم ، ولهم نفس ميولهم واهتماماتهم .

قد يعتقد الآباء نتيجة لذلك أن حب أبنائهم لهم قد فتر وأن علاقتهم بالأسرة قد ضعفت . ولكن هذه ليست هى الحقيقة . فالأسباب التى تدعو الشباب إلى الخروج من المنزل والبحث عن جماعة من نفس سنهم ، هى نفسها الأسباب التى تجعل الكبار يفضلون قضاء أوقات فراغهم مع من هم فى مثل سنهم .. وهى وجود الميول المشتركة والشعور بالمشكلات الواحدة ، تلك الميول والمشكلات التى يعتقد المراهقون أن الكبار لا يحسنون تقديرها أو فهمها ، تماماً كما يعتقد الكبار أن المراهقين لا يقدرّون أو يفهمون مشكلاتهم الخاصة . فضلاً عن رغبة الشباب فى حرية الكلام وتناول موضوعات قد ينجّلون من مناقشتها وتداولها أمام الكبار .

وهم يعلمون - أعنى المراهقين - أن أصدقاءهم لا ينتقدونهم فيما يفعلونه كما ينتقدهم الكبار ، ولا يشعرون أمام أصدقاءهم بالحرج فيما يأتونه من دعابات بريئة أو حركات لا يستطيعون الإتيان بمثلها أمام الكبار .

والخلاصة .. أن المراهقين يشعرون بأنهم يحصلون على فهم وتقدير حقيقيين أكبر من الفهم والتقدير اللذين يحصلان عليهما داخل المنزل ، وأنهم يحظون خارج المنزل بحرية الحركة والمناقشة وتداول الموضوعات الخاصة أكثر منه داخله . وغالباً ما يكونون على حق فى شعورهم هذا .

والاشتراك فى مجموعة من نفس السن أمر طبيعى . وعلى الرغم من أنه يضع أمام الآباء عدداً من المشكلات ، إلا أن هذه المشكلات أقل أهمية مما ينظر إليها عادة ، إذا أدركنا أهمية هذه العلاقات الاجتماعية بالنسبة للشباب . فمن المحتمل أن يتعرض المراهق الذى يقضى أغلب وقته فى عزلة وعلى إنفراد ، أو الذى يفضل مجالسة أفراد أكبر منه فى السن ، أو أقل منه فى السن ، لمشكلات

أكثر خطورة . أما المراهق الذى يصادق عدداً من أنداده ، ويشاركهم نشاطهم الاجتماعى ، فعلى الرغم من أنه لا يجد إلا وقتاً قصيراً يقضيه مع الأيوين ومع الأسرة ، إلا أنه على العكس يكتسب خبرة قيمة فيما يتصل بأساليب التعامل مع الآخرين ، وتنمية الصداقات المفيدة .. وغير ذلك من العلاقات الاجتماعية التى تساعده على أن يخطو خطوة كبيرة نحو النضج الكامل .

والمشكلة على وجه العموم ليست مشكلة إنضمام الشباب بعضهم إلى بعض وتكوينهم مجموعات (أو شلل) خارج المنزل .. وإنما المشكلة هى أين تقضى هذه المجموعات أوقاتها .. وكيف تتصرف ؟ وهو السؤال الذى طرحناه فى بداية الحديث عن هذا الموضوع .

الملاحظ أن الأماكن المفضلة عند أغلب شبابنا هى المقهى ، والمشى فى الشارع ، والوقوف على نواصى الشوارع وفى الميادين . وفى أوقات متقطعة متباعدة قد يذهبون إلى شاطئ البحر فى أيام الصيف ، أو قد يترددون على دور السينما أو يذهبون لمشاهدة مباراة رياضية وخاصة كرة القدم .. أو ما أشبهه وفى الحقيقة لا يمكن أن نسمى الجلوس فى المقهى أو المشى فى الشارع أو الوقوف فى الميادين أو نحو ذلك شغلاً لوقت فراغ . بل الحقيقة هى أن الوقت الذى يقضيه الشاب فيها .. فى المقهى أو الشارع أو غيرهما هو نفسه فراغ يحتاج لما يملؤه . يملؤه المراهقون فى العادة بالكلام والتعليقات والمناقشات الغير موجهة والغير مفيدة ، وإنما القصد منها هو مجرد ترقية الوقت . وقد يمل الشاب آخر الأمر هذه الصورة التى تتكرر كل يوم فيبحث عن جديد يذهب عنه ملله . وهنا قد تظهر صور أخرى أكثر خطورة .. كالمشاكسة والاعتداء على الغير ،

أو الاتجاه إلى الخمر أو إلى المخدرات.. أو نحوها وكلها اتجاهات تنذر بإنحرافات خطيرة في سلوك الشاب .

والآن ما هو الحل ؟ هل نترك المراهقين يقضون وقتهم هكذا فيما لا يفيد ، وفيما قد يعود عليهم بالضرر . أم هل نتدخل في الأمر ، ونمنعهم من الخروج ومن الاندماج مع زملائهم . كلا الأمرين ضار ولا يأتي بنتيجة . والطريق السليم وسط بينهما . فبعض الإشراف من جانب الكبار مرغوب فيه بل وضروري ، لكي يكونوا على بصيرة بالمدى الذي ذهب إليه أبناؤهم من الشباب . وحتى يأخذوا بزمام الموقف في الوقت المناسب ، إذا بدأت لهم بادرة من بوادر الانحراف في سلوك المراهق . وحتى لا يتطور الموقف ويتأزم ويصل إلى الدرجة التي يصعب بعدها تقويمهم والرجوع بهم إلى جادة الصواب . ولكن يجب من ناحية أخرى ، أن يفهموا الشباب ، وأن يقدرُوا رغبتهم في الشعور بالحرية والاستقلال ، وأن يكون إشرافهم لذلك من بعيد وبالقدر المعقول .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يجب أن توفر للمراهقين فرص الترفيه السليم ومجالات لشغل وقت الفراغ لا تخضع لإشراف الكبار المباشر ، بل تسمح للمراهقين بقدر من الحرية التي يفضلونها ، مثل أندية الشباب الخاصة والأندية الرياضية والثقافية والجمعيات الفنية والأدبية .. الخ ، حتى يستطيع الشباب أن يتصرفوا بحرية ، وحتى يكتسبوا في الوقت نفسه بعض أساليب التعامل الاجتماعي السليم .

ولكن ما هي أنواع النشاط التي يمكن أن يمارسها الشباب من خلال هذه المجالات ، وخلال أوقات فراغهم بصفة عامة . هناك في الواقع أنواع كثيرة نذكر منها :

١ - القراءة :

وهي أكثر أنواع النشاط إستخداماً من الشباب . يقبل عليها الجميع لسهولة الطريق إليها ، ولأن كل واحد يجد ما يحبه ويميل إليه . فضلاً عن أنها لا تكلف الشاب إلا القليل ، وتستقطع من وقته ما يمكن أن يعطيه لها . فهو يستطيع أن يقرأ بعض الوقت ، ويرجىء بقية الكتاب أو الرواية أو المحلّة إلى وقت آخر .

والملاحظ بصفة عامة أن الشباب يقبل على مادة القراءة السهلة التي لا تحتاج إلى مجهود ذهني والتي يستطيع فهمها وحده دون معونة الآخرين ، اللهم إلا بالنسبة للقراء الذين يهتمون بمجالات علمية محددة تتصل بهواية خاصة أو رغبة معينة ، كأن يهتم الشباب مثلاً بقراءة كتب اللاسلكي لأن اهتماماته تتجه إلى عمل جهاز راديو مثلاً أو معرفة طرق الاتصال اللاسلكي أو ما أشبهه . أو بالكتب التي تبحث في تربية الدواجن أو الزهور ليتعرف على أنواعها وعلى الفروق بينها .. ليختار نوعاً منها يقوم بتربيته والعناية به .. أو نحو ذلك .

وربما كان إقبال الشباب على الكتب السهلة والقصص والمجلات الخفيفة يرجع إلى أنه ينظر إلى مادة القراءة التي يشغل بها وقت فراغه على أنها مادة للترويح عن النفس ، وليس لأي غرض نفعي آخر . ولذلك فهو يفرق بينها وبين قراءة مواد الدراسة . إذ يعتبر الأخيرة عملاً بينما يعتبر القراءة أثناء وقت الفراغ مجرد شغل لهذا الوقت ، كما يشغله بالحديث العابر أو الاستماع لأغنية . أو نحو ذلك ، لا هدف من ورائه إلا مجرد تضيئة الوقت والشعور بالراحة وخلقو البال .

ولكن دعنا نتساءل ما الفرق بين القراءة فى وقت الفراغ والقراءة للمذاكرة مثلاً . إن الفرق يكمن فى أن المادة التى يقرأها التلميذ أثناء المذاكرة يجب أن يتعلمها لكى يجتاز الامتحان . أما القراءة أثناء وقت الفراغ فإنه يختار مادتها بنفسه وحسب ميله الخاص ، ولا ينظر إلى النتائج التى يخرج بها منها كفوائد تعود عليه . وإنما يكتفى بالساعات الحلوة التى تمر وهو يستمتع بقراءته . وفى الحقيقة إن ما يقرأه الإنسان حسب ميله الخاص ، والمادة التى يختارها بنفسه ربما تكون أدعى للفائدة وأدعى لأن تبقى معه . فكلنا يعرف أن المادة التى تفرض علينا فرضاً والتى نجبر على تعلمها ، يكون تعلمنا لها وحفظنا إياها .. حفظاً مؤقتاً ينتهى بإنتهاء الغرض منها .. الغرض الذى يتمثل فى هذه الأحوال فى حفظها حتى وقت الامتحان . ولذلك فنحن ننسى عادة أكثر ما تعلمناه طول العام بعد الامتحان . أما مادة القراءة التى نقبل عليها بشغف ونختارها بأنفسنا فلا تضيق بمثل هذه السهولة .. ولذلك فهى أدعى أن تكون ذات فائدة .. اللهم إلا إذا كانت مجرد روايات عابثة لا تهدف إلى شىء .

٢ - النشاط الإبداعي :

من الشباب من يتميز فى ناحية أو أخرى من نواحي النشاط الإبداعي ، منهم الموهوب مثلاً فى النواحي العلمية ، الذى تمكنه استعداداته العالية للتفوق فيها والذى يحب أن يستغل موهبته هذه فى عمل أجهزة علمية أو إجراء تجارب من نوع معين ، فتشجيعه والحالة هذه على ممارسة أوجه النشاط التى تتلاءم مع استعداداته ، واستغلال هذه الإمكانيات المتفوقة فى شغل أوقات فراغه فيما يعود عليه بالنفع ويتيح لهذه الاستعدادات الفرصة لأن تتفتح وتعمل وتستمر فى نموها حتى تؤتى ثمارها المرجوة .. أمر ضرورى ، ليس بالنسبة لشغل أوقات

الفراغ فحسب ، بل وبالنسبة لمستقبله كذلك . ومنهم الموهوب في الموسيقى أو كتابة الشعر أو كتابة القصة أو غير ذلك من مجالات النشاط الإبداعي .

وفي الحقيقة لا تعطى البرامج المدرسية هذه النواحي في العادة أهمية خاصة . وتقتصر اهتمامها على موضوعات الدراسة الأكاديمية التي يعالجها الطالب بقصد الامتحان فيها ، وليس بقصد إبراز إمكانياته الذاتية ونواحي تفوقه في ميدان خاص . ولاشك أن هذه المجالات تحتاج إلى رعاية خاصة من المدرسين عندما يكتشفون أن أحد تلاميذهم يبرز فيها بشكل غير عادي ، وإلى حكمة التصرف حتى يقبل عليهم الموهوبون وحتى يتشجعوا في عرض إنتاجهم عليهم ، وإلى الأخذ بأيديهم والترفق بهم والسير بهم خطوة خطوة ، وعدم توقع الكمال منهم منذ بداية الطريق .. بل يكون حكمهم على أعمال تلاميذهم الموهوبين واقعياً وعلى ضوء مستوى تعليمهم ونوع التدريب الذي تلقوه ودرجة نضجهم بالمقارنة بمستويات الآخرين الذين في مثل ظروفهم ومستواهم التعليمي .

ولاشك أيضاً أن إبراز إمكانيات الموهوبين في حاجة أيضاً لإتاحة الفرصة لها عن طريق توفير الجو الملائم لاستغلالها وتوجيهها التوجيه السليم .

وخير وسيلة لذلك هي الاستفادة من أوقات فراغهم بعد اليوم المدرسي أو أثناء الاجازات ، والاهتمام بتكوين الجمعيات التي يمكن أن ينضم إليها الموهوبون في المجالات المختلفة .. كالجمعيات العلمية والأدبية أو جماعة القصة أو نوادي اللغات ... الخ ، والتي تنظم الأوقات المناسبة لممارسة نشاط أعضائها وتمدهم بما هم في حاجة إليه من مواد وإمكانيات ، وما هم في حاجة إليه أيضاً من مساعدة وتوجيه .

وللمنزل أيضاً دوره الرئيسي في الاهتمام بالنشاط الإبداعي للموهوبين

وهى ناحية سبق أن تعرضنا لها ويهمننا هنا أن نعود إليها من جديد لتأكيد الدور الذى يمكن أن يقوم به لصالح الموهوبين .

فالمنزل يمثل البيئة الأساسية التى يعيش فيها الطفل قبل أن يدخل المدرسة ، ويطبع شخصيته فى مجموعها بطابع معين يلزم الطفل بقية حياته . وله دوره ، بصفة خاصة ، فى تنمية ميوله والكشف عن قدراته وقدرتها . فالمنزل الذى يجد الطفل فيه من الأبوين صدرًا رحبًا للمناقشة ، ورعاية كاملة بالنسبة لتقدمه العلمى ونمو إمكانياته ومواهبه ، وتشجيعه ومدته بما هو فى حاجة إليه من أدوات وكتب ووسائل تعينه على العمل وتشجعه عليه ، والذى يوفر له الجو الصالح للعمل ، هو أنسب البيئات لنمو الطفل الموهوب .

أما المنزل الذى يهمل حاجة الطفل لاكتساب هذه الخبرات ، ولا يهتم بالكشف عن مواهبه ، بسبب جهل الأبوين أو عدم اهتمامهما ، أو عدم قدرتهما على ملاحظة أبنائهم وتمييز مواهبهم ، أو الذى يسرف فى وضع أهداف أعلى بكثير من مستوى الطفل وقدراته ويطالبه ببلوغها .. فإنه على العكس يعطل نشاط الطفل ويمثل عقبة أمام استمرار نموه وإبراز تفوقه .

وهذه نواحي يمكن أن يستفيد منها الآباء لصالح أبنائهم عن طريق استغلال أوقات فراغهم فيما يعود عليهم بالنفع ، ويظهر فى الوقت نفسه مواهبهم الكامنة .

٣ - النشاط الرياضى :

النشاط الرياضى هو أحد المجالات الرئيسية التى يتجه إليها الشباب فى أوقات فراغهم كمتنفس طبيعى لطاقتهم وحيويتهم التى تشبع عن هذا الطريق

دوافعها ورغباتها بدل الاتجاه إلى مجالات أخرى قد تكون ضارة بالنسبة للشباب وبصفة خاصة بالنسبة لتكوينهم الاجتماعى والخلقى .

وعندما نتكلم عن ممارسة النشاط الرياضى نقصد اشتراك الشاب نفسه فى لعبة رياضية (أو أكثر) يكتسب عن طريقها بعض الفوائد بالنسبة لتكوينه الجسمى ولياقته البدنية ، بالإضافة إلى ما ذكرناه من توجيه طاقته الحيوية والانفعالية إلى الوجهة التى تتمثل فى ممارسته للعبة معينة .. ولهذا كله تأثيره على صحته الجسمية والنفسية .

فالملاحظ أن نسبة الشباب الذين يتجهون إلى ممارسات جنسية غير سوية ضئيلة للغاية بين الشباب الذين يمارسون نشاطاً رياضياً ما . بينما تزداد هذه النسبة بين الشباب الذى لا يجد ما يشغل وقت فراغه غير البقاء فى البيت أو زيارة الأصدقاء أو ما أشبه .

وأنواع النشاط الرياضى كثيرة ومعروفة ، يمكن أن يختار من بينها ما يميل إليه وما يتفق مع استعداداته وإمكاناته ، والطريق إلى ممارستها أيضاً معروف . فهناك الفرق العديدة الخاصة بالألعاب الرياضية المختلفة كفرق كرة القدم والسلة والمصارعة ... الخ ، وهناك النوادى التى تجمع بين عدد من الفرق بمستوياتها المختلفة . وإن كنا نحب أن نشير بهذا الصدد ، أن الاهتمام بالرياضة يجب ألا يقتصر على هيئات معينة تعد بعض الشباب لتمثيلها أو لتمثيل البلاد على المستوى الدولى ، وإنما هو جزء أساسى فى تكوين أبنائنا وفى تربيتهم ومن ثم يجب أن نهتم به كما نهتم بتكوينهم العقلى . فلا تنظر إليه المدرسة على أنه مادة غير أساسية لا نجاح فيها ولا رسوب ، وتضعه فى مرتبة متأخرة بالنسبة لأوجه النشاط الأخرى التى تهتم بها علمية أو أدبية أو فنية ، بل وكثيراً ما تلغى دروسه بالمرّة لصالح هذه الأوجه الأخرى من النشاط .

وبوليه الآباء ظهورهم أيضاً ، وينظرون إليه على أنه مضیعة للوقت ،
وأنة یأتی على حساب إهتمام ابنائهم بدروسهم ووقت مذاكراتهم .

وللصالح ، یجب أن یضعه الجميع موضعه الصحيح ، فلا یسمحون له
بأن یطغى على مواد الدراسة الأخرى ، ولأوقاته بأن تطغى على أوقات المذاكرة
والعمل . ولا یهملونه بالمرّة ویقفون منه موقف الكراهية والعداء . ويتم ذلك
بالتنظیم السليم لأوقات العمل وأوقات الفراغ ، والتوجيه السليم فی البيت
والمدرسة .

٤ - النشاط الترفیهي :

یرتبط وقت الفراغ فی أذهان الشباب بالترفیه والترویح عن النفس . وتنظر
إلیه أغلیبتهم على أنه وقت الراحة والهدوء وسکينة النفس . وإذا كانت أوقات
الفراغ یمكن أن تسد هذه الحاجات فعلا ، إلا أن الترویح عن النفس لا یعنى
الاستسلام للدعة والاسترخاء فحسب ، وإنما یمكن أن یكتسب الفرد من خلال
ترویحه عن نفسه فوائد لا تقل عما یكتسبه من خلال ممارسته لنشاط تثقیفی أو
فنی آخر . هذا إذا أحسن الفرد لإختیار المجال الذى یروح عن نفسه من خلاله
فالدهاب إلى السینما مثلاً یمكن أن یحقق فوائد كثيرة ثقافية وترفیہية و غیرها ،
حسب نوع الأفلام التى یقبل علیها الشاب وإهتماماته الخاصة . والرحلات
بالمثل یمكن أن تحقق فوائد عديدة ترفیہية وإجتماعية وثقافية ، فضلاً عما تعود
به على شخصية الفرد من إكتسابه لصفات المثابرة وتحمل المسئولية والاعتماد
على النفس و غیر ذلك من الصفات .

وصید السمك والتصویر .. و غیر ذلك من المجالات یمكن أن یحقق فوائد
مشابهة ، إذا خطط لها الفرد تخطيطاً سليماً ، وإذا وجه لها عنايته وإهتمامه .

بل إن السهرات التلفزيونية الهادئة في البيت ، والمناقشات التي تدور أثناءها يمكن بدورها أن تحقق نتائج لها أهميتها ، لو اهتم الآباء بتوجيه أبنائهم خلالها إلى النواحي التي يمكن أن يستفيدوا منها .. برامج معينة ثقافية أو إجتماعية مثلا تناسب مع سنهم .. يعلق الأب على مادتها وعلى المناظر التي يشاهدونها ، ويشترك مع بقية أفراد الأسرة في مناقشات تدور حولها .. فضلا عن جو الألفة وتوثيق الروابط الأسرية .. وغير ذلك من النتائج التي يمكن أن تحققها أمثال هذه السهرات .

٥ - النشاط الاجتماعي وخدمة الجماعة :

سبق أن ذكرنا أن فترة الشباب هي فترة تكوين العلاقات الاجتماعية ، وخاصة مع الشباب الذين من نفس سنهم ، ولذلك فالصفة البارزة للشباب في هذه الفترة هي نشاطه الاجتماعي وميله للاندماج في جماعات خاصة ، أصدقاء الحى أو أصدقاء المدرسة التي ينتمى إليها بل ويعرف عن طريقها .

وذكرنا أيضاً في بداية حديثنا عن مجالات النشاط التي يتجه إليها الشباب في أوقات فراغهم ، أن المجال الرئيسى لهذا النشاط هو خروج الشباب في رفقة بعضهم البعض إلى المقاهى والميادين والشوارع وما أشبه ، وأن وقت الفراغ الذي يمضيه الشاب على هذا النحو .. وقت ضائع لا فائدة ترجى منه ، إن لم يترتب عليه أضرار ومتاعب عديدة .

وفي الحقيقة ، يمكننا استغلال هذا الميل الطبيعي عند الشباب للتجمع في توجيههم نحو أنواع مختلفة من النشاط الاجتماعي ، كالاشتراك في النوادي أو الفرق بأنواعها المختلفة رياضية أو فنية أو غيرها ، كفرق كرة القدم والسلة أو فرق التمثيل والموسيقى .. إلى غير ذلك ، والتي يمكن أن يحققوا من خلال اشتراكهم فيها فوائد عديدة جسدية وثقافية واجتماعية وخلقية .

ويمكن استغلال هذا الميل أيضاً في جمع الشباب لأغراض تتصل بالخدمة العامة كالتطوع مثلاً لنحو الأمية أو التطوع لخدمة أغراض عسكرية ، أو الاشتراك في معسكر من معسكرات العمل .. أو نحو ذلك .

والمهم بالنسبة لهذه الحالات أن ترتبط حقاً بإهتمامات وأهداف الشباب ، لا أن تكون الغرض منها مجرد التظاهر والدعاية .. كما يحدث عندما تتجمع مئات من الشباب في معسكر للعمل ، لينتهوا آخر الأمر بإزالة بعض الأحجار أو بتمهيد طريق مترب أو نحو ذلك من الأعمال التي يمكن أن يقوم بها نفر من العمال في أيام محدودة .

فالعبرة بالعمل وبالنتيجة التي يحققها الشاب ويشعر عن طريقها بأنه قد بذل شيئاً وتحمل بعض المسؤولية .

فالشباب راغبون حقاً في البذل ، وإحساسهم بالمسئولية هو جزء من صميم شخصياتهم النامية المتحررة . ولكنهم لا يعرفون كيف يوجهون هذه الطاقة المتحررة . فإذا مهدنا لهم الطريق ووضعنا أمامهم الأهداف ورسمنا معهم الخطط وتركناهم ينطلقون ، نكون قد ساعدناهم حقاً على تحقيق أشياء لا يستطيعون القيام بها بمفردهم ، ونكون قد ساعدناهم أيضاً على إكتساب بعض العادات والاتجاهات والقيم الاجتماعية المرغوب فيها . وبصفة عامة على تكوين شخصياتهم بالشكل الذي نرضى عنه ونتطلبه فيهم .

هذه الأوجه من النشاط التي يمارسها الشاب خلال أوقات فراغه تثقيفية وفنية ورياضية وترفيهية واجتماعية ... الخ ، تساعد على نمو ميولهم تجاهها وتساعد بالتالي على إقبالهم عليها واستمرار قيامهم بها وممارستهم لها وعن هذا الطريق .. طريق الممارسة البعيدة عن جو التكلف ، والبعيدة عن قيود الواجبات

المفروضة ، التي تؤدي فيها إختبارات معينة ، ونخضع لرقابة خاصة نجعل الشاب يضيق بها وبأوقاتها وبما يكتسبه من خلالها ، كما هي الحال بالنسبة لأغلب أوجه النشاط التي يمارسها الشاب في المدرسة .. عن هذا الطريق الذي يختار الشاب مجالات نشاطه فيه بنفسه وتبعاً لرغبته الشخصية ، يكتسب الشاب الشيء الكثير . ولا تقتصر الفوائد التي يكتسبها الشاب من هذا الطريق على المجالات به وحدها ، بل تمتد أيضاً إلى المجالات الأخرى التي ترتبط بها وتعتمد عليها مدرسية أو غير مدرسية فضلاً عن أن انطلاق الشاب في هذه المجالات ونواحي النشاط المختلفة التي يمارسها من خلالها أثناء أوقات فراغه ، يعرضه لمواقف يتصرف من تلقاء نفسه ، وتجعله يتدرب على حل أنواع من المشاكل يندر أن يتعرض لمثلها في حياته ، وخاصة حياته المدرسية التي تسير في العادة على نمط ثابت وخطوات تعليمية محددة يوجهها المدرس باستمرار ، ويشرف على كل خطوة فيها .

الوضع الخاص بالفتاة :

لفتياتنا فيما يتصل بوقت الفراغ مشاكلهن الخاصة التي تختلف عن مشاكل إخوتهن من البنين ، بل ربما كانت مشاكلهن أكثر تعقيداً . فللغنى على أي حال الحق في أن يخرج وأن يذهب إلى هذا المكان أو ذاك وأن يجتمع مع رفاقه وأن يقضى وقته بالكيفية التي يريد طالما أنه لا يسىء التصرف ولا يخرج عن الحدود المألوفة . أما الفتاة فلا تسمح عاداتنا وأوضاعنا الاجتماعية بمثل هذه الحرية أو التصرف على هذا النحو كما يتصرف البنون .

ليس هذا فقط بل ونطالب الفتاة خلال أوقات فراغها وخاصة خلال اجازتها الصيفية بواجبات لا نطالب بها الفتى . واجبات تتصل بمساعدة الأم

والقيام بشئون البيت . ما بين مساعدة فى الطهى وفى رعاية الإخوة الصغار وفى قضاء حاجات البيت ومستلزماته بصفة عامة .

إن حجتها أثناء العام الدراسى للتخلص من هذه الواجبات هى أن عليها واجبات أخرى مدرسية يجب أن تؤديها ، ويجب أن تتفرغ لها كما يتفرغ لها أخوها الشاب . أما عندما تنتهى الدراسة ، فلا يصبح هناك مجال لقيام مثل هذه الحجة ، بل هناك الحجة الأخرى وهى أنها ستصبح فى المستقبل أمّاً مشغولة عن بيت وأسرة ، وأنها يجب أن تعد لتحمل هذه المسئولية وأن تتدرب عليها .

إن هذه المناقشات والحجج كثيراً ما تتردد بين جنابات البيوت وخاصة بعد أن تنتهى الدراسة ، ولا تصبح أمام الفتيات حجة المذاكرة والدرس أو الاستعداد للامتحان .

وهى تلخص مشكلة بنات الجيل اللاتى يتلقين تعليمهن كإخوتهن البنين فى المدارس ، حتى إذا إنتهت الدراسة أصبح لإخوتهن الحق كل الحق فى أن يلعبوا وأن يخرجوا من المنزل إن شاءوا . أما هن فأمامهن أعباء يجب أن يبادرن بتأديتها وواجبات لا بد من القيام بها . وإن أهملت الفتاة أو تكاسلت فهناك اللوم والعتاب وأحياناً كثيرة ما هو أكثر من اللوم والعتاب وما يمتد إلى الإهانة والعقاب . على هذا النحو تجد الفتاة نفسها فى دوامة من الواجبات .. فهى مشغولة طول الوقت ، أيام الدراسة بواجبات الدراسة والمنزل معاً ، وأيام العطلات بواجبات المنزل التى لا تنتهى ، وليس من وقت أمامها لتتفرغ لبعض أوجه النشاط الخاص بها ، أو لتمارس هواية تميل إليها أو نحو ذلك مما يشغل البنين فى أوقات فراغهم .

هذا من ناحية . أما من ناحية وجهة نظر الأبوين — والأم بصفة خاصة— فإنها تصر على أن إعداد الفتاة لحياة المستقبل لا يكون سليماً إلا إذا قامت الفتاة بنفسها وتحت إشراف أمها بأعمال البيت وتمرنّت على كل شئونه . وتعتقد أغلب الأمهات أن المدارس لا تحقق هذه الغاية تحقيقاً كاملاً . فتراهن يصحبن بناتهن بعد العودة من المدارس أو بعد إنتهاء الدراسة إلى المطبخ للطهي أحياناً ولتنظيف وغسل الأواني وإعداد المائدة ورعاية الصغار .. إلى غير ذلك . وكثيراً ما تكون الأم في أمس الحاجة إلى هذه المساعدة لزيادة أعباء المنزل ، ولا تجد غير الابنة لكي تقدم لها هذه المساعدة . وهو أمر لا نستطيع أن ننكره على الأم .

ولكن النتيجة النهائية هي أن تكره الفتاة الأعباء المنزلية الملقاة على عاتقها والتي تزيد كلما تقدم بها العمر وشعرت الأم بأن الفتاة يمكن أن تقوم بها وحدها أو يدّاً بيد .

وليس معنى هذا الكلام أننا نخلى الفتاة من المسؤوليات المنزلية . فهذا مالا يمكن أن ننادى به . إذ أن من القواعد المسلم بها أن الفتى والفتاة يستطيعان أن يحتلا مكانهما في الأسرة بصورة أفضل إذا أعطينا كلا منهما الفرصة لأن يسهم في سير الأمور في المنزل . ولكن مع مراعاة هذه القاعدة ، يجب أن نضع في إعتبارنا كذلك أن الأبناء يحتاجون إلى فترة يشعرون فيها بأن لهم أوقاتهم الخاصة ، وأن تحمل العبء والقيام بواجبات البيت أمر يأتي بالتدريج ، وبقصد تعويد الابن والابنة على تحمل المسؤوليات عندما يشعرون بأهمية ذلك .

وعند هذه النقطة الأخيرة أحب أن أشير إلى مسألة لها أهميتها وكثيراً مالا ننتبه إليها ، وهي أننا في معاملتنا لأبنائنا نفرق بين البنين والبنات ، ونكاد

نقصر مسئوليات البيت على البنات وحدهن دون البنين . ونحلى البنين من تحمل جزء من المسئولية التى يجب أن يقوموا بها ويعدوا لها بدورهم . فبيت المستقبل لن يتكون من البنات وحدهن ، وإنما يشمل البنات والبنين ، ولذلك وجب أن نعد له البنين كما تعد له البنات .

ولا يعنى هذا أن نشرك الابن فى أعمال الطهى والغسل أو غير ذلك مما نعهده من أعمال النساء والبنات ، إذ لكل ميدانه وعمله . فهناك واجبات منزلية يمكن أن يقوم بها الابن ويحتاج إليها البيت مثل شراء الأدوات ومستلزمات البيت من الخارج ، ومثل العناية بالإخوة الصغار ومصاحبتهم والإشراف على لعبهم ... ونحو ذلك من أنواع المساهمة والمشاركة فى أعمال البيت .

إن إعطاء الابن - فتي أو فتاة - مسئولية القيام بعمل فى المنزل أو الإشراف على أحد شؤونه بصورة منتظمة يعتبر ضرورة بالنسبة لاعداد الابن لحياة المستقبل ، كما أنه يعتبر شيئاً مشرفاً يجب أن يتقبله الابن بسرور وأن يعتز به ، على أساس أن الأسرة أصبحت تنظر إليه (أو إليها) على أنه أصبح كبيراً مسئولاً يأخذ دوره بجانب أبيه (أو تأخذ دورها بجانب أمها) فى جانب من جوانب الأعباء المنزلية ومسئولياتها ، كما أنها الضرورة أيضاً فى الأسر الكبيرة العدد أن يتحمل الأبناء جزءاً من المسئولية .

هذا ما يجب أن يعرفه الأبناء بنين وبنات ، وما يجب أن نعمل من أجله نحن الآباء . فيجب أن يعرف الأبناء أن شئون البيت ومتطلباته ليست مسئولية الأب والأم وحدهما ، وإنما هو عمل يشترك فيه الجميع ، كل حسب طاقته واستطاعته ، بدون إشراف وبدون تحميل فرد مالا يستطيع القيام به من اعباء ، أو يستطيع آخر القيام به أفضل منه ، إلا إذا كان القصد هو التدريب والتكوين .

ويمكن أن يتحقق ذلك لو أدرك الأبناء منذ باكورة حياتهم أنهم إذا أرادوا شيئاً يخصهم ، فيجب ألا يتوقعوا من أمهم التي يشغلها عمل البيت أن تبادر إلى إجابة كل ما يطلبون ، أو من أبيهم الذي عاد منهمكاً متعباً من عمله أن ينفذ ما يريدون . بل هو عمل يجب أن يقوموا به طالما أنهم قادرون على ذلك . وأن يكتسبوا من آبائهم وأمهاتهم صفات البذل والعطاء بلا مقابل والعطاء بلا مقابل لما يعطونه . فالكل أفراد أسرة واحدة ، والكل متضامنون عاملون على سعادة هذه الأسرة .

هكذا — وداخل هذا الإطار الذي يحدد مسئوليات الفتى والفتاة في نطاق الأسرة — يقوم الفتى والفتاة بواجباتهما تجاه البيت . وفي الوقت نفسه يأخذ كل منهما أيضاً نصيبه الكافي من الوقت الحر يستغله بالكيفية التي يميل إليها، ويمارس من خلاله أوجه النشاط التي يستسيغها تحت إشراف الأبوين وتوجيهها ورعايتها. نقطة أخيرة هي أن لنا فيما يختص بالكيفية التي تشغل بها الفتاة أوقات فراغها نظرة قد تختلف عن نظرتنا الكيفية التي يشغل بها الفتى أوقات فراغه . وهي نقطة أشرت إليها في بداية كلامنا هذا عن مشاكل الفتاة الخاصة بوقت الفراغ ، وأعود إليها هنا بنوع من التفصيل .

فنحن على أي حال لنا تقاليدنا وأوضاعنا الخاصة التي لا تسمح للفتاة بالخروج كما يخرج الفتى . فتأخر الفتى في الخارج ، أو اصطحابه لهذه المجموعة أو تلك من الشباب ، أمر لا يهم الآباء كما يهمهم أمر خروج الفتاة وأمر صديقاتها اللاتي تذهب لزيارتهم أو تقضى معهن بعض أوقات فراغها . وهذا يسبب للفتاة مشاكل أخرى بالإضافة إلى مشاكل البيت .

أضف إلى ذلك أن مجالات النشاط التي يمكن أن تقضى فيها الفتاة أوقات

فراغها محدودة للغاية . فمجال الاشتراك في ممارسة إحدى اللعب الرياضية محدود . وهى لا تستطيع أن تشترك في رحلات طويلة مثلما يستطيع الفتى إلا برفقة أبويها أو اخوتها الكبار ، أو تخرج للتصوير مثلما يستطيع أخوها الشاب ، أو لصيد السمك ... أو نحو ذلك . وحتى اشتراكها في النوادي الثقافية والاجتماعية محدود أيضاً .

والمجال الوحيد الذى يلقي التشجيع — خارج البيت والمدرسة — وتوجه إليه الفتاة المثقفة عادة ، هو مجال الخدمة العامة عن طريق الاشتراك في إحدى الجمعيات النسائية . وإن كان هذا النوع من النشاط بطبيعة تكوينه الذى يعتمد في الغالب على الجهود الفردية ، لا يستوعب إلا أعداداً قليلة للغاية من فتياتنا المثقفات .

ولا يبقى أمام الفتاة بعد ذلك غير أنواع النشاط التى يمكن أن تمارسها في البيت مثل القراءة وأشغال الإبرة ... أو ما أشبه . وهى بدورها محدودة للغاية وتمارسها الفتاة وحدها ، ولذلك سرعان ما تضيق بها ، وغير أنواع النشاط التى تمارسها في المدرسة بالنسبة للآتى يذهبن منهن للمدارس .

وهذا هو السبب فى تمسك فتيات المدارس بالذهاب إليها حتى آخر يوم فى الدراسة . ذلك أن المدرسة لهن ليست مكان العلم وحده ، بل هو المكان الذى تلتقى فيه كل فتاة بزميلاتها وصاحباتها ويقضين فيه معاً أوقاتاً طيبة فى الحديث والمناقشة . وهو المكان الذى يمارسن فيه هواياتهن المفضلة .. إلى غير ذلك من النواحي التى تنقص الفتيات فى حياتهن العامة والتى يعوضنها فى حياتهن المدرسية .

محتويات الكتاب

٧	مقدمة
١٣	القسم الأول : خصائص المراهقة
٢٣	الفصل الأول : النمو الجسمي
٣١	الفصل الثاني : النمو العقلي
٤٥	الفصل الثالث : النمو الانفعالي
٥٧	الفصل الرابع : النمو الاجتماعي
٦٩	القسم الثاني : مشكلات المراهقة
٧٥	الفصل الخامس : المشكلة الجنسية
١٠٧	الفصل السادس : مشكلة اختيار المهنة
١٥١	الفصل السابع : وقت الفراغ

فراغها محدودة للغاية . فمجال الا
محدود . وهي لا تستطيع أن تشترك
ار ، أو
ذلك

التشج

طبع بمطابع جريدة السفير
شارع الصحافة
ت ٨٠٣٩٦٤ الإسكندرية



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina



١/١١٦١٥٤

دار المعارف - ١١١٩ كورتيش النيل

الناشر : منطقة الاسكندرية ٤٢ شارع سعد زغلول - ٢ ميدان التحرير (المنشية)